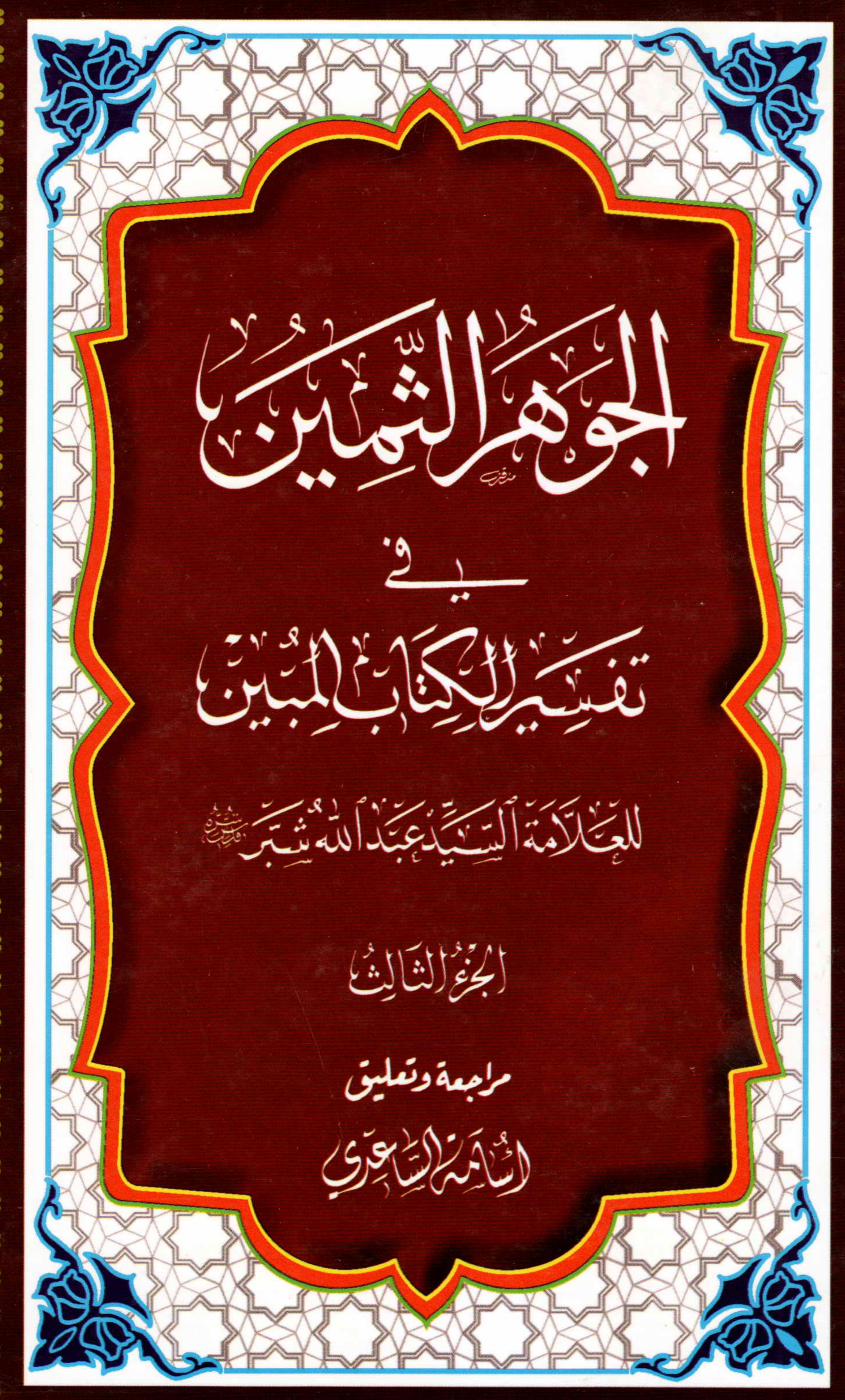
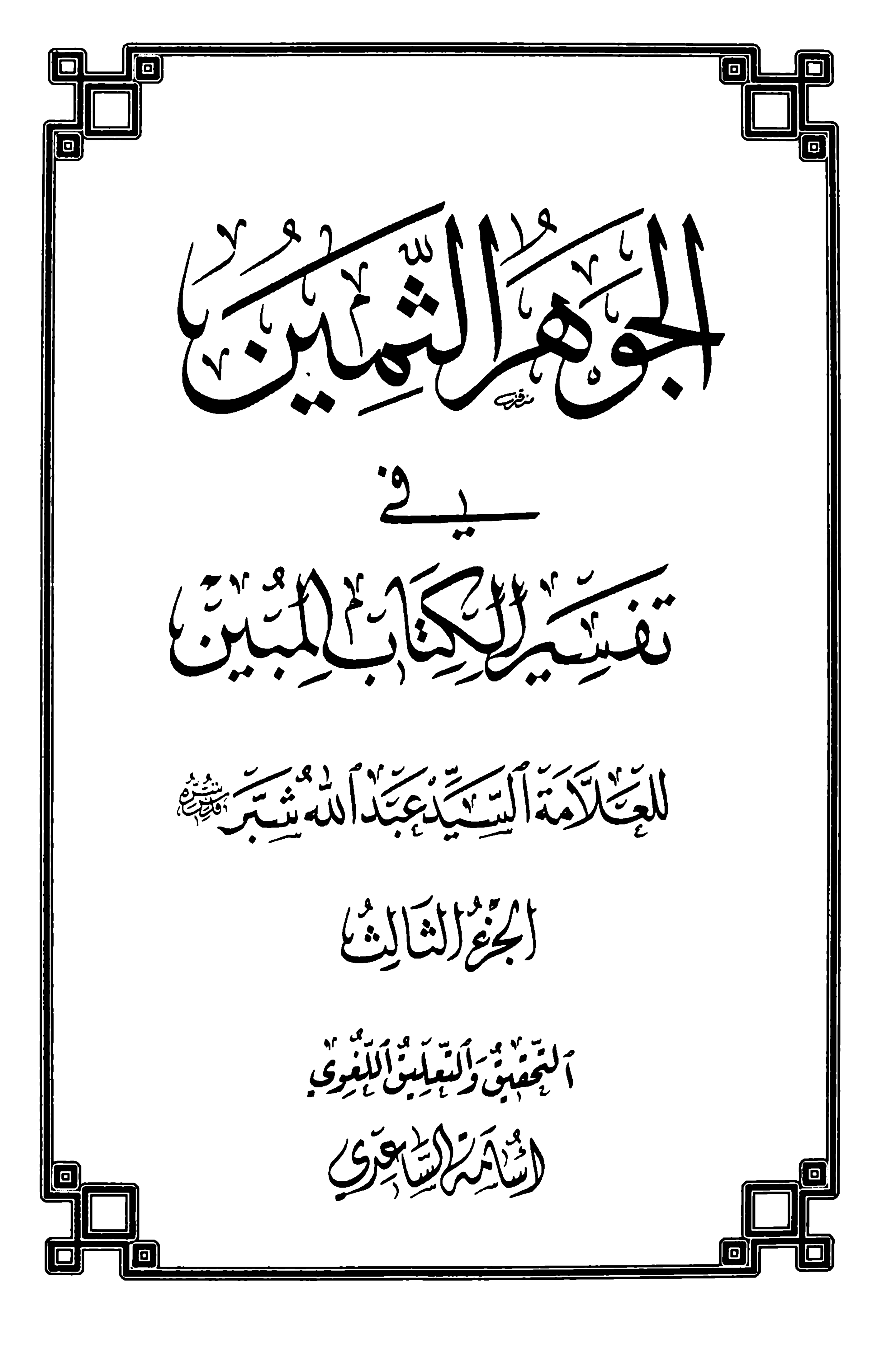


الجوهر الثمين
في
تفسير الكتاب المبين
للعلامة السيد عبد الله شبر قدس سره
الجزء الثالث
مراجعة وتعليق
أسامة الساعدي



الجوهر الثمين

في

تفسير الكتاب المبين

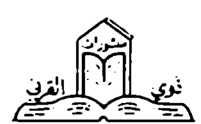
للعلامة السيد عبد الله شبر قدس سره

الجزء الثالث

التحقيق والتعليق اللغوي

أسامة الساعدي

شبر ، عبدلله ، ۱۷۷۴ ـ ۱۸۳۶ م .
الجوهر الثمین فی تفسیر الکتاب المبین / لعبدلله
شبر؛التحقیق والتعلیق اللغوی اسامه الساعدی.
قم: ذوی‌القربی، ۱۳۸۸.
۲۱۶۰ ص .
دوره ۶ جلدی ISBN:978 - 964 - 518 - 318 - 7
فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
کتاب حاضر تفسیر وسیط از تفاسیر سه‌گانه مولف
می‌باشد
موضوع: تفاسیر شیعه - قرن ۱۳ ق،
رده بندی کنگره: ۹ ج ۲ ش / ۹۷ BP
رده بندی دیویی: ۱۷۲۶ ـ ۲۹۷



اسم الکتاب : الجوهر الثمین فی تفسیر الکتاب المبین ج ۳

المؤلف : السید عبدالله الشبر

الناشر : ذوي‌القربی

الطبعة : الأولیٰ

تاریخ الطبع : ۱۴۳۱ هـ ق

الکمیة : ۱۰۰۰

المطبعة : سلیمانزاده

شابك دوره : ۷ ـ ۳۱۸ ـ ۵۱۸ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸

شابك (ج ۳) : ۳ ـ ۳۶۱ ـ ۵۱۸ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸

مرکز التوزیع : قم ـ پاساژ قدس ـ الطابق الاوّل ـ رقم ۵۹ ـ تلیفون: ۷۷۴۴۶۶۳ـ۲۵۱ـ۹۸+

سورة الأنفال

خمس وسبعون آية.

[الآيات ١ -٨]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ

ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨﴾

وعن النبي (ص): من قرأ هذه السورة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه بريء من النفاق، وتكتب له الحسنات بعدد كل منافق، ومن كتبها وعلّقها عليه لم يقف بين يدي حاكم إلاّ وأخذ حقّه وقضى حاجته، ولم يعتد عليه أحد، ولا ينازعه أحد، إلاّ وظفر به وخرج عنه مسروراً وكان له حصناً﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنفالِ﴾ عن حكمها، أحلال أم حرام؟ أوعن حالها لمن هي؟﴿ قُلِ الأنفالُ للَّهِ والرَّسُولِ﴾ مختصة بهما يضعانها حيث شاءا، وعن السجاد والباقر والصادق (ع): أنهم قرءوا: (يسألونك عن الأنفال) يعني: أن تعطيهم أياها، وعنهما (ع): الفيء والأنفال: ما كان من أرض لم يكن فيها هراقة دم، أو قوم صولحوا، أوأعطوا بأي:ديهم، وما كان من أرض خربة، أو بطون أودية فهوكله من الفيء والأنفال، وهوللإمام بعد الرسول، وقيل: أنها غنيمة بدر، وقيل: أنفال السرايا، وقيل: ما شذ من المشركين للمسلمين من عبد وجارية من غير قتال، وقيل: هي الخمس﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في المنازعة في الأنفال ﴿ وأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: الحال التي بينكم في الخصومة والمنازعة، والذات: الخلقة والبنية أي: أصلحوا حقيقة وصلكم﴿ وأَطِيعُوا اللَّهَ ورَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمنينَ﴾ كاملين في الإيمان، أوصادقين فيه﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: الكاملون في الإيمان﴿الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ خافت لذكره استعظاماً له وهيبةً لجلاله، والجمع بينه وبين قوله: (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)[1] أن الأول محمول على ذكر العقوبة

---

(١) سورة الرعد الآية ٢٨.

والعدل والوعيد على المعاصي، والثاني ذكر الرّحمة والفضل والثواب، أو أنّ المؤمن إذا نظر في نعم اللّه وسعة عفوه إطمأن عليه، وإذا ذكر عظيم معاصيه بترك أوامره وارتكاب نواهيه وجل قلبه واضطربت نفسه﴿ وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً﴾ تصديقاً مع تصديقهم﴿ وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ واليه يفوّضون أمورهم في الدنيا والآخرة﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ خصّهما بالذكر لعظم شأنهما وتأكد أمرهما﴿ أُولئِكَ﴾ الذين استجمعوا لهذه الصفات﴿ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ استحقوا هذا الإسم على الحقيقة لأنهم حصّنوا إيمانهم بضم مكارم الأخلاق ﴿لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في الجنة يرتقونها بأعمالهم﴿ وَمَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أعدّ لهم في الجنّة، القمي: نزلت في أمير المؤمنين وأبي ذر وسلمان والمقداد﴿ كَما﴾ متعلق بما دلّ عليه قوله: (قل الأنفال لله والرسول) لأن فيه معنى نزعها من أيديهم بالحق كما﴿ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ﴾ أي: المدينة ﴿ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ﴾ لذلك لمشقته، وقيل التقدير: قل الأنفال ثابت للّه والرسول ثبوتاً مثل ما أخرجك ربك، أي: هذا كائن لا محالة مثل ذلك، فيكون صفة مصدر محذوف، أو متعلق بـ(يجادلونك) تقديره: ﴿ يُجادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ كما كرهوا إخراجك من بيتك بالحق وروي: فاللّه ناصرك كما أخرجك من بيتك، أوخبر محذوف تقديره: حالهم هذه في كراهة حكم اللّه في الأنفال مثل حالهم في كراهة خروجك من بيتك للحرب يجادلونك في الحق الذي دعوتهم اليه ﴿ بَعْدَ ما تَبَيَّنَ﴾ وعرفوا صحته وصدقك بما ظهر عليك من المعجزات ومجادلتهم قولهم: هلاّ أخبرتنا بذلك، وهم يعلمون انّك لا تخبرهم عن اللّه الا بالحق﴿ كَأَنَّما يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ ﴾ وهم ينظرون إليه عياناً ويشاهدون أسبابه﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ﴾ على إضمار(اذكر)

أو (اشكر)﴿ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ مفعول ثاني وهما العير والنفير﴿ أَنَّها لَكُمْ﴾ بدل اشتمال من (إحدى الطائفتين)﴿ وتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ﴾ أي: شدة البأس والحدّة في القتال، وعن الصادق (ع): ذات الشوكة التي فيها القتال﴿ تَكُونُ لَكُمْ﴾ يعني: العِير فانه لم يكن فيها الا أربعون فارساً ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعدتهم﴿ ويُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ﴾ ويعز الإسلام وينصركم عليهم ﴿ ويُبْطِلَ الْباطِلَ﴾ بأهلاك أهله﴿ ولَوكَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: الكافرون ذلك، وليس بتكرير لأن الأول لبيان مراد الله وتفاوت ما بينه وبين مرادهم، والثاني لبيان الداعي إلى حمل الرسول على إختبار ذات الشوكة ونصره عليها.

[سورة الأنفال الآيات ٩ - ١٦]

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ

ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ تستجيرون به من أعدائكم ﴿فَاسْتَجابَ لَكُمْ﴾ على وفق سؤالكم ﴿أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ بفتح الدال أي: متبعين كانوا مقدمة الجيش، وبكسر الدال أي: متبعين بعضهم بعضاً، أومتبعين المؤمنين ﴿وما جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي: الإرداف والإمداد، أوالخبر به ﴿إِلاَّ بُشْرى﴾ بشارة لكم بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ ولتسكن ﴿بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ من الوجل، وإلاّ فملك واحد كافٍ في تدبيرهم كما أهلك جبرئيل قوم لوط بريشة واحدة، وفي كون الملائكة قاتلت، أولا بل شجّعت وكثرت السّواد: قولان ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ لا من الملائكة ولا من كثرة العدد ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يمنع عن مراده ﴿حَكِيمٌ﴾ يفعل ما تقتضيه الحكمة ﴿إِذْ﴾ بدل ثان من إذا ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾ بضم الياء وسكون الغين، وبضم الياء وفتح الغين مثقلاً، ويغشاكم بألف وفتح الياء ﴿النُّعاسَ﴾ بالفتح على الأولين، وبالضم على الأخيرة ﴿أَمَنَةً مِنْهُ﴾ من الله، أو من العدو لأن الخائف لاينام، فأمّنهم الله بزوال الرّعب عن

قلوبهم﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ لأن المشركين سبقوهم إلى الماء، فنزل المسلمون على كثيب رمل[١]، وأصبحوا محدثين ومجنبين، وأصابهم الظمأ، ووسوس إليهم الشيطان: أنّ عدوّكم قد سبقكم إلى الماء، فأمطرهم اللّه حتى اغتسلوا من الجنابة وتطهّروا من الحدث﴿ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ﴾ أي: وسوسته وتخويفه إياهم من العطش، أو بقوله: ليس لكم بهم طاقة، أو الجنابة ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ ﴾ بالتشجيع والثبات والقوّة﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ﴾ بالمطر﴿ الأَقْدامَ﴾ حتى لا تسوخ[٢] في الرمل، أو بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة﴿ إِذْ﴾ بدل ثالث من إذ لإظهار نعمة رابعة﴿ يُوحِي رَبُّكَ﴾ عن الصادق (ع): إلهام﴿ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ بالمعونة﴿ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالبشارة بالنصر﴿ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ من أوليائي﴿ فَاضْرِبُوا﴾ الخطاب للمسلمين، أو الملائكة ﴿فَوْقَ الأَعْناقِ﴾ أي: الرؤوس، أوالمذابح﴿ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ﴾ يعني: أطرافهم أي: جزّوا رقابهم واقطعوا أطرافهم من الأيدي والأرجل﴿ ذَلِكَ﴾ العذاب لهم ﴿ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ﴾ بسبب مخالفتهم اللّه ﴿ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾ في الدنيا بالإهلاك، وفي الآخرة بالتخليد في النار﴿ ذلِكُمْ﴾ أي الأمر ذلكم، والخطاب للكفّار على الإلتفات أي: هذا الذي أعددت لكم من القتل والأسر في الدنيا﴿ فَذُوقُوهُ﴾ عاجلاً﴿ وَأَنَّ لِلْكافِرِينَ عَذابَ النَّارِ﴾ في محل الرفع، أو النصب، أو الجر عطفاً على (ذلكم) أو أني معكم، أو أنهم شاقوا اللّه﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً﴾ حال كونكم متزاحفين متدانين للقتال، القمي: أي: يدنوبعضهم

---

(١) الكثيب: الرمل المستطيل المحدودب.

(٢) أي: تغوص فيه.

من بعض﴿ فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبارَ﴾ تجعلوا ظهوركم ممّا يليهم، أي: لا تنهزموا ﴿ ومَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاَّ مُتَحَرِّفاً﴾ منصوب على الحال، أو الإستثناء أي: إلا أن يكون متحرفاً﴿مُتَحَرِّفاً لقتالٍ﴾ تاركاً موقفاً إلى موقف آخر أصلح للقتال﴿ أو مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ﴾ أي: منضماً أو مائلاً إلى جماعة يستعين بهم﴿ قَدْ باءَ﴾ رجع﴿ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ استحقه، أو احتمله﴿ ومَأْواهُ﴾ مرجعه﴿ جَهَنَّمُ وبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ عن الكاظم (ع): إلا متحرفاً، قال: متطرداً يريد الكرة عليهم، أو متحيزاً يعني: متأخراً إلى أصحابه من غير هزيمة، فمن انهزم حتى يجوز صف أصحابه فقد باء بغضب من الله.

[سورة الأنفال الآيات١٧- ٢٥]

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ

فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ أي: إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم بقولكم:﴿ ولكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ لأنه الذي أقدرهم وثبتهم وشجع قلوبهم وألقى الرعب في قلوب أعدائهم﴿ وما رَمَيْتَ﴾ يا محمد﴿ إِذْ رَمَيْتَ ولكِنَّ اللَّهَ رَمى﴾ القمي: يعني الحصى الذي حمله رسول الله (ص) ورمى به في وجوه قريش، وقال: شاهت الوجوه، وروي: أنه حين رماها لم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم، فنزلت، وأثبت الرمي له (ص) لأنه أو جده صورة ونفاه عنه لأن أثره فعل الله لا يدخل في قوّة البشر﴿ ولِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً﴾ أي: فعل ذلك إنعاماً على المؤمنين بالنصر والغنيمة، وضمير(منه) يعود إلى النصر،أو الله﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لاستغاثتهم ﴿ عَلِيمٌ﴾ بنيّاتهم وأحوالهم﴿ ذلِكُمْ﴾ أي الأمر ذلكم الانعام﴿ وأَنَّ اللَّهَ﴾ عطف على (ذلكم) ﴿ مُوهِنُ كَيْدِ الْكافِرِينَ﴾ مضعف مكرهم﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ الخطاب لأهل مكة على سبيل التهكم، روي: حين أرادوا الخروج تعلّقوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين، أي: ان تستنصروا لأهدى الفئتين فقد جاءكم نصرمحمّد وأصحابه، أو الخطاب للمؤمنين،

أي: ان تستنصروا على أعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبي﴿ وإِنْ تَنْتَهُوا ﴾ عن قتال الرسول والمؤمنين على الأول، أو عن التكاسل عن القتال على الثاني﴿ فَهُو خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لأن فيه سلامة الدارين﴿ وإِنْ تَعُودُوا﴾ إلى قتال المسلمين، أو إلى التكاسل﴿ نَعُدْ﴾ لنصره﴿ ولَنْ تُغْنِيَ﴾ ولن تدفع﴿ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ جماعتكم شيئاً من الإغناء والمضار ﴿ ولَوكَثُرَتْ وأَنّ اللَّهَ﴾ بالكسر على القطع، وبالفتح أي: ولأنّ اللّه﴿ مَعَ الْمُؤْمِنينَ ﴾ بالنصر والحفظ﴿ يا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ ورَسُولَهُ﴾ فإنها سبب النجاة في الدنيا والآخرة، وخص المؤمنين مع وجوبها على الكافرين لجلالة قدرهم وعدم الإعتداد بغيرهم لإعراضهم عمّا وجب عليهم﴿ ولا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ لا تعرضوا عن الرسول، حذفت إحدى التاءين﴿ وأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ دعاءه لكم وأمره ونهيه﴿ ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا﴾ سماع عالم قابل له﴿ وهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ كذلك إذ السماع هوالقبول﴿ إِنّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ الحيوانات التي تدب على وجه الأرض﴿ عِنْدَ اللَّه الصُّمُّ﴾ الذين لا ينتفعون بما يسمعون من الحق﴿ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾ لا يتفكرون فيما يسمعونه﴿ ولَو عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً﴾ قبولاً للهدى، وإقبالاً على الحق﴿ لأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهّم ﴿ ولَو أَسْمَعَهُمْ﴾ وقد علم أن لا خير فيهم ﴿ لَتَوَلَّوْا﴾ ولم ينتفعوا به ﴿ وهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ لعنادهم، ويدل على أن اللّه لا يمنع اللطف أحداً من المكلفين، وعن الباقر (ع): نزلت في بني عبد الدار، لم يكن أسلم منهم غير مصعب بن عمير وحليف لهم يقال له: (سويط) وكانوا يقولون: نحن صمّ بكم عمّا جاء به محمد وقد قتلوا جميعاً بأحد كانوا أصحاب اللواء﴿ يا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّه ولِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة إذا دعاكم الرسول﴿ لِما يُحْيِيكُمْ﴾ وهو الجهاد فاللّه يحيى أمركم ويعزّ دينكم والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، أو الإيمان فانّه حياة القلوب والكفر موتها، أو القرآن والعلم في الدين فإن العلم حياة والجهل موت والقرآن سبب الحياة بالعلم

وفيه النجاة والعصمة، أو الجنة لما فيها من الحياة الدائمة، وعن الصادق (ع): نزلت في ولآية عليّ (ع): ﴿ واعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وقَلْبِه﴾ بينه وبين الإنتفاع بقلبه بالموت، أو انّه أقرب إليه من قلبه، فان الحائل عن شيء أقرب منه، أو أنه يملك تقليب القلوب من حال إلى حال، القمي: أي: يحول بينه وبين ما يريد، وعن الباقر (ع): يحول بين المؤمن ومعصيته أن تقوده إلى النار، وبين الكافر وبين طاعته أن يستكمل بها الأي:مان، وعن الصادق (ع): في الآية: يحول بينه وبين أن يعلم ان الباطل حق، وعن الباقر (ع): هذا الشيء تشهية الرجل بقلبه وسمعه وبصره ولا تتوق[1] نفسه إلى غير ذلك، فقد حيل بينه وبين نفسه إلى ذلك الشيء﴿ وأنَّهُ﴾ واعلموا انه﴿ إلَيْه تُحْشَرُونَ﴾ للجزاء يوم‌القيامة على أعمالكم إنْ خيراً فخير وإنْ شرّاً فشر﴿ واتَّقُوا فِتْنَةً﴾ هي العذاب، أو البلية التي يظهر أمر الإنسان فيها، أو الضلالة وافتراق الكلمة ومخالفة بعضكم بعضاً﴿ لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ بل تعمكم وجاز دخول النون في جواب الأمر لأن فيه معنى النهي، أو نهي بعد أمر إما على حذف العاطف، أوعلى إنه صفة (فتنة) على إرادة القول أي: مقولاً فيها كذا، عن الصادق (ع): انهم أصحاب الجمل، وروي: أنها ترك علي وبيعة غيره، والقمي: نزلت في طلحة والزبير لمّا حاربا علياً وظلماه، وعن علي والباقر(ع): انّهما قرءا (لتصيبن)﴿ واعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾ لمن لم يتق المعاصي.

---

(١) يقال: (تاقت نفسه الى كذا) أي: اشتاقت إليه.

[سورة الأنفال الآيات٢٦ - ٣٣]

وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

﴿ واذكُرُوا إذْ أنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ عددكم﴿ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأرْضِ﴾ أرض مكة قبل الهجرة في إبتداء الإسلام﴿ تَخافُونَ أنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ من مشركي العرب، أو كفّار قريش، أو فارس، أو الرّوم، والتخطف: أخذ الشيء بسرعة انتزاع﴿ فَآواكُمْ﴾ جعل لكم مأوى ترجعون إليه، يعني: المدينة﴿ وأيدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ على الكفّار ﴿ ورَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ﴾ من الغنائم التي أحلها لكم دون من قبلكم، أو عامة الأطعمة اللذيذة﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم، القمي: نزلت في قريش خاصة، وهو مروي عن علي (ع) ﴿ يا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا﴾ بالجزم عطفاً على الأول، وبالنصب على الجواب بـ(الواو)﴿ أماناتِكُمْ﴾ أعمالكم التي ائتمنها الله عليكم يعني الفرائض﴿ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنها أمانة وإنكم تخونون، أو وأنتم من أهل العلم فلا تخونوا﴿ واعْلَمُوا أنَّما أمْوالُكُمْ وأولادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ إبتلاء واختبار، أو تلهيكم عن ذكر الله﴿ وَ﴾ اعلموا ﴿ أنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لمن أطاعه، خير من الأموال والأولاد، عن علي (ع): لا يقولن أحدكم: اللهم اني أعوذ بك من الفتنة، فانه ليس أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلاّت الفتن﴿ يا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تَتَّقُوا اللَّهَ﴾ بأداء أوامره واجتناب نواهيه﴿ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً﴾ هدى في قلوبكم، تفرقون به بين الحق والباطل، القمي: العلم الذي تفرقون به بين الحق والباطل ﴿ ويُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بالتجاوز والعفوعنها﴿ واللَّهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ على عباده بما أنعم عليهم﴿ وَ﴾ اذكر﴿ إذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني قريشاً والمكر الفَتْل إلى جهة الشر في خفية، وهو من الناس: خبث وخداع، ومن الله: جزاء، والفرق بينه وبين الغدر: أنّ الغدر: نقض العهد الذي يجب الوفاء به، والمكر: قد يكون إبتداءً من غير عهد، وأمر بتذكر ذلك ليشكرنعمته تعالى في خلاصه من مكرهم و؛ستيلائه عليهم﴿ لِيُثْبِتُوكَ﴾ بالوثاق من القيد، أو بالحبس في

السجن، أوليثخنوك بالجراح والضرب﴿ أويَقتُلوكَ﴾ بسيوفهم﴿ أويُخرِجُوكَ﴾ من مكة﴿ ويَمْكُرُونَ﴾ يدبرون في أمرك من حيث لا تشعر﴿ ويَمْكُرُ اللَّهُ﴾ يحل بهم عذابه من حيث لا يشعرون﴿ واللَّهُ خَيْرُ الْماكِرينَ﴾ إذ لا يمكر إلا ما هوحق وصواب ﴿ وإذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا﴾ من القرآن﴿ قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَو نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا﴾ مع ظهور عجزهم عن معارضته واعترافهم بالعجز، وانما قالوه عناداً﴿ إنْ هذا إلاّ أساطِيرُ الأولينَ﴾ أحاديثهم يتلوها علينا، قيل: قائل هذا والأول النضر بن الحارث بن كلده جاء بحديث رستم وإسفنديار من بلاد فارس، وزعم ان هذا مثل ذلك، وقد أسر يوم بدر، فقتله النبي (ص) صبراً بيد علي (ع) ﴿ وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿ إذْ قالُوا اللَّهُمَّ إنْ كانَ هذا﴾ الذي جاء به محمد﴿ هُوَ﴾ ضمير فصل﴿ الْحَقَّ﴾ خبر(كان)﴿ مِنْ عِنْدِكَ﴾ دون ما نحن عليه ﴿ فَأمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ﴾ كما أمطرت على قوم لوط ﴿ أو ائْتِنا بِعَذابٍ ألِيمٍ﴾ شديد مؤلم، والقائل: النضر، أو أبوجهل، أو الحارث بن عمروالفهري، أو النعمان بن الحارث﴿ وما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ يعني: قريشاً بعذاب الإستئصال، و(اللام) لام الجحود﴿ وأنْتَ فِيهِمْ﴾ بين أظهرهم﴿ وما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾ بعد خروجك عنهم، وفيهم بقية من المؤمنين﴿ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ والمراد استغفار من بقي فيهم، أو قولهم: اللهم غفرانك، أو على فرض لواستغفروا لم يعذبهم.

[سورة الأنفال الآيات ٣٤ - ٤٠]

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ

فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

﴿ وما لَهُمْ﴾ وأي: شيء لهم في﴿ ألاّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ لا شيء يوجب ترك تعذيبهم﴿ وهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يمنعون﴿ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ﴾ أولياءه﴿ وما كانُوا﴾ أي: المشركين﴿ أولياءَهُ﴾ وان سعوا في عمارته، وهوردّ لقولهم: نحن ولاة البيت والحرم ﴿ إِنْ أولياؤُهُ إلاّ الْمُتَّقُونَ﴾ من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره، عن الصادق (ع): ما كانوا أولياء البيت يعني: المشركين إنْ أولياؤه إلا المتقون حيثما كانوا أولى به من

المشركين﴿ ولكنّ أكثرهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ أن لا ولاية لهم، ولا منافاة بين اثبات العذاب هنا ونفيه فيما قبلها: لأن المنفي عذاب الإستئصال والمثبت القتل بالسيف والأسر، أوالمنفي عذاب الدنيا والمثبت عذاب الآخرة ﴿ وما كانَ صَلاتُهُمْ﴾ أي: هؤلاء المشركين الصادّين﴿عِنْدَ الْبَيْتِ إلاّ مُكاءً﴾ فعال من(مكا يمكو) إذا صفر﴿ وتَصْدِيَةً﴾ وتصفيقاً بإحدى اليدين على الأخرى أي: وضعوهما موضع الصلاة، قيل:كانوا يطوفون بالبيت عراة يشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون ذلك إذا قرأ رسول اللّه (ص) يخلطون عليه﴿ فَذُوقُوا الْعَذابَ﴾ في الدنيا بالقتل والأسر وفي الآخرة بالنار﴿ بما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفركم اعتقاداً وعملاً ﴿ إنّ الّذينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أمْوالَهُمْ﴾ في قتال رسول اللّه (ص) والمؤمنين﴿ لِيَصُدُّوا﴾ الناس﴿ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ ﴾ عن دينه﴿ فَسَيُنْفِقُونَها﴾ بتمامها﴿ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ هي أشد الندامة والإغتمام على ما فات ولا يمكن استدراكه، قيل: ولعلّ الأول إخبار عن إنفاقهم ببدر، والثاني إخبار عن إنفاقهم فيما يستقبل وهو إنفاقهم بأحد، أو المراد بهما واحد﴿ ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ في الحرب وفيه معجزة النبوّة حيث أخبر بما لم يكن فوجد، القمي: نزلت في قريش لما وافاهم ضمضم وأخبرهم بخبر رسول اللّه (ص) في طلب العير، فأخرجوا أموالهم وحملوه وأنفقوا وخرجوا إلى محاربة رسول اللّه (ص) ببدر، فقتلوا وصاروا إلى النار، وكان ما أنفقوه حسرة عليهم﴿ والّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ثبتوا على كفرهم ولم يسلموا ﴿ إلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ يساقون، وانّما أعاد (الذين كفروا) لأنّ جماعة من الذين أنفقوا أسلموا﴿ لِيَميزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ الكافر من المؤمن بالغلبة في الدنيا وبالثواب والجنة في الآخرة ﴿ ويَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلى بَعْضٍ﴾ في جهنم يضيقها عليهم﴿ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً﴾ أي: يجمع الخبيث حتى يصير

كالسّحاب المركوم بأن يكون بعضه فوق بعض﴿ فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ كلّه﴿ أولئكَ﴾ إشارة إلى الخبيث، أو إلى المنفقين﴿ هُمُ الْخاسِرُونَ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي:: لأجلهم﴿ إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عن الشرك بالدخول في الإسلام، أوعن المحاربة إلى الموادعة﴿ يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ﴾ من ذنوبهم﴿ وإِنْ يَعُودُوا﴾ إلى قتاله وأصرّوا على الكفر﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأولينَ﴾ في نصرة الله أولياءه وإخزائه أعداءه ﴿ وقاتِلُوهُمْ﴾ الخطاب للنبي (ص) وأصحابه﴿ حَتّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ شرك، والقمي: أي: كفر قال وهي ناسخة لقوله: (كفّوا أي:ديكم) ولقوله: (ودع أذاهم)﴿ ويَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ ويجتمع أهل الحق والباطل على الدين الحق عنهم (ع): لم يجيء تأويل هذه الآية وانما يجيء عند ظهور القائم﴿ فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ رجعوا عن الكفر ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ بما يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يجازيهم بأعمالهم ظاهرها وباطنها مجازاة البصير بها ﴿ وإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن دين الله وطاعته﴿ فَاعْلَمُوا﴾ وضع الأمر موضع الجواب إذ فيه معنى الخبر أي: فواجب عليكم أن تعلموا﴿ أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ﴾ ناصركم وحافظكم، فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم﴿ نِعْمَ الْمَوْلى﴾ لا يضيع من تولاه﴿ ونِعْمَ النَّصِيرُ﴾ لا يغلب من نصره.

[سورة الأنفال الآيات ٤١ – ٤٥]

وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ

وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾

﴿ واعْلَمُوا أنّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي ما كان وخصّ في السّنة بالنصاب في الكنز والمعدن والغوص ﴿فَأنَّ للّه خُمُسَهُ ولِلرَّسُول ولِذي القُرْبى﴾ الإمام القائم مقام النبي (ص)، ولا دلالة في إفراد ذي القربى ولا في عطف ما بعده عليه لإقتضاء العطف المغايرة على عدم إرادة الجميع لجواز إرادة الجنس في الأول وعطف الخاص على العام لمزيد فارق في الثاني﴿ والْيَتامى والْمَساكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ﴾ من آل محمد (ص) لا يشركهم فيه غيرهم بتواتر النصوص عن أئمة الهدى﴿ إنْ كُنْتُمْ﴾ أي: إن الخمس

واجب فأدّوه إن كنتم ﴿آمَنتُمْ بِاللَّهِ وما أنزلنا عَلى عَبْدنا﴾ محمد(ص) ﴿ يَوْمَ الْفُرْقانِ﴾ يوم بدر فرق فيه بين الحق بإعزاز أهله وبين الباطل بقمع أهله﴿ يَوْمَ الْتَقَى﴾ بدل من يوم الفرقان﴿ الْجَمْعانِ﴾ المسلمون والكافرون﴿ واللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾ يقدر على نصر القليل على الكثير﴿ إِذْ ﴾ بدل من (يوم الفرقان)﴿ أَنْتُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿ بِالْعُدْوَةِ الدُّنيا﴾ من المدينة ـ بكسر العين وبضمها في الحرفين ـ لغتان وهي: شفير الوادي، وللوادي عدوتان وهما جانباه﴿ وهُمْ﴾ أي: المشركون﴿ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوى﴾ القمي: يعني قريشاً حين نزلوا بالعدوة اليمانية، ورسول اللّه (ص) نزل بالعدوة الشاميّة ﴿ والرَّكْبُ﴾ القمي: يعني: العير التي أفلتت، وعن الصادق (ع): يعني: أبا سفيان وأصحابه﴿ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ إلى ساحل البحر منصوب على الظرف واقع موقع الخبر، قيل: الفائدة في ذكر هذه المواطن الإخبار عن المقالة الدالة على قوّة المشركين وضعف المسلمين، وأن غلبتهم على مثل هذا الحال أمر إلهي﴿ ولَو تَواعَدْتُمْ﴾ أيها المسلمون أنتم وهم للإجتماع في الموضع الذي اجتمعتم فيه للقتال ثم بلغكم كثرة عددهم مع قلّة عددكم﴿ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعادِ﴾ لتأخرتم فنقضتم الميعاد، أو لاختلفتم بما يحصل من العوائق﴿ ولكِنْ﴾ قدر اللّه اجتماعكم على غير ميعاد ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً﴾ من إعزاز الدين وأهله، وإذلال الشرك وأهله﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ بقيام الحجة عليه﴿ ويَحْيى مَنْ حَيَّ﴾ بيائين مكسورة الأولى حملاً على مضارعه لإمتناع الإدغام فيه وبياء واحدة مفتوحة مشدّدة للزوم الحركة في الثاني﴿عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ عاينها، القمي: قال يعلم من بقي ان اللّه نصره﴿ وإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾ لأقوالهم﴿عَليمٌ﴾ بنياتهم فيجازيهم﴿ إِذْ﴾ بدل من (يوم الفرقان) أو معمول (اذكر) محذوفا﴿ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنامِكَ قَلِيلاً ﴾ لتخبر أصحابك فيجترءوا على قتلهم﴿ ولَوأَراكَهُمْ كَثِيراً﴾ على

ما هم عليه ﴿لَفَشِلْتُمْ﴾ جبنتم وضعفتم ﴿ولَتَنازَعْتُمْ فِي الأمْرِ﴾ في أمر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار ﴿ولكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ﴾ المؤمنين من الفشل والتنازع بلطفه حتى بلغوا ما أرادوا ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ وما فيها من الجرأة والجبن، القمي: المخاطبة لرسول اللّه (ص) والمعنى لأصحابه أراهم اللّه قريشاً في منامهم انّهم قليل ولو أراكهم كثيرا لفزعوا، وعن الباقر (ع): كان إبليس يوم بدر يقلّل المسلمين في أعين الكفار ويكثّر الكفار في أعين الناس فسلّ عليه جبرئيل بالسيف فهرب منه وهو يقول: يا جبرئيل إني مؤجل حتى وقع في البحر ﴿ وإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً ﴾ تصديقاً لرؤيا النبي (ص) وتثبيتاً لكم ﴿ ويُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ حتى قال قائلهم: انما هم أكلة جزور، وقال آخر: ما هم الا أكلة رأس، لو بعثنا عليهم عبيدنا لاخذوهم أخذا باليد، وانما قلّلهم في أعينهم ليجترؤوا عليهم قبل اللقاء ثم كثّرهم بعد اللقاء ﴿ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً وإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الامُورُ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً ﴾ حاربتم جماعة كافرة، أو باغية ﴿ فَاثْبُتُوا﴾ لقتلهم ﴿ واذْكُرُوا اللّهَ كَثِيراً﴾ في مواطن الحرب مستعينين به على قتالهم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لكي تنجحوا بالصبر والظفر بهم.

[سورة الأنفال الآيات ٤٦ – ٥٢]

وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى

بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

﴿ وأَطيعُوا اللّهَ ورَسُولَهُ ولا تَنازَعُوا﴾ باختلاف الآراء في لقاء العدوّ﴿ فَتَفْشَلُوا﴾ فتجبنوا عن قتالهم منصوب في جواب النهي﴿ وتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ صولتكم وقوتكم، أو دولتكم شبهت الدولة بالريح في نفاذ أمرها، والريح ـ هنا ـ كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد، وقيل: المراد ريح النصر التي يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله، ومنه قوله (ص): نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدّبور﴿ واصْبِرُوا﴾ على قتال العدو﴿ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ﴾ بالكلالة[1] والنصر﴿ ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ ﴾ يعني: قريشاً خرجوا من مكة لحماية غيرهم معهم القيان[2] والخمور ﴿ بَطَراً﴾ فخراً وأشراً﴿ ورِئاءَ النّاسِ﴾ ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة ﴿ ويَصُدُّونَ﴾

(١) الكلالة ـ هنا ـ بمعنى: الضعف، يقال: (كلّ السيف) اذا لم يقطع ، والمراد : أن الله تعالى نصرهم بإضعاف عدوهم.

(٢) العبيد، جمع (قنّ)

في محل النصب عطفاً على (بطر ورياء الناس) هما مصدران وقعا موقع الحال أي: يبطرون ويراؤن ويصدون غيرهم ﴿ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لا على خرجوا إذ لا يعطف مستقبل على ماض﴿ واللَّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ وإِذْ﴾ منصوب بـ(اذكر) أوعطفاً على حال المشركين في خروجهم بطراً ورياء الناس أي: في وقت ﴿ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ﴾ حسّنها لهم في معاداة الرسول وسيّرهم إلى بدر لقتاله﴿ وقالَ لا غالبَ لَكُمُ ﴾ خبر (غالب)، أو صفته، لا صلته﴿ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾ لكثرة عددكم وقوّتكم﴿ وإِنِّي جارٌ﴾ مجير ﴿ لَكُمْ﴾ من كنانة﴿ فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ﴾ تلاقى الفريقان﴿ نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ﴾ رجع القهقرى منهزماً وبطل كيده﴿ وقالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾ رجعت عمّا ضمنت لكم من الأمان والسلامة﴿ إِنِّي أَرى ما لا تَرَوْنَ﴾ من جنود الملائكة﴿ إِنِّي أَخافُ اللَّهَ ﴾ أن يصيبني بعذابه على أيدي من أراهم﴿ واللَّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾ لا يطاق عذابه وكذب عدو اللّه ما به من مخافة ولكنه علم أن لا قوّة له ولا منعة، عن الباقر (ع): انهم لما التقوا كان إبليس في صف المشركين آخذاً بيد الحارث بن هشام، فنكص على عقبيه، فقال له الحارث: يا سراقة إتخذ لنا على هذه، فقال: إني أرى ما لا ترون فقال: والله ما نرى إلا جواميس يثرب، فدفع في صدر الحارث وانطلق وانهزم الناس، فلما قدموا مكة قال الناس: هزم سراقة، فبلغ سراقة فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم، فقالوا: إنك أتيتنا يوم كذا، فحلف لهم، فلمّا اسلموا علموا إن ذلك كان الشيطان، واذكر﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ﴾ أوخبر محذوف أي: ذاك إذ يقول المنافقون الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام﴿ والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك في الإسلام مع إظهاره باللسان﴿ غَرَّ هؤُلاءِ﴾ يعني: المسلمين﴿ دِينُهُمْ﴾ حتى تعرضوا مع قلتهم لقتال جم غفير﴿ ومَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ جواب لهم، وبيان ان المشركين هم المغرّون، أي: ومن يسلم الأمر للّه ويثق به﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يغلب،

ولا يغلب من توكل عليه وإنْ ضعف وقلّ عدده﴿ حَكِيمٌ﴾ يضع الأمور على ما تقتضيه الحكمة﴿ ولَوتَرى﴾ مفعوله محذوف، أي: لورأيت الكفرة فانّ (لو) تجعل المضارع ماضياً عكس (إن) وجوابها محذوف لتهويل الأمر أي: لرأيت منظراً عظيماً﴿ إذْ﴾ ظرف لـ(ترى)﴿ يَتوَفَّى الَّذينَ كَفرُوا الْمَلائكَةُ﴾ يقبضون أرواحهم عند الموت، أوببدر﴿ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وأَدْبارَهُمْ﴾ أي: أجسادهم من قدامهم وخلفهم، وروي: انما أراد أستاههم ان الله كريم يكنّى﴿ وذُوقُوا﴾ عطف على (يضربون) بإضمار القول أي: يقولون لهم: ذوقوا﴿ عَذابَ الْحَرِيقِ﴾ في الآخرة﴿ ذلكَ﴾ العقاب﴿ بما قَدَّمَتْ أيديكُمْ﴾ بسبب ما كسبته من الكفر والمعاصي، وأضيف إلى اليد تغليباً لأن أكثر الأعمال تكون بها﴿ وأنَّ اللَّهَ لَيسَ بظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ يعاقبهم على قدر استحقاقهم، ودأب هؤلاء ﴿ كَدَأْبِ آلِ فرْعَوْنَ﴾ أي: عادتهم في الكفر بمحمد (ص) كعادة آل فرعون﴿ والَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ في الكفر بالرسل وما أنزل إليهم﴿كَفَرُوا بآياتِ اللَّهِ﴾ تفسير لدأبهم﴿ فَأَخَذَهُمُ﴾ فعاقبهم﴿ اللَّهُ بذُنُوبِهِمْ﴾ كما عاقب هؤلاء ﴿ إنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ لا يقدر أحد على منعه﴿ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾ العقاب لهم.

[سورة الأنفال الآيات ٥٣ - ٦١]

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ

ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾

﴿ ذلكَ بِأَنَّ اللَّهَ﴾ بسبب أنه ﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَها عَلى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾ من حال مرضية، إلى غير مرضية ومن الطاعة إلى المعصية، ومن الشكر إلى الكفر، وقد أنعم الله على قريش بمحمد (ص) فغيّروا حالهم في صلة الرّحم

والكفّ عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول وتابعيه، والسعي في إراقة دمائهم، والتكذيب بالآيات والإستهزاء بها، فنقله الله إلى غيرهم وأخزاهم﴿ وأنّ اللّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم﴿ عَلِيمٌ﴾ بضمائرهم﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ والَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بآياتِ رَبِّهِمْ فَأهلكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وأَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ كرّر للتأكيد، أو لأنه أريد بالأول بيان حالهم في استحقاق عذاب الآخرة، وبالثاني إستحقاق عذاب الدنيا ﴿ وكُلٌّ﴾ من غرقى آل فرعون وقتلى قريش﴿كانُوا ظالِمِينَ﴾ أنفسهم بكفرهم ومعاصيهم﴿ إنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِنْدَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وأصروا على الكفر﴿ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يتوقع منهم إيمان، عن الباقر (ع): نزلت في بني أمية فهم أشرّ خلق الله وهم الذين كفروا في بطن القرآن ﴿ الَّذِينَ﴾ بدل بعض من (الذين كفروا) ﴿ عاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ عاهدتهم من المشركين، أو (من) زائدة لتضمن المعاهدة معنى الأخذ﴿ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ أي: كلما عاهدتم نقضوا العهد ولم يفوا، قيل: هم يهود بني قريظة عاهدهم رسول الله (ص) على أن لا يمالئوا[1] عليه عدواً فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسّلاح، وقالوا: نسينا، ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوا عليه الأعراب يوم الخندق، والقمي: هم أصحابه الذين فرّوا يوم أحد﴿ وهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾ نقض العهد، أو عاقبة الغدر﴿ فَإمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ أي: إن صادفتهم وظفرت بهم﴿ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾ أي: نكّل بهم تنكيلاً باعثاً لتشريد غيرهم من ناقضي العهود، والتشريد: الطرد والتفريق على اضطراب﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾كي يتعظوا بهم وينزجروا عن مثل فعلهم﴿ وإمَّا تَخافَنَّ﴾ وان خفت﴿ مِنْ قَوْمٍ ﴾ بينك وبينهم عهد﴿ خِيانَةً﴾ نقض عهد بأمارات تلوح﴿ فَانْبِذْ﴾ فألق﴿ إلَيْهِمْ﴾ عهدهم وأعلمهم انك نقضت ما شرطت لهم لتكون

---

(١) يساعدوا، يقال: مالأه على الأمر أي: ساعده وعاونه.

أنت وهم في العلم في النقض﴿ عَلى سَواء﴾ على استواء، ولا تبدأهم بالقتال قبل ان تعلمهم بنقض العهد فينسبوك إلى الغدر﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخائنينَ﴾ أي: يبغضهم وان كان عدم المحبة أعم وهذا تعليل للأمر بالنبذ، قيل: نزلت في بني قينقاع، وبهذه الآية سار النبي (ص) إليهم، والقمي: نزلت في معاوية لما خان أميرالمؤمنين﴿ ولا يَحْسَبَنَّ الَّذينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ ساد مسد المفعولين، وقرأ بالغيبة أي: لا يحسبون أنفسهم سبقوا﴿ إِنَّهُمْ﴾ بكسر الهمزة وفتحها﴿ لا يُعْجِزُونَ﴾ لا يفوتوننا ﴿ وأَعِدُّوا ﴾أيها المؤمنون﴿ لَهُمْ﴾ للكفّار﴿ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ كل ما يتقوى به في الحرب كالرجال والسلاح والحصون واتفاق الكلمة، وروي: ان القوّة الرمي، وعن الصادق (ع): سيف وترس، والقمي: السلاح، والظاهر العموم، وروي: منه الخضاب بالسواد﴿ ومِنْ رِباطِ الْخَيْلِ﴾ واقتنائها للجهاد وهومن أقوى عدد الجهاد، من عطف الخاص على العام﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ﴾ تخيفون بما تعدونه لهم﴿ عَدُوَاللَّهِ وعَدُوَّكُمْ ﴾كفّار مكة، أو أعم﴿ وآخَرِينَ ﴾ عطف على (عدو اللّه) أوالضمير المجرور﴿ مِنْ دُونِهِمْ﴾ من غيرهم من الكفرة، وفي كونهم بني قريضة، أو أهل فارس أو البغاة، أو كفرة الجن، أو المنافقين، أقوال ﴿ لا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ أيها المسلمون انهم أعداؤكم، أو بأعيانهم﴿ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ لأنه العالم بالسرائر﴿ وما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ في سَبيلِ اللَّهِ﴾ في طاعته ومنه الجهاد﴿ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه﴿ وأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ لا تنقصون شيئاً منه﴿ وإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾ بفتح السين وبكسرها لغتان، أي: أن مالوا إلى الصلح وترك الحرب﴿ فَاجْنَحْ لَها﴾ فمل إليها، والتأنيث لمعنى المسالمة، أو للحمل على نقيضها، وهي: الحرب القمي: هي منسوخة بقوله (ولا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون)[1] وسئل الصادق (ع): ما السلم؟ قال:

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٩.

الدخول في أمرنا﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فوض أمرك إليه ولا تخف منهم فانّ الله عاصمك ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيّاتهم.

[سورة الأنفال الآيات ٦٢ - ٦٩]

وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ

يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

﴿ وإنْ يُرِيدُوا﴾ الذين طلبوا منك الصلح﴿ أنْ يَخْدَعُوكَ﴾ بأن يقصدوا دفع القتال عنهم حتى يقوى أمرهم فيبدؤك به من غير استعداد منهم﴿ فَإنَّ حَسْبَكَ﴾ الذي يتولى كفأيتك ﴿ اللَّهُ﴾ عن الباقر (ع): ان هؤلاء قوم كانوا معه من قريش﴿ هُوالَّذي أي:دكَ﴾ قوّاك﴿ بِنَصْرِه وبالْمُؤْمنينَ﴾ روي: أنه علي (ع)، واطلاق (المؤمنين) عليه لأنه أميرهم﴿وألَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ حتى صاروا متحابين بعد ما كان بينهم التباغض والتحارب، عن الباقر (ع): هم الأنصار وهم الأوس والخزرج، وزاد القمي: قال: بين الأوس والخزرج حرب شديدة وعداوة في الجاهلية، فألف اللّه بين قلوبهم، ونصر بهم نبيه (ص)﴿ لَوأنْفَقْتَ﴾ أي: تناهت عداوتهم إلى حد لوأنفق منفق﴿ ما فِي الارْضِ جَمِيعاً﴾ من الأموال﴿ ما أَلَّفتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ولكنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بلطفه، بأن جمعهم على الإسلام﴿ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ لا يمتنع عليه شيء يريد فعله، ولا يفعل إلاّ ما تقتضي الحكمة﴿ يا أيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ﴾ كافيك﴿ اللَّهُ ومَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنينَ﴾ عطف على (اللّه) أي: ويكفيك متبعوك من المؤمنين، روي: أنها نزلت في عليّ (ع)، وقيل: نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال﴿ يا أيهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ﴾ حثَّ ﴿الْمُؤْمِنينَ عَلَى الْقتال ﴾ ورغّبهم فيه، بذكر الثواب والوعد بالنصر والغنيمة﴿ إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ﴾ على القتال﴿ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ من العدو﴿ وإنْ يَكُنْ﴾ بالياء

والتاء ﴿ مِنْكُمْ مائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ﴾ ذلك النصر من الله بسبب أنهم﴿ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ أمر الله، ولا يصدّقونه في وعده، فهم يقاتلون على غير ـ بصيرة بخلاف المؤمنين ـ ولما علم الله ان ذلك يشق عليهم تغيرت المصلحة فنسخ بقوله: ﴿ الانَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ الحكم من مقابلة الواحد العشرة﴿ وعَلِمَ أَنَّ فيكُمْ ضَعْفاً﴾ بفتح الضاد وبضمها لغتان، وفي كونه ضعف البدن أوضعف البصيرة والعزيمة قولان﴿ فَإِنْ يَكُنْ﴾ بالياء والتاء﴿ مِنْكُمْ مائَةٌ صابرةٌ﴾ على القتال﴿ يَغْلِبُوا مائَتَيْنِ﴾ من العدو﴿ وإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بعلمه، أوبأمره، عن الصادق (ع): نسخ الرجلان بالعشرة﴿ واللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالنصر، عن علي (ع): من فرّ من رجلين في القتال من الزحف فلم يفرّ ﴿ ما كانَ لِنَبِيٍّ﴾ ليس له ولا في عهد الله له﴿ أَنْ يَكُونَ﴾ بالياء والتاء﴿ لَهُ أَسْرى﴾ وزن (حبالى) و(أسرى) وهوأقيس لأن (فعيل) بمعنى:: مفعول يجمع على (فعلى) كـ(جريح وجرحى) ﴿ حَتَّى يُثْخِنَ فِي الارْضِ الإثخان﴾ الغلبة على البلدان﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا﴾ متاعها، خطاب للمؤمنين الراغبين في الفداء من الأسرى﴿ واللَّهُ يُرِيدُ﴾ لكم﴿ الاخِرَةَ﴾ أي: ثوابها، أوسبب نيلها من إعزاز دينه﴿ واللَّهُ عَزِيزٌ ﴾يغلّب أولياءه على أعدائه ﴿ حَكِيمٌ﴾ تجري أفعاله على مقتضى الحكمة﴿ لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ لولا ما مضى من حكم الله ان لا يعذب قوما حتى يبين لهم ما يتقون ولم يبين لكم لعذبكم، أولولا أنّه حكم لكم بإباحة الغنائم في أم الكتاب وهواللوح المحفوظ لمسّكم فيما استحللتم قبل الإباحة عذاب عظيم، فان الغنائم لم تحل لأحد قبلكم، أو لولا كتاب من الله وهو القرآن فآمنتم به فاستوجبتم الغفران لمسّكم العذاب، أولولا ما كتب في القرآن أو اللوح أنّه لا يعذبكم والنبي فيكم لعذبكم﴿ فَكُلُوا﴾ (الفاء) للتسبيب والسبب

محذوف أي: أبحت لكم الفداء فكلو﴿ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ من الفدية﴿ حَلالاً﴾ حال (مما) أو صفه مصدر محذوف أي: أكلاً حلالاً﴿ طَيِّباً﴾ موافقاً للطبع، وخصص الأكل لكونه أعظم الانتفاعات﴿ واتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مخالفته﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوبكم ﴿ رَحِيمٌ﴾ أباح لكم ما أخذتم.

[سورة الأنفال الآيات ٧٠ - ٧٥]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

﴿ يا أيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أيدِيكُمْ مِنَ الاسْرى﴾ وقرئ (الأسرى) والمراد: أسرى بدر وذكر (الأيدي) لأن من كان في وثاقهم بمنزلة من كان في أيديهم ﴿ إنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلوبِكُمْ خَيْراً﴾ رغبة في الإيمان بخلوص عقيدة وصحة نية ﴿ يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ من الفداء في الدنيا والآخرة﴿ ويَغْفِرْ لَكُمْ واللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ عن الصادق (ع): أنها نزلت في العبّاس وعقيل ونوفل، وقال: أن رسول الله (ص) نهى يوم بدر أن يقتل أحد من بني هاشم﴿ وإِنْ يُرِيدُوا خِيانَتَكَ﴾ بأن يعقدوا لك حرباً، أوينصروا عليك عدواً﴿ فَقَدْ خانُوا اللَّهَ﴾ بالخروج إلى بدر، أوبالكفر﴿ مِنْ قَبْلُ﴾ القمي: وان يريدوا خيانتك في علي (ع): فقد خانوا الله من قبل فيك كما مضى في قصة بدر﴿ فَأَمْكَنَ﴾ فأمكنك﴿ مِنْهُمْ﴾ يوم بدر، فإن خانوا ثانياً فستمكن منهم ثانياً بالقتل والأسر﴿ واللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما في نفوسهم﴿ حَكِيمٌ﴾ فيما يفعله بهم﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وهاجَرُوا﴾ من مكة إلى المدينة، أي: فارقوا أوطانهم وقومهم حبّا لله ولرسوله﴿ وجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ صرفوا أموالهم وبذلوا أنفسهم في طاعة الله وإعزاز دينه ﴿ والَّذِينَ آوَوْا﴾ النبي (ص) والمهاجرين أي:: جعلوا لهم مأوى وأسكنوهم منازلهم﴿ ونَصَرُوا﴾ على الأعداء بعد الأيواء وهم:

الأنصار﴿ بَعْضُهُمْ أولِياءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة والمظاهرة و ـ ان لم يكن بينهم قرابة ـ أوفي التوارث، وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون القرابة حتى نسخ بآية أولي الأرحام، وعن الباقر (ع): انهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاة الأولى ﴿ والَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يُهاجِرُوا﴾ إلى المدينة﴿ ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ﴾ بفتح الواومن النصرة والسّبب ويكسرها من الأمارة وهي لغة في الأخرى، أي: من توليهم في الميراث أي: ما لكم من موالاتهم ونصرتهم﴿ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا ﴾ عنهما (ع): أن أهل مكة لا يوالون أهل المدينة﴿ وإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ﴾ أي: طلب المؤمنون الذين لم يهاجروا منكم النصرة على الكفّار﴿ فِي الدِّينِ﴾ لا في غيره﴿ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ لهم﴿ إلاَّ عَلَى قَوْمٍ﴾ إلا أن يطلبوا منكم بالنصرة لهم على قوم من المشركين﴿ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ﴾ أمان وعهد يجب الوفاء به، فلا تنصروهم عليهم لما فيه من نقض العهد﴿ واللَّهُ بما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يخفى عليه شيء من أعمالهم﴿ والَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أولِياءُ بَعْضٍ﴾ في المؤازرة والميراث، ويدل بمفهومه على منع التوارث والمؤازرة بينهم وبين المسلمين ﴿ إلاَّ تَفْعَلُوهُ﴾ خبر في الأمر أي: الا تفعلوا ما أمرتم به من التناصر والتعاون والتوارث والتبرء من الكفّار﴿ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الارْضِ وفَسادٌ كَبِيرٌ﴾ على المؤمنين الذين لم يهاجروا والفتنة ـ هنا ـ المحنة بالميل إلى الضلال، والفساد الكبير: ضعف الإيمان، أو سفك الدماء، لأن المسلمين ما لم يكونوا يداً واحدة على المشركين وقع ذلك ﴿ والَّذِينَ آمَنُوا بالله ورسوله وهاجَرُوا﴾ إلى المدينة ﴿ وجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في إعلاء دينه والذين آووا المهاجرين ونصروا النبي ﴿ أولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ لأنهم حققوا إيمانهم بهجرتهم ونصرتهم وانسلاخهم من الأهل والمال والنفس لأجل الدّين، بخلاف من أقام ببلاد الشرك ولم يهاجر ولم ينصر﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ورِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لا يشوبه ما ينغصه، وقيل: هوطعام أهل الجنة لأنه لا

يستحيل في أجوافهم نجواً بل يصير كالمسك ريحاً﴿ والَّذينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ﴾ بعد الفتح﴿ وهاجَرُوا﴾ بعد هجرتكم﴿ وجاهَدُوا مَعَكُمْ﴾ أيها المؤمنون من المهاجرين والأنصار﴿ فَأُولئكَ مِنْكُمْ﴾ مؤمنون مثلكم ـ وإن تأخر إيمانهم وهجرتهم ـ﴿ وأُولُوا الأرْحامِ﴾ وذووالقرابات﴿ بَعْضُهُمْ أولى بِبَعْضٍ﴾ أحق بميراثه من غيره وهوناسخ لما قبله من التوارث بالهجرة والنصرة﴿ فِي كِتابِ اللَّهِ﴾ القرآن أواللوح المحفوظ، ويدل على أن من كان أقرب إلى الميت في النسب كان أولى بالميراث، سواء كان له سهم أولا، ذا عصبة أم لا﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ من المواريث وغيرها، وبالحكمة في إناطتها بنسبة الإسلام والمظاهرة أولاً وبإعتبار القرابة ثانياً.

تمت ـ ولله الحمد ـ سورة الأنفال وتفسيرها.

سورة التّوبة

مائة وثلاثون آية، مدنية.

[الآيات ١ – ٦]

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ

لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

سميت بذلك لما فيها من ذكر التوبة، و(براءة) لإفتتاحها بها، و(الفاضحة) لأنها فضحت المنافقين بإظهار نفاقهم، و(المبعثرة) لأنها تبعثر عن أسرارهم، و(البحوث) لأنها تبحث عن سرائرهم، و(الحافرة) لأنها حفرت عن قلوبهم ما كانوا يسترونه، و(المثيرة) لأنها أثارت مخازيهم، و(المقشقة) لأنها تبرئ من آمن بها من النفاق، و(المدمدمة) أي: المهلكة و(سورة العذاب) وهي مائة وثلاثون آية نزلت بالمدينة وهي آخر ما نزل على النبي (ص)، وعن النبي (ص): من قرأها بعثه الله يوم القيامة

برياً من النفاق، ومن كتبها وجعلها في عمامته، أوقلنسوته أمن من اللصوص في كل مكان، الخبر، وعن علي (ع): لم ينزل بسم الله الرحمن الرحيم على رأس سورة براءة لأن (بسم الله) للأمان والرحمة ونزلت براءة لدفع الأمان والسيف، وعن الصادق (ع) (الأنفال) و(براءة) واحدة﴿ بَراءَةٌ﴾ أي: هذه الآيات (براءة) أومبتدأ لوصفها بقوله: ﴿ مِنَ اللَّهِ﴾ حاصلة من الله﴿ ورَسُولِهِ﴾ والخبر قوله: ﴿ إلى الَّذينَ عاهَدْتُمْ ﴾ الخطاب للنبي وأصحابه ﴿ مِنَ الْمُشْرِكينَ﴾ أي: بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين وجاز نقضه لأنه (ص) شرط عليهم بقاءه إلى أن يدفعه الله بوحي، أولأنهم نقضوه، أو همّوا بنقضه﴿ فَسيحُوا فِي الارْضِ﴾ الخطاب للمشركين أي: سيروا في مهل في الأرض أين شئتم﴿ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ ﴾ آمنين من السيف ثم القتل لكم إن لم تسلموا، عن الرضا (ع): فأجل الله المشركين الذين حجّوا تلك السنة أربعة أشهر حتى يرجعوا إلى مأمنهم، ثم يقتلون حيث وجدوا، وقد تواتر بين العامة والخاصة على الولاأية من النبي لعلي (ع): في أداء سورة براءة وعزل أبي بكر بالوحي عن الله أن لا يؤدي عنّي إلا أنت أو رجل منك﴿ واعْلَمُوا أنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ لأنكم أينما كنتم تحت سلطانه﴿ وأنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكافِرينَ﴾ مذلهم بالقتل والأسر في الدنيا، وبالنار في الآخرة﴿ وأذانٌ﴾ عطف على (براءة) أو مبتدأ محذوف الخبر أي: عليكم أذان﴿ مِنَ اللَّهِ ورَسُولِهِ إلى النَّاسِ﴾ أي: أيذان وإعلام بمعنى: الأمر أي: أذنوا الناس وأعلموهم﴿ يَوْمَ الْحَجِّ الاكْبَرِ﴾ يوم العيد لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله، ولأن الإعلام كان فيه، وعن السجّاد (ع): الأذان: امير المؤمنين وفي عدة أخبار يوم الحج الأكبر: يوم النحر والأصغر: العمرة، وروي: الحج الأكبر: الوقوف بعرفة ورمي الجمار والحج الأصغر: العمرة، وعن علي (ع): الحج الأكبر: يوم النحر﴿ أنَّ اللَّهَ﴾ مفعول له،

أو خبر (أذان) ﴿بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ من عهدهم ﴿ورَسُولِه﴾ بريء منهم أيضاً، أو معطوف على ضمير (بريء) ولا تكرار فيه لان الأول لنقض العهد والثاني لقطع الموالاة والإحسان، أو الأول إخبار بثبوت البراءة، والثاني إخبار بإعلامها الناس، ولهذا علقّهم بها ولم يخص المعاهدين ﴿فَإِنْ تُبْتُمْ﴾ في هذه المدّة من الكفر والغدر ﴿فَهُوَخَيْرٌ لَكُمْ ﴾ من الإقامة على الشرك، لأنكم تنجون من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ﴿ وإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن التوبة ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجزي اللَّه﴾ لا يفوتكم بأسه وعذابه ﴿ وبَشِّرِ﴾ عطف على معنى الأذان أي: أذّن وبشّر ﴿ الَّذينَ كَفَرُوا بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم في الآخرة ﴿ إلاَّ الَّذينَ عاهَدْتُمْ﴾ إستثناء ﴿ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أواستدراك ﴿ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ ﴾ من شروط العهد ﴿ شَيْئاً ولَمْ يُظاهِرُوا﴾ لم يعاونوا ﴿ عَلَيْكُمْ أَحَداً﴾ من أعدائكم ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إلى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ لنقض العهد تعليل وتنبيه على أن إتمام العهد من التقوى ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ﴾ انقضى ﴿ الاشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ التي أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها، وعن الباقر (ع): هي يوم النحر إلى عشر مضين من ربيع، ولعل تسميتها (حرما) لتحريم دماء المشركين فيها، والقول بكونها أشهر الحرم المعروفة مخلّ بالنظم مخالف للإجماع فأنه يقتضي بقاء حرمة الأشهر الحرم إذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ الناكثين ﴿ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ في أشهر الحرم وغيرها، في الحل والحرم، وهذا ناسخ لكل آية وردت في الصلح والأعراض عنهم ﴿ وخُذُوهُمْ﴾ وأسروهم ﴿ واحْصُرُوهُمْ﴾ واحبسوهم واسترقوهم، أو فادوهم بمال وامنعوهم دخول مكة والتصرف في بلاد الإسلام ﴿ واقْعُدُوا لَهُمْ﴾ لقتلهم وأسرهم ﴿ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ بكل ممرّ وطريق تظنون مرورهم فيه وضيّقوا المسالك عليهم ﴿ فَإِنْ تابُوا﴾ عن الشرك وآمنوا ﴿ وأَقامُوا الصَّلاةَ

وآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾ أي: انقادوا للشرع وان لم يحصل الفعل فإن عصمة الدم تتوقف على قبول إقامة الصلاة لا على إقامتها﴿ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ ودعوهم يحجوا معكم ويتصرفوا في البلاد، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما سلف منهم ﴿ رَحِيمٌ﴾ بهم، واستدل بالآية على وجوب قتل تارك الصلاة عمداً﴿ وإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فاعل فعل يفسره ما بعده ﴿ اسْتَجارَكَ﴾ استأمنك﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾ أي: إنْ طلب منك الأمان أحد من المشركين المأمور بقتالهم بعد الأربعة أشهر ليسمع دعوتك وحجتك فآمنه، وبيّن له ما يريد وأمهله حتى يسمع كلام الله ويتدبره، وخصّه لأنّ معظم الأدلة فيه﴿ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ موضع أمنه وديار قومه، القمي: قال اقرأ عليه وعرّفه، ثم لا تتعرض له حتى يرجع إلى موضع أمنه﴿ ذلِكَ﴾ الأمان لهم﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ﴾ ما حقيقة الإيمان الذي تدعوهم إليه، فلا بد من أمنهم حتى يسمعوا ويتدبروا فيعلموا.

[سورة التوبة الآيات ٧ – ١٣]

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا

فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ۝١٠ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝١١ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ۝١٢ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٣

﴿كَيفَ﴾ خبر ﴿يَكُونُ﴾ إستفهام بمعنى: الإنكار والإستبعاد ﴿لأن يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ صحيح ﴿عِنْدَ اللَّهِ وعِنْدَ رَسُولِه﴾ لا ينكثونه مع إضمارهم الغدر فلا تطمعوا في ذلك ﴿إلاَّ الَّذِينَ﴾ محله النصب على الإستثناء، أو الجر على البدل، أو الرفع على أن الاستثناء منقطع، أي:: لكن الذين ﴿عاهَدتُمْ﴾ منهم ﴿عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ﴾ ولم يضمروا الغدر بكم فلهم عهد ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ﴾ على العهد ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ على الوفاء ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ للنكث والغدر ﴿كَيفَ﴾ تكرار لاستبعاد إثباتهم على العهد، وحذف الفعل لدلالة ما قبله عليه، أي: كيف يكون لهم عهد ولا تقتلونهم ﴿وَ﴾ الحال أنهم ﴿إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ ويظفروا بكم ﴿لا يَرْقُبُوا﴾

لا يراعوا﴿ فِيكُمْ إِلاًّ﴾ قرابة وحلفاً﴿ وَلا ذِمَّةً ﴾ عهداً، أو حقاً، وقيل: مترادفان جمع بينهما لإختلاف اللفظين﴿ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ يتكلمون بكلام الموالين لترضوا عنهم﴿ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾ إلا الغدر ونقض العهد، استيناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ متمردون في الكفر وتخصيص الأكثر لما يوجد في بعضهم من التعفف عن الغدر، أو المراد كلّهم فاسقون وضع الخصوص موضع العموم﴿ اشْتَرَوْا﴾ استبدلوا﴿ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ عوضاً يسيراً﴿ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ فأعرضوا عن دينه وصرفوا غيرهم عنه ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بئس العمل عملهم﴿ لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً﴾ تفسير لما قبله، أوكرر للتوكيد، أولأن الأول في صفة الناكثين والثاني في صفة الذين اشتروا بأيات الله ثمناً قليلاً﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ المتجاوزون الغاية في الكفر﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ عن الكفر ونقض العهد ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ أي: قبلوا الإسلام والتزموا أحكامه﴿ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ فهم إخوانكم﴿ فِي الدِّينِ﴾ لهم ما لكم وعليهم ما عليكم﴿ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ نبيّنها﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فيتفكرون فيها وطعنوا﴿ وَإِنْ نَكَثُوا إِيمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ ونقضوا ما عقدوه﴿ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ قدحوا فيه وعابوه﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ فقاتلوهم، وضع الظاهر موضع المضمر اشعاراً بأنهم صاروا بذلك رؤساء الكفر، والضلالة وخصّهم لأنهم يضلون أتباعهم مع احتمال إرادة العموم، فإن كل كافر إمام لنفسه ﴿ إِنَّهُمْ لا إِيمَانَ لَهُمْ﴾ بفتح الهمزة وكسرها ـ كما عن الصادق (ع) ـ: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ أي: قاتلوهم لينتهوا عن الكفر فإنهم لا ينتهون بدون القتال، القمي: نزلت هذه الآية في أصحاب الجمل، وقال علي (ع): ما قاتلت هذه الفئة الباغية إلاّ بآية من كتاب الله: (وان نكثوا إيمانهم) الآية ﴿ أَ لا﴾ هلاّ ﴿ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا إِيمَانَهُمْ﴾

نقضوا عهودهم مع الرسول والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم﴿ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ﴾كما مرّ في (وإذ يمكر بك الذين كفروا)﴿ وَهُمْ بَدَؤُكُمْ أولَ مَرَّةٍ﴾ بنقض العهد فقاتلوكم ببدر وقاتلوا حلفاءكم من خزاعة، والبادي أظلم، فما يمنعكم من مقاتلتهم بمثله ﴿ أَ تَخْشَوْنَهُمْ﴾ أتتركون قتالهم مخافة أن ينالكم منهم مكروه لفظة استفهام، والمراد: تشجيع المؤمنين، وفيه غاية الفصاحة للجمع بين التقريع والتشجيع ﴿ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ في ترك أمره بقتالهم﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بعقابه وثوابه، أو المراد: ان المؤمن لا يخشى إلا ربه.

[سورة التوبة الآيات ١٤ - ٢٠]

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ

إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

﴿ قاتِلُوهُمْ﴾ أمر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه﴿ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيدِيكُمْ﴾ قتلاً وأسراً ﴿ ويُخْزِهِمْ﴾ ويذلهم﴿وَيَنْصُرْكُمْ﴾ أيها المؤمنون﴿ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ بني خزاعة حلفاء النبي (ص)﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ويكون ذلك النصر شفاء لقلوب المؤمنين التي امتلأت غيظاً لكثرة ما نالهم من الأذى وقد أنجز الله هذه المواعيد كلها، والآية من دلائل النبوة﴿ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلى مَنْ يَشاءُ﴾ إستئناف وترغيب في أن الله يقبل توبة من تاب منهم ـ مع فرط تعديهم ـ رحمة منه وتفضلاً ﴿ واللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بتوبتهم إذا تابوا﴿ حَكِيمٌ﴾ في أمركم بقتالهم إذا نكثوا قبل أن يتوبوا﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا﴾ من دون أن تكلفوا الجهاد في سبيل الله مع الإخلاص، و(أم) منقطعة وهمزتها للتوبيخ على الحسبان أي: انكم لا تتركون على ما أنتم عليه﴿ ولَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ ولما يظهر ما علم الله منكم ذكر نفي العلم، والمراد: نفي المعلوم تأكيداً للنفي فأنه كالبرهان عليه﴿ ولَمْ يَتَّخِذُوا﴾ عطف على (جاهدوا) أي: ولمّا يعلم الله الذين لم يتخذوا﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ولا رَسُولِهِ ولا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ بطانة ودخلاء من المشركين يوالونهم، القمي: أي: لمّا يرى

فأقام العلم مقام الرؤية، وعن الباقر (ع) يعني بالمؤمنين آل محمد (ص)، والوليجة: البطانة، وعن الزكي (ع): الوليجة التي تقام دون ولي الأمر والمؤمنون الأئمة الذين يؤمنون على الله فيجيز أمانهم﴿ واللَّهُ خَبيرٌ بما تَعْمَلُونَ﴾ بأعمالكم فيجازيكم عليها ﴿ ما كانَ﴾ ما صحّ﴿ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ ولا استقام لهم﴿ أنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللَّهِ﴾ على الجمع والإفراد، والمراد: المسجد الحرام لان كل موضع منه مسجد، أولأنه قبلة المساجد وإمامها، أو يعم المساجد﴿ شاهِدِينَ ﴾ في حال شهادتهم﴿ عَلى أنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ بأقوالهم وأفعالهم كسجودهم لأصنامهم مع إعترافهم بأنها مخلوقة لا خالقة، وروي: أن المسلمين عيّروا أسارى بدر ووبّخ عليّ (ع): العباس بقتال رسول الله (ص) وقطيعة الرحم، فقال العباس: تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا: أولكم محاسن؟ قال: نعم إنّا نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني[1]، فنزلت ﴿ أولئكَ حَبِطَتْ أعْمالُهُمْ﴾ التي هي من جنس الطاعات للمؤمنين كالعمارة والسقاية والحجابة﴿ وفِي النَّارِ هُمْ خالِدُونَ﴾ في عذابها﴿ إنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ﴾ بزيارتها واقامة العبادات فيها، أو بنائها ومرمّتها وكنسها وتنويرها وصيانتها﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الاخرِ وأقامَ الصَّلاةَ﴾ بحدودها﴿ وآتى الزَّكاةَ﴾ أهلها﴿ ولَمْ يَخْشَ﴾ يخف أحداً﴿ إلاَّ اللَّهَ فَعَسى أولئكَ أنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ إلى الجنة، وعسى من الله واجب بالنص وذكر بصيغة التوقع قطعاً لأطماع المشركين في الاهتداء وانتفاعهم بأعمالهم﴿ أجَعَلْتُمْ﴾ استفهام انكاري، أي: لا تجعلوا ﴿ سِقايَةَ الْحاجِّ وعِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ﴾ كإيمان من آمن، ولا تجعلوا أهل السقاة والعمارة كمن آمن ﴿ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ وجاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وعن الباقر (ع): أنه قرأ (سقاة الحاج

---

(١) العاني - هنا- بمعنى: الأسير.

وعمرة المسجد) وعنه (ع): نزلت في علي والعباس وشيبة، قال العباس: أنا أفضل لان سقآية الحاج بيدي، وقال شيبة: أنا أفضل لأن حجابة البيت بيدي، وقال علي (ع): أنا أفضل فاني آمنت قبلكما ثم هاجرت وجاهدت، فرضوا برسول الله (ص) فأنزل الله تعالى الآية﴿ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللّهِ﴾ في الفضل والثواب﴿ واللّهُ لا يَهْدِي﴾ إلى طريق ثوابه﴿ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بالشرك، أوبالتسوية بينهم وبين المؤمنين﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وهاجَرُوا وجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأمْوالِهِمْ وأنْفُسِهِمْ أعْظَمُ دَرَجَةً﴾ وأكبر كرامة﴿ عِنْدَ اللّهِ﴾ ممن لم يستجمع هذه الصفات﴿ وأولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ﴾ المخصوصون بالظفر بالمطلوب ونيل الحسنى عند الله.

[سورة التوبة الآيات ٢١ - ٢٦]

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ

ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ﴾ في كتبه وعلى ألسنة رسله﴿ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ ورِضْوانٍ وجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ دائم لا يزول ولاينقطع، وفي التنكير إشارة إلى التعظيم ﴿ خالدِينَ فِيها أَبَداً﴾ أكّد بالتأبيد لأنه قد يستعمل في المكث الطويل﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ﴾ جزاء على العمل﴿ عَظِيمٌ﴾ لا يبلغه أجر البشر﴿ يا أيهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وإِخوانَكُمْ أولِياءَ﴾ في الدين﴿ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ﴾ اختاروا﴿ عَلَى الإِيمانِ﴾ عنهما (ع): نزلت في حاطب بن أبي بليغة حيث كتب إلى قريش يخبرهم بخبر النبي (ص) لما أراد فتح مكة، وقيل: لما أمروا بالهجرة كان يمنعهم منها، اقرباؤهم، فتركها بعض لذلك، فبيّن الله ان أمر الدين مقدّم على النسب ﴿ ومَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾ فيترك طاعة الله لأجلهم﴿ فَأولئكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنفسهم﴿ قُلْ﴾ لهؤلاء المتخلفين عن الهجرة ﴿ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وأَبناؤُكُمْ وإِخوانُكُمْ وأزْواجُكُمْ وعَشِيرَتُكُمْ﴾ وقرأ (عشيراتكم) أي: قراباتكم﴿ وأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها﴾ اكتسبتموها﴿ وتجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها﴾ فوات وقت نفاقها إذا شغلتم بطاعة الله﴿ ومَساكِنُ تَرْضَوْنَها﴾ يعجبكم المقام فيها﴿ أَحَبَّ

إِلَيْكُمْ﴾ آثر في نفوسكم وأقرب إلى قلوبكم﴿ مِنَ اللَّهِ ورَسُولِه وجهادٍ فِي سَبِيله فَتَرَبَّصُوا﴾ فانتظروا﴿ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِه﴾ بحكمه فيكم، أو بعقوبته ﴿ واللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ﴾ لا يرشدهم﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَواطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ مشاهد من مشاهد الحرب، وعنهم (ع): أنها كانت ثمانين موطناً﴿ ويَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ اسم وادٍ بين مكة والطائف، عطف على (مواطن)﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ وكانوا اثني عشر ألفاً، قيل: لما التقوا قال رجل من المسلمين: لن نغلب اليوم من قلة، فساءت مقالته رسول اللّه (ص)، والقائل الأول﴿ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ﴾ لم تدفع كثرتكم﴿ شَيْئاً وضاقَتْ عَلَيْكُمُ الارْضُ بِما رَحُبَتْ﴾ أي: مع رحبها وسعتها لا تجدون فيها مقراً تطمئن إليه نفوسكم من شدة الرعب﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ أي: وليتم العدو أدباركم منهزمين عنهم﴿ ثُمَّ أنزل اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ رحمته التي تسكن إليها النفس ويزول معها الخوف ﴿ عَلى رَسُولِه وعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أعاد الجار تنبيهاً على اختلاف حاليهما والمؤمنون هم الذين ثبتوا مع رسول اللّه ولم يفرّوا وهم علي والعبّاس مع بقية تسعة من بني هاشم وعاشرهم أي:من بن أم أيمن، وقتل يومئذ، وقيل: هم الذين انهزموا حتى بلغ أولهم مكة فرجعوا وقاتلوا وهم الأنصار خاصة﴿ وأنزل جُنُوداً﴾ من الملائكة﴿ لَمْ تَرَوْها﴾ بأعينكم﴿ وعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الدنيا بالقتل والأسر وسلب الأموال والأولاد، وعن الباقر (ع): هو القتل يعني: العذاب﴿وذلِكَ﴾ الذي فعل بهم﴿ جَزاءُ الْكافِرِينَ﴾ على كفرهم.

[سورة التوبة الآيات٢٧ - ٣١]

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ

ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةً فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ

﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذلكَ عَلى مَنْ يَشاءُ﴾ منهم بالتوفيق للإسلام، وعلّقه على المشية لأن قبول التوبة تفضل منه تعالى﴿ واللَّهُ غَفُورٌ﴾ يستر ذنوبهم﴿ رَحِيمٌ﴾ يتفضل عليهم، قيل: ذكر سبحانه (ثمّ) في ثلاثة مواضع وساغ عطف المستقبل على الماضي للمشاكلة، فإن الاولى: تذكر بالنعمة، والثانية: وعد بها ﴿ يا أيها الَّذينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ مصدر لا يثنى ولا يجمع أي: أنجاس نجاسة عينية ـ كما عليه

أصحابنا ـ والجمهور: انهم لا يغتسلون من الجنابة ولا يتجنبون النجاسات، أوكناَية عن خبث إعتقادهم﴿ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرامَ﴾ لنجاستهم، والنهي عن القرب مبالغة في المنع من الدخول﴿ بَعْدَ عامِهِمْ هذا﴾ هوعام تسع الذي نادى فيه علي بالبراءة﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ فقراً بسبب منعهم من الحرم﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شاءَ﴾ أن يغنيكم، القمي: الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام وقد أنجز وعده فأرسل عليهم السماء مدراراً، ووفق طائفة من أهل اليمن للإسلام، فحملوا إلى مكة الطعام وأوسع عليهم من غنائم أهل الحرب وجزية أهل الكتاب، وتوجه إليهم الناس من أقطار الأرض﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بمصالحكم﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يأمر وينهى﴿ قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ﴾ في كتابه﴿ وَرَسُولُهُ ﴾ وسنته كشرب الخمر، ونكاح المحرّمات، وإباحة لحم الخنزير﴿ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ﴾ بيان للذين لا يؤمنون وهم اليهود والنصارى وفي حكمهم المجوس فان لهم، كتاباً حرّفوه، ونبياً قتلوه فلهم شبهة كتاب، وقال (ص): سنّوا بهم سنة أهل الكتاب﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ وهي عندنا غير مقدّرة بل حسبما يراه الإمام﴿ عَنْ يَدٍ﴾ حال أي: نقداً لا نسيّة، كما يقال: باعه يداً بيد، أوبأي:ديهم من غير نائب، أوعن قدرة لكم عليهم وقهر لهم، أو عن إنعام لكم عليهم بقبول الجزية منهم وإقرارهم على دينهم﴿ وَهُمْ صاغِرُونَ﴾ تؤخذ منهم على الصغار والذل كأن يؤدوها وهم قيام والآخذ جالس ويصفقون على أقفيتهم﴿ وَقالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ﴾ بالتنوين مبتدأ خبره: ﴿ ابْنُ اللَّهِ﴾ أو خبر محذوف تقديره: نبينا، أو صاحبنا، والقائل بعضهم، وأضيف إلى الكل لرضاهم به، وعن النبي (ص) انه طالبهم فيه بالحجة فقالوا: لأنه أحيى لبني إسرائيل التوراة بعد ما ذهبت ولم يفعل بها هذا إلا لأنه

ابنه، فقال (ص): كيف صار عزير بن الله دون موسى، وهو الذي جاءهم بالتوراة ورأوا منه المعجزات ما قد علمتم فان كان عزير بن الله لما ظهر من إكرامه من إحياء التوراة، فقد كان موسى بالنبوة أحق وأولى﴿ وقالَتِ النَّصارى الْمَسيحُ ابْنُ اللّهِ﴾ وهو أيضاً قول بعضهم، وعن النبي (ص): أنه طالبهم بالحجة فقالوا: ان الله لمّا أظهر على يد عيسى من الأشياء العجيبة ما ظهرفقد اتخذه ولداً على جهة الكرامة، فأجابهم (ص) بنحوما سبق﴿ ذلكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ﴾ لم يأتهم به كتاب ولا رسول ولا لهم به من حجة﴿ يُضاهِؤُنَ﴾ يشابهون﴿ قَوْلَ الَّذينَ كَفَرُوا﴾ أي:: يشابه قولهم قول الذين كفروا﴿ مِنْ قَبْلُ﴾ كالقائلين بأن الملائكة بنات الله﴿ قاتَلَهُمُ اللّهُ﴾ عن علي (ع): لعنهم الله﴿ أَنّى يُؤْفَكُونَ﴾ عن الحق إلى الإفك﴿ اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ ورُهْبانَهُمْ﴾ علماءهم وزهادهم﴿ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ﴾ عن الصادق (ع): أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم لما أجابوهم، ولكن أحلوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً، فعبدوهم من حيث لا يشعرون﴿ والْمَسيحَ﴾ واتخذوا المسيح ﴿ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ الهاً من دون الله﴿ وما أُمِرُوا إلاّ لِيَعْبُدُوا﴾ ليطيعوا﴿ إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إلاّ هُو سُبْحانَهُ عَمّا يُشْرِكُونَ﴾

[سورة التوبة الآيات ٣٢ - ٣٦]

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ

وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا﴾ يخمدوا ﴿نُورَ اللَّهِ﴾ سمّى سبحانه الحجج والبراهين (نوراً) لأنها يهتدى بها ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ لأن الإطفاء يكون بها، قيل: هذا من عجيب البيان لما فيه من تصغير شانهم وتضعيف كيدهم لإرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن: (هذا سحر) فأشبه حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه، ونفخ الفم إنما يؤثر في الأنوار الضعيفة ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ﴾ لا يرضى ﴿إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ بإعلاء التوحيد وإعزاز الإسلام ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ بالبينات والدلائل ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ هو الإسلام وشرائعه وما سواه باطل يستحق به العقاب ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ليعلي دين الإسلام على سائر الأديان فينسخها، أو على أهلها بالحجة

والغلبة فيخذلهم﴿ ولَوكَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ هذا الدين، فإن اللّه يظهره رغماً على أنوفهم، القمي: نزلت في القائم من آل محمد (ص)، وعن الصادق (ع) : واللّه ما نزل تأويلها بعد ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم﴿ يا أيهَا الَّذينَ آمَنُوا إنَّ كَثيراً منَ الأحْبارِ والرُّهْبانِ لَيأكُلُونَ أَمْوالَ النَّاسِ بالْباطِلِ ويَصُدُّونَ﴾ غيرهم﴿ عَنْ سَبيلِ اللّه﴾ عن دينه﴿ والَّذينَ﴾ عطف على إسم (ان) أو إستئناف﴿يَكْنزُونَ الذَّهَبَ والْفضَّةَ﴾ يجمعون الأموال﴿ ولا يُنْفقُونَها في سَبيلِ اللّه﴾ لا يؤدون زكاتها، أو مطلقاً ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بعَذابٍ أليمٍ﴾ موجع، والبشارة تهكم، أو استعير للإنذار بقرينة تعلق المجرور به ﴿ يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها﴾ يوقد على الكنوز، أو الأموال﴿ في نارِ جَهَنَّمَ﴾ حتى تصير ناراً ﴿ فَتُكْوى بِها جباهُهُمْ وجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ﴾ وخصت هذه الأعضاء لشرافتها ولاشتمالها على الأعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد، أو لأن الجبهة محل الوسم، والجنب: محل الألم، والظهر: محل الحدود﴿ هذا ما كَنَزْتُمْ﴾ أي: يقال لهم: ذلك حال الكي﴿ لأنْفسكُمْ فَذُوقُوا﴾ وبال ما ﴿كُنْتُمْ تَكْنزُونَ﴾ ويدل على تجسم الأعمال، وفي كون الأية منسوخة بآية الزكاة أو لا قولان﴿ إنَّ عدَّةَ الشُّهُورِ عنْدَ اللّه﴾ في حكمه وتقديره﴿ اثْنا عَشَرَ شَهْراً في كتابِ اللّه﴾ فيما كتبه في اللوح المحفوظ، أو الكتب المنزّلة على أنبيائه، أو القرآن، أوفي حكمه وقضائه﴿ يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ والأرْضَ﴾ متعلق بقوله: (عند اللّه) والعامل فيه الإستقرار﴿ منْها أرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ يعظم انتهاك الحرمة فيها أكثر مما يعظم في غيرها، ثلاثة سرد: ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم، وواحد فرد وهو: رجب﴿ ذلكَ﴾ أي:: تحريم الأشهر الأربعة﴿ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ القويم﴿ فَلا تَظْلمُوا فيهنَّ﴾ في الأشهر الأربعة، أو الاثني عشر﴿ أنْفُسَكُمْ﴾ بهتك حرمتها، أو ارتكاب الحرام فيها﴿ وقاتِلُوا الْمُشْرِكينَ كَافَّةً﴾ في محل الحال،

أي: محيطين بهم أي: جميعاً مؤتلفين غير مختلفين﴿ كَما يُقاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ أي: جميعاً لذلك﴿ واعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بشارة وضمان لهم بالنصرة إنْ اتقوا.

[سورة التوبة الآيات ٣٧ -٤٠]

إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا

وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ قيل: كانوا في الجاهلية إذا جاء الشهر المحرم يؤخرون تحريمه إلى صفر، فيحرمونه ويستحلون المحرم لحاجتهم إلى القتال فيه، ثم يردونه إلى التحريم في سنة اخرى، كأنهم يستنسئون ذلك ويستقرضونه، وقرئ (النسي) كـ(الرمي)، ونسب إلى الباقروالصادق (ع)، وإنما كان زيادة في الكفر لأنه تحريم ما أحلّه الله وتحليل ما حرمه الله، فهو كفر آخر ضم إلى كفرهم﴿ يُضَلُّ بِهِ﴾ بالنسيء﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ضلالاً زائداً﴿ يُحِلُّونَهُ﴾ أي: النسيء﴿ عاماً﴾ فيجعلون الشهر الحرام حلالاً إذا احتاجوا إلى القتال فيه، والحلال حراماً ويقولون: شهر بشهر ﴿ ويُحَرِّمُونَهُ عاماً﴾ فيتركونه على حرمته إذا لم يحتاجوا إلى القتال فيه، القمي: كان سبب نزولها أن رجلاً من كنانة كان يقف في الموسم فيقول: قد أحللت دماء المحللين طيي وخثعم في شهر المحرّم وأنسأته وحرمت بدله صفر، فإذا كان العام المقبل يقول: قد أحللت صفر أو نسأته وحرّمت بدله شهر المحرّم، فأنزل الله: انما النسيء ...الخ ﴿ لِيُواطِؤُا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي: يغيرون نحوما سبق ليوافقوا عدة الأربعة المحرمة﴿ فَيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللَّهُ﴾ من القتال﴿ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمالِهِمْ﴾ حتى حسبوا قبيح أعمالهم حسناً﴿ واللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾ لعدم قبولهم الإهتداء ﴿ يا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إِذا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إذ قال لكم رسول الله (ص): اخرجوا إلى جهاد المشركين وهو هنا غزوة تبوك﴿ اثَّاقَلْتُمْ﴾ أصله: (تثاقلتم) أدغمت التاء في الثاء واجتلبت همزة الوصل ليتمكن من الإبتداء﴿ إلى الأَرْضِ﴾ متعلق به لتضمنه معنى الميل أي: ملتم إلى الدنيا ولذاتها وكرهتم مشاق السفر﴿ أ

رَضيتُمْ بِالْحَياةِ الدُّنيا مِنَ الآخِرَةِ﴾ إستفهام إنكار أي: آثرتم الدنيا الفانية على الآخرة الباقية ﴿فَما مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنيا﴾ الفانية﴿ فِي﴾ فوائد ﴿ الآخِرَةِ إِلاّ قَليلٌ﴾ مستحقر لإنقطاع الأولى ودوام الأخرى ﴿ إِلاّ تَنْفِرُوا﴾ إن لم تخرجوا إلى الجهاد الذي دعاكم إليه الرسول﴿ يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَليماً﴾ في الدنيا والآخرة﴿ وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ خيراً منكم وأطوع لا يتخلفون عن الجهاد، وقيل هم أبناء الفرس وقيل أهل اليمن ﴿ ولا تَضُرُّوهُ﴾ لا تضروا الله بهذا القعود﴿ شَيْئاً﴾ فإنه الغني المطلق، ولا تضروا رسوله شيئاً لأن الله وعده أن ينصره بالملائكة ويعصمه من الناس﴿ واللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾ فيقدر على الإستبدال بكم وغيره من الأشياء، وهذا توعيد وتهديد شديد في التخلف عن الجهاد﴿ إِلاّ تَنْصُرُوهُ﴾ ان لم تنصروا النبي (ص)﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ فسوف ينصره كما نصره﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذينَ كَفَرُوا﴾ من مكة، فخرج يريد المدينة ﴿ ثانِيَ اثْنَيْنِ﴾ منصوب على الحال أي: هوأحد إثنين﴿ إِذْ﴾ بدل من (إذ) ﴿ هُما فِي الْغارِ﴾ غار ثور جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة﴿إِذْ﴾ بدل ثان، أوظرف لـ(ثاني)﴿ يَقُولُ﴾ الرسول (ص)﴿ لِصاحِبِهِ﴾ وهو أبوبكر﴿ لا تَحْزَنْ﴾ لا تخف ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا﴾ مطلع على أمرنا، عالم بحالنا، يحفظنا وينصرنا﴿ فَأَنزل اللَّهُ سَكينَتَهُ﴾ أمنته التي تسكن إليها القلوب﴿ عَلَيْهِ﴾ على النبي (ص) أي: ألقى في قلبه ما سكن به وعلم إنهم غير واصلين إليه، وعن الباقر (ع): فأنزل الله سكينته على رسوله قال: ألا ترى أن السكينة إنما نزلت على رسوله﴿ وأَيدَهُ﴾ وقوّاه ونصره﴿ بِجُنُودٍ﴾ بملائكة ﴿لَمْ تَرَوْها﴾ يضربون وجوه الكفّار وأبصارهم غزاة بدر﴿ وجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذينَ كَفَرُوا السُّفْلى﴾ نازلة دنيّة ﴿ وكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيا﴾ المرتفعة المنصورة بغير جعل جاعل،

القمي: هي قول رسول الله (ص)، وقيل: هي كلمة التوحيد وكلمة الكفّار كلمة الشرك ﴿ والله عزيزٌ﴾ في إنتقامه من أهل الشرك﴿ حكيمٌ﴾ في تدبيره.

[سورة التوبة الآيات ٤١ - ٤٧]

ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ

﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾

﴿انْفِرُوا﴾ أخرجوا للغزو﴿ خفافاً وثقالاً﴾ القمي: شباناً وشيوخاً إلى غزوة تبوك ﴿ وجاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دلّ على وجوب الجهاد بالمال والنفس على من استطاع﴿ ذلِكُمْ﴾ الخروج إلى الجهاد بالنفس والمال﴿ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ من التثاقل وتركه﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إن الله صادق في وعده ووعيده، أومن أهل العلم، قيل: الآية منسوخة بقوله: (ليس على الضعفاء ولا على المرضى)[1]﴿ لَوكانَ﴾ ما دعوا إليه﴿ عَرَضاً قَرِيباً﴾ غنيمة حاضرة، أوقريبة ـ كما عن الباقر(ع): ـ﴿ وسَفَراً قاصداً ﴾ سهلاً متوسطاً غير شاق﴿ لاتَّبَعُوكَ﴾ فيه طمعاً في المال﴿ ولكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ المسافة التي تقطع بمشقة، القمي: يعني: إلى تبوك، وعن الصادق(ع): كان في علم الله لوكان عرضاً حاضراً وسفراً قريباً لفعلوا﴿ وسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ أي: المتخلفون إذا رجعت من تبوك معتذرين﴿ لَواسْتَطَعْنا﴾ وتمكنا من الخروج﴿ لَخَرَجْنا مَعَكُمْ﴾ ساد مسد جوابي القسم والشرط﴿ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ بإيقاعها في العذاب بما يسرونه من الشرك، أوباليمين الكاذبة والعذر الباطل، والجملة بدل من (سيحلفون) ﴿ واللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾ في هذا الإعتذار والحلف، عن الصادق (ع): كذبهم الله في قولهم: لواستطعنا لخرجنا معكم، وقد كانوا مستطيعين للخروج، وفيه اعجاز بالإخبار بالشيء قبل وقوعه﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ في التخلف حين استأذنوك، وهلا توقفت ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في الإعتذار﴿ وتَعْلَمَ الْكاذِبِينَ﴾ الذين لا عذر لهم،

---

(١) سورة التوبة الآية ٩١.

عن الباقر (ع): ليعرف أهل العذر والذين حبسوا بغير عذر، والإبتداء بالعفوقبل العتاب من لطيف المعاتبة ﴿ لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ أنْ يُجاهِدُوا﴾ أوكراهة أن يجاهدوا﴿ بِأَمْوالِهِمْ وأَنفُسِهِمْ﴾ أي: لا يطلبون منك الإذن في القعود عن الجهاد معك بالمعاذير الكاذبة، أو في الخروج لأنه مستغنى عنه بدعائك إليه، بل يتأهبون له﴿ واللَّهُ عَليمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ وفيه طعن على المنافقين﴿ إِنَّما يَسْتَأْذِنُكَ﴾ في التخلف عن الجهاد، أوفي الخروج إليه من دون تأهب﴿ الَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ﴾ وتخصيص الإيمان بهما في الموضعين للإشعار بأن الباعث للجهاد والرادع عنه الإيمان بهما وعدم الإيمان بهما﴿ وارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ اضطربت وشكّت﴿ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ﴾ شكهم﴿ يَتَرَدَّدُونَ﴾ يذهبون ويرجعون﴿ ولَو أَرادُوا الْخُرُوجَ﴾ مع النبي (ص) ﴿ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾ كالمال والسلاح أي: لأخذوا بأهبة الحرب، وروي: يعني بالعدّة: النيّة يقول: لوكان لهم نية لخرجوا﴿ ولكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعاثَهُمْ﴾ نهوضهم للخروج إلى الحرب، لعلمه بأنهم لوخرجوا لكانوا يمشون بالنميمة بين المسلمين، وكانوا عوناً للمشركين﴿ فَثَبَّطَهُمْ﴾ خذّلهم عن الخروج الذي عزموا عليه، لا عن الخروج الذي أمروا به، لأن الأول كفر والثاني طاعة﴿ وقِيلَ﴾ لهم ﴿ اقْعُدُوا مَعَ الْقاعِدِينَ ﴾ من النساء والصبيان، ولعل القائل لهم أصحابهم الذين نهوهم عن الخروج مع النبي (ص) للجهاد، أوالنبي (ص) على وجه التهديد لا على وجه الإذن﴿ لَو خَرَجُوا فِيكُمْ ما زادُوكُمْ﴾ بخروجهم معكم إلى الجهاد﴿ إلاّ خَبالاً﴾ فساداً وشراً وغدراً ومكراً، قيل: لا يستلزم ذلك أن يكون لهم خبال حتى لوخرجوا ازادوه، لأن الزيادة باعتبار أعمّ العام الذي وقع منه الإستثناء، ولأجل هذا التوهم جعل الإستثناء منقطعاً﴿ ولأَوضَعُوا خِلالَكُمْ﴾ ولأسرعوا في الدخول بينكم بالإفساد والنميمة وليبغوا بينكم بالتفريق، وقيل: لا غدوا الإبل وسطكم، وقيل: لا وضعوا ابلهم بخلالكم يتخلل الراكب

الراجلين حتى يدخل بينهما فيقول ما لا ينبغي﴿ يَبْغُونَكُمُ﴾ يبغون لكم﴿ الْفِتْنَةَ﴾ باختلاف الكلمة والفرقة، وإلقاء الرعب في قلوبكم﴿ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ عيون للمنافقين ينقلون إليهم ما يسمعون منكم أو فيكم من يسمع قول المنافقين ويقبله وهم الضعفة ﴿ واللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ أنفسهم بإضمار الفساد.

[سورة التوبة الآيات ٤٨ - ٥٤]

لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ

أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ﴾ أي: طلب المنافقون اختلاف كلمتكم وافتراق آرائكم ﴿ مِنْ قَبْلُ﴾ غزوة تبوك أي: في يوم أحد، أو طلبوا الفتك بالنبي (ص) في غزوة ليلة العقبة، أو طلبوا صرف الناس عن الدين وإلقاء الشبه إلى ضعفاء المسلمين﴿ وقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ﴾ احتالوا في ابطال أمرك بإيقاع الاختلاف بين المسلمين ودبّروا الحيل في قتلك بكل ما أمكنهم فلم يقدروا﴿ حَتَّى جاءَ الْحَقُّ﴾ نصرك الذي وعد الله به ﴿ وظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وغلب دينه وعلت كلمته﴿ وهُمْ كارِهُونَ﴾ لذلك، الجملة حال ﴿ ومِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي﴾ في القعود عن الجهاد ﴿ ولا تَفْتِنِّي﴾ ببنات الأصفر أي: بنات الروم سميت بذلك لأن جيشاً غلب على ناحية الروم، فأخذت بناته من بياض الروم وسواد الحبشة، فصرن صفراً، أو لأن أباهم الأكبر تزوج بنت ملك الحبشة، فصارت بناته بين السواد والبياض، أو المعنى: لا توقعني في الإثم بالعصيان ﴿ ألا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ في العصيان والكفر وقعوا لمخالفتهم أمرك في الخروج وذاك الفتنة لا ما احترزوا عنه، أو المعنى: لا تعذبني بالخروج في شدة الحرّ ألا قد سقطوا في حرّ أعظم من ذلك وهو نار جهنم بدليل قوله: (وقالوا لا تنفروا في الحرّ قل نار جهنم أشدّ حرّا)[1] ﴿ وإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ﴾ ستحيط بهم في القيامة، أو الآن لإحاطة أسبابها بهم فكأنهم في وسطها﴿ إِنْ تُصِبْكَ ﴾ يا محمد (ص) ﴿ حَسَنَةٌ﴾ في بعض غزواتك﴿ تَسُؤْهُمْ﴾ لفرط حسدهم﴿ وإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ ﴾ شدّة ونكبة

(١) سورة التوبة الآية ٨١

كيوم أحد﴿ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنا أَمْرَنا﴾ حذرنا﴿ مِنْ قَبلُ﴾ هذه المصيبة فسلمنا ﴿ ويَتَوَلَّوْا﴾ ويرجعوا إلى بيوتهم﴿ وهُمْ فَرِحُونَ﴾ مسروررون بما أصيب المسلمون من الشدة، وعن الباقر(ع): اما الحسنة: فالغنيمة والعافية، وأما المصيبة: فالبلاء والشدة ﴿ قُلْ لَنْ يُصيبَنا إلاّ ما كَتَبَ اللَّهُ لَنا﴾ في اللوح المحفوظ من خير أو شر وليس على ما تظنون﴿ هُو مَوْلانا﴾ مالكنا ونحن عبيده يتولى أمرنا بحفظه ونصره﴿ وعَلَى اللَّه فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ومن يتوكل عليه فهو حسبه﴿ قُلْ﴾ للمنافقين﴿ هَلْ تَرَبَّصُونَ بنا﴾ ما تنتظرون لنا﴿ إلاّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ الا إحدى الخصلتين الحسنتين: أما الغلبة والغنيمة في العاجل، وأما الشهادة والرضوان والجنة في الآجل، القمي يقول: الغنيمة أو الجنة﴿ ونَحْنُ نَتَرَبَّص بِكُمْ﴾ نتوقع لكم إحدى السوئين﴿ أَنْ يُصيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذابٍ﴾ سماوي﴿ مِنْ عِنْدِه﴾ أو يقتلكم بأيدينا على كفركم﴿ فَتَرَبَّصُوا﴾ ما هو عاقبتنا﴿ إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ ما هو عاقبتكم﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أوكَرْهاً ﴾ أمر في معنى الشرط أي: إن أنفقتم طائعين أو مكرهين﴿ لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ﴾ نفقاتكم لأجل ﴿ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فاسقينَ﴾ متمردين عن طاعة اللّه﴿ وما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ﴾ بالتاء والياء ﴿ مِنْهُمْ نَفَقاتُهُمْ إلاّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ إلا كفرهم﴿ باللَّهِ وبِرَسُوله﴾ وهو مما يحبط أعمالهم، عن الصادق (ع): لا يضرّ مع الإيمان عمل ولا ينفع مع الكفر عمل ألا ترى انه قال: (ومامنعهم)... إلخ﴿ ولا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إلاّ وهُمْ كُسالى﴾ متثاقلين لا يؤدونها على الوجه الذي أمروا به﴿ ولا يُنْفِقُونَ إلاّ وهُمْ كارِهُونَ﴾ لأنهم لا يرجون بهما ثواباً ولا يخافون بتركهما عقاباً، وإنما يفعلونهما للرّياء.

[سورة التوبة الآيات ٥٥ - ٦١]

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ

وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ ۚ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

﴿ فَلا تُعْجِبْكَ﴾ الخطاب للنبي، أو السامع﴿ أَمْوالُهُمْ ولا أولادُهُمْ﴾ فإنما ذلك استدراج ووبال﴿ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بها﴾ (اللام) للعاقبة أي: إنما يريد الله أن يملي لهم﴿ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ وقيل: الظرف متعلق بأموالهم وأولادهم وفيه تقديم وتأخير أي: لا تسرك أموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة ﴿ وتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ﴾ تذهب وتخرج بصعوبة بالموت﴿ وهُمْ كافِرُونَ﴾ أي: حال كفرهم﴿ ويَحْلِفُونَ باللَّه إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ مؤمنون أمثالكم﴿ وما هُمْ مِنْكُمْ﴾ لكفر قلوبهم﴿ ولكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ يخافون الأسر والقتل إن لم يظهروا الإسلام ﴿ لَو يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ حرزاً يلجئون إليه﴿ أو مَغارات ﴾ غيراناً في الجبال﴿ أو مُدَّخَلاً﴾ موضع دخول يأوون اليه، وعن الباقر (ع): أسرابا في الأرض﴿ لَوَلَّوْا﴾ لعدلوا﴿ إِلَيْهِ وهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يسرعون في الذّهاب إليه أي: لوأصابوا أحد هذه الأشياء لآووا إليه وأعرضوا عنك﴿ ومِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ﴾ في قسمتها ﴿ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها﴾ من الصدقات﴿ رَضُوا﴾ وأقروا بالعدل﴿ وإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إِذا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ يغضبون ويعيبون أي: ان رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا للدّين، القمي: نزلت لما جاءت الصّدقات وجاءت الأغنياء، وظنوا أن رسول الله (ص) يقسمها بينهم، فلمّا وضعها في الفقراء تغامزوا على رسول الله (ص) ولمزوه، وقالوا: نحن الذين نقوم في الحرب وننفر معه ونقوّي أمره ثم يدفع الصّدقات إلى هؤلاء الذين لا يعينونه ولا يغنون عنه شيئاً، وعن الصادق (ع): ان أهل هذه الآية أكثر من

ثلثي الناس﴿ ولَوأنّهُمْ رَضُوا ما آتاهُمُ اللّهُ ورَسُولُهُ﴾ لعل ذكر اللّه للتنبيه على ان ما يفعله الرسول بأمره، والمراد: ما أعطاهم الرسول من الغنيمة، أوالصدقة ﴿ وقالُوا﴾ مع ذلك﴿ حَسْبُنَا اللّهُ﴾ كفانا، أوكافينا﴿ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ صدقة، أو غنيمة أخرى ﴿ ورَسُولُهُ﴾ وقالوا: ﴿ إنَّا إلى اللّهِ راغِبُونَ﴾ فيما يعطينا من الثواب، ويصرفه عنّا من العذاب والجواب محذوف، أي: لكان خيراً لهم وأعود﴿ إنَّمَا الصَّدَقاتُ للْفُقَراءِ والْمَساكِينِ﴾ أي: ليست زكوات الأموال إلا لهؤلاء الثمانية الأصناف، و(اللام) للتمليك، أو لبيان المصرف، وعلى الأول يجب البسط دون الثاني وهومذهب الأصحاب، والفقراء والمساكين قيل: صنف واحد، وقيل: صنفان وهو الأقوى، وعن الصادق(ع): (الفقير): الذي لا يسأل الناس و(المسكين): أجهد منه، و(البائس) أجهدهم، ونحوه غيره﴿ والْعامِلِينَ عَلَيْها﴾ هم السعاة لجبايتها﴿ والْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ هم كفّار أشراف كان النبي (ص) يعطيهم سهماً من الزكاة، يتألفهم به على الإسلام، ويستعين بهم على قتال العدو، وفي سقوطه بعد الرسول أو بقائه خلاف﴿ وفِي الرِّقابِ﴾ بأن يعاون المكاتب بشيء منها على أداء نجومه، وبأن يشتري العبد المؤمن في شدة ويعتق، وعدل من (اللام) إلى (في) للدلالة على انّ الإستحقاق للجهة لا للرقاب ﴿والْغارِمِينَ﴾ وهم الذين ركبهم الدّين في غير معصية ولا إسراف يقضى عنه ديونه ﴿ وفِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ هو الجهاد بلا خلاف، ويدخل فيه عند أصحابنا جميع مصالح المسلمين كبناء المساجد والقناطر، عملاً بعموم اللفظ﴿ وابْنِ السَّبِيلِ﴾ المنقطع به وإنْ كان غنياً في بلده سمّي (ابن السبيل) للزومه الطريق فنسب إليه[1]﴿ فَرِيضَةً مِنَ اللّهِ﴾

---

(١) إذ السبيل بمعنى: الطريق.

مصدر مؤكد دلّت عليه الآية أي: فرض الله الصّدقات لهؤلاء فريضة واجبة مقدرة قدرها الله وحتمها﴿ واللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بحاجة خلقه ﴿ حَكِيمٌ﴾ فيما فرض عليهم من الزكاة وغيرها﴿ ومِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ بالقول﴿ ويَقُولُونَ هُوَأُذُنٌ﴾ يسمع إلى ما يقال ويقبله، سمي بالجارحة كأنه من فرط استماعه صارت جملته آلة السماع، كما سمي الجاسوس (عيناً)﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾ بالضم والتنوين فيهما على أن (خير) صفة الأذن أي: كونه إذناً أصلح لكم إذ يقبل عذركم ويستمع إليكم، فكيف تعيبون ما هوأصلح لكم؟ وبإضافة (اذن) إلى (خير) أي: هواذن خير أي: مستمع خير وصلاح لكم وهو الوحي لا مستمع شر وفساد، وفي هذا تصديق لهم بأنه أذن، لكن لا على الوجه الذي قصدوه﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ يصدق به ﴿ ويُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما يخبرونه ويقبل منهم، فلا يضرّه كونه إذناً فانه أذن خيرٍ، أويؤمنهم فيما يلقى إليهم من الأمان ولا يؤمن المنافقين بل يخوّفهم، فـ(اللام) للفرق بين التصديقين على الأول وبين الإيمانين إيمان التصديق وإيمان الأمان على الثاني والمروي يدل على التفسير الأول ﴿ ورَحْمَةٌ﴾ بالرفع والجرّ عطفاً على (خير) على القراءتين﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ لأنهم إنما نالوا الإيمان بهدايته ودعائه أياهم، أو المراد: لمن اظهر الإيمان منكم لأنه يقبله ولايكشف سرّه﴿ والَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة بأيذائه.

[سورة التوبة الآيات ٦٢ - ٦٨]

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ

ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

﴿يَحلِفُونَ بِاللّه لَكُمْ﴾ ان الذي بلغكم عنهم باطل إعتذاراً لكم ﴿لِيُرْضُوكُمْ واللّهُ ورَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ بأن يطلبوا مرضاته بالطاعة، وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين، أو التقدير: ورسوله كذلك ﴿إِنْ كانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ صدقاً، القمي: نزلت في المنافقين الذين كانوا يحلفون للمؤمنين انهم منكم لكي يرضى عنهم المؤمنون ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ (الهمزة) للتقريع والتوبيخ أي: وما علموا ﴿أَنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿مَنْ يُحادِدِ﴾

من يشاقق﴿ اللَّهَ ورَسُولَهُ﴾ ويتجاوز حدوده التي أمر المكلفين أن لا يتجاوزوها ﴿ فَأَنَّ لَهُ﴾ والتكرير للتوكيد بسبب طول الكلام، أو على حذف الخبر أي: فأمره أو شأنه ان له ﴿ نارَ جَهَنَّمَ خالداً﴾ دائماً ﴿ فيها ذلكَ الْخزْيُ﴾ الذل﴿ الْعَظيمُ﴾ أي: هلاّ علموا بعد التمكن من العلم﴿ يَحْذَرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بما فِي قُلُوبِهِمْ﴾ خبر في معنى الأمر أي: ليحذر أو إخبار بأنهم يخافون أن تفشوا عليهم سرائرهم، والمعنى: انهم يخافون ان ينزل اللّه على رسوله والمؤمنين سورة تخبر عمّا في قلوبهم من النفاق والشرك قيل: إن ذلك الحذر إنما أظهروه على وجه الإستهزاء لا على سبيل التصديق، لأنهم حين رأوا أن رسول اللّه (ص) ينطق في كل شيء عن الوحي قال بعضهم لبعض: احذروا أن ينزل وحي فيكم، يتناجون بذلك ويضحكون﴿ قُلِ اسْتَهْزِؤا﴾ وعيد بلفظ الأمر﴿ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ﴾ مظهر﴿ ما تَحْذَرُونَ﴾ إظهاره﴿ ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ عن طعنهم في الدين واستهزائهم بالنبي (ص) والمسلمين﴿ لَيَقُولُنَّ إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ﴾ أي: نخوض خوض الراكب في الطريق لا على طريق الجد ولكن على طريق اللّهو واللعب فكان عذرهم أقبح من جرمهم﴿ قُلْ أَ باللَّهِ وآياته ورَسُوله كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ لا تَعْتَذِرُوا﴾ بالمعاذير الكاذبة﴿ قَدْ كَفَرْتُمْ﴾ أظهرتم الكفر بما عملتم ﴿ بَعْدَ إيمانكُمْ﴾ بعد إظهاركم الإيمان﴿ إِنْ نَعْفُ﴾ بالنون مفتوحة وضم الفاء، وبالياء مضمومة وفتح الفاء﴿ عَنْ طائفَة مِنْكُمْ﴾ لتوبتهم وإخلاصهم﴿ نُعَذِّبْ﴾ بالنون ﴿ طائفَةً﴾ وبالتاء مضمومة وفتح الذال ورفع (طاعة) على الأخرى﴿ بأَنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمينَ﴾ مصرّين على النفاق﴿ الْمُنافِقُونَ والْمُنافقاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي: بعضهم مضاف إلى بعض في الاجتماع على النفاق والبعد عن الإيمان، كأبعاض الشيء الواحد﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ بالكفر والمعاصي﴿ ويَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ عن

الإيمان والطاعات﴿ ويَقْبِضُونَ أيديَهُمْ﴾ عن الجهاد في سبيل الله، أوعن انفاق أموالهم في طاعة الله﴿ نَسُوا اللّهَ﴾ تركوا طاعته﴿ فَنَسِيَهُمْ﴾ فترك رحمتهم، عن علي (ع): نسوا الله في دار الدنيا فلم يعملوا بطاعته، فنسيهم في الآخرة، أي: لم يجعل لهم في ثوابه نصيباً فصاروا منسيين من الخير، وعن الباقر (ع): نسوا الله، تركوا طاعة الله فنسيهم قال: فتركهم﴿ إِنَّ الْمُنافقينَ هُمُ الْفاسِقُونَ﴾ الكاملون في التمرد والخروج عن الإيمان﴿ وَعَدَ اللّهُ الْمُنافقينَ والْمُنافقاتِ والْكُفَّارَ ﴾ فصلهم عنهم -وان كان النفاق كفراً- ليبين الوعيدعلى كل واحد من الصنفين﴿ نارَ جَهَنَّمَ خالدينَ﴾ مقدرين الخلود ﴿ فيها هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ أي: عقابهم فيها كفاية ذنوبهم ﴿ ولَعَنَهُمُ اللّهُ﴾ أبعدهم من جنته وأهانهم ﴿ ولَهُمْ عَذابٌ مُقيمٌ﴾ لا انقطاع له.

[سورة التوبة الآيات٦٩ - ٧٢]

كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ

بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

﴿كَالَّذِينَ﴾ أي: وعدكم الله على النفاق والاستهزاء كما وعد الذين ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الكفّار، الذين فعلوا مثل فعلكم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾ في أبدانهم ﴿وَأَكْثَرَ أَمْوالاً وَأَوْلاداً﴾ فلم ينفعهم ذلك وحلّ بهم عذاب الله ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ﴾ بنصيبهم من الدنيا، بأن صرفوها في شهواتهم المحرّمة عليهم ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ﴾ أنتم أيضاً ﴿بِخَلاقِكُمْ﴾ بحظكم من الدنيا، واشتقاقه من (الخلق) بمعنى: التقدير، فإنه ما قدر لصاحبه ﴿كَمَا اسْتَمْتَعَ﴾ استمتاعاً مثل استمتاع ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ في الكفر والإستهزاء بالمؤمنين خوضاً ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ فيه، أو كالخوض الذي خاضوا ﴿أُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ﴾ إذ لم يحمدوا في الدنيا ولا استحقوا في الآخرة ثواباً ﴿وَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾ الذين خسروا أنفسهم ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾ كيف أغرقوا بالطوفان ﴿وَعادٍ﴾ كيف أهلكوا بريح صرصر ﴿وَثَمُودَ﴾ كيف أهلكوا بالرجفة ﴿وَقَوْمِ

إِبْراهِيمَ﴾ كيف أهلكوا بسلب النعمة، ونمرود هلك ببعوضة﴿ وأصحاب مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب، كيف أهلكوا بالنار يوم الظلة﴿ والْمُؤْتَفِكاتِ﴾ قرى قوم لوط الثلاث، كيف أهلكوا بالخسف وقلب المدينة عليهم حتى صار عاليها سافلها، وسئل الصادق (ع): عن المؤتفكات؟ قال: أولئك قوم ائتفكت عليهم، أي: انقلبت عليهم، وعنه (ع): قيل له: والمؤتفكة أهوى قال: هم أهل البصرة، قيل: والمؤتفكات قال أولئك قوم لوط ائتفكت عليهم انقلبت﴿ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ﴾ بالبراهين والحجج﴿ فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ولكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيث عرّضوها للعقاب بكفرهم وتكذيبهم الرسل كما فعلتم، فأهلكهم الله بذلك﴿ والْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ﴾ يلزم كل واحد منهم نصرة صاحبه﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ما أوجب الله فعله ورغّب فيه﴿ ويَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ ما نهى عن فعله وزهّد فيه﴿ ويُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكاةَ﴾ يداومون عليهما﴿ ويُطِيعُونَ اللَّهَ ورَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ البتة فان السين مؤكدة للوقوع﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ قادر على الرحمة والعذاب﴿ حَكِيمٌ﴾ يضع كلاً منهما في موضعه، وتدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فرائض الأعيان لجعلهما من صفات جميع المؤمنين﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها ومَساكِنَ طَيِّبَةً﴾ تستطيبها النفس، أو يطيب فيها العيش﴿ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ إقامة وخلود، وعن النبي (ص): (عدن): دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة: النبيين والصديقين والشهداء، يقول الله تعالى: طوبى لمن دخلك﴿ ورِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ عنهم﴿ أَكْبَرُ﴾ من ذلك كله﴿ ذلِكَ﴾ الرضوان، أو النعيم﴿ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الذي لا شيء أعظم منه.

[سورة التوبة الآيات ٧٣ - ٧٩]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

﴿ يا أيّها النّبيُّ جاهِدِ الْكُفّارَ﴾ بالسيف والقتال﴿ والْمُنافقينَ﴾ باللسان وإلزام الحجة والتخويف بإقامة الحدود، وعن الباقر (ع): جاهد الكفار والمنافقين بإلزام الفرائض وفي قراءة أهل البيت: (جاهد الكفار بالمنافقين)﴿ واغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ وأسمعهم الكلام الغليظ الشديد ولا ترق عليهم﴿ ومَأواهُمْ﴾ منزل الفريقين﴿ جَهَنَّمُ وبِئْسَ الْمَصيرُ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ ما قالُوا﴾ ما حكي عنهم﴿ ولَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ وهي كل كلمة فيها جحد نعم اللّه، أوطعن في الإسلام﴿ وكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ أي: ظهر كفرهم بعد أن كان باطناً﴿ وهَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا﴾ بقتل النبي ليلة العقبة، والتنفير بناقته، أو بإخراجه من المدينة، أوبالفساد بين أصحابه فلم ينالوا ذلك، القمي: نزلت في الذين تحالفوا في الكعبة أن لا يردوا هذا الأمر في بني هاشم فهي كلمة الكفر، ثم قعدوا لرسول اللّه (ص) في العقبة وهمّوا بقتله، وهوقوله: وهمّوا بما لم ينالوا﴿ وما نَقَمُوا﴾ ما أنكروا وما عابوا﴿ إلاّ أنْ أغْناهُمُ اللّهُ ورَسُولُهُ مِنْ فَضْلِه﴾ كان أحدهم يبيع الرؤوس وآخريبيع الكراع ويفتل القرامل، فأغناهم اللّه برسوله ثم جعلو اجدهم وجديدهم عليه ﴿ فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ ويرجعوا إلى الحق﴿ يَكُ ﴾ ذلك ﴿ خَيْراً لَهُمْ﴾ في الدارين﴿ وإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ يعرضوا عنه بالإصرار على النفاق﴿ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ عَذاباً أليماً فِي الدُّنْيا﴾ بما ينالهم من الحسرة والغم وسوء الذكر﴿ والآخِرَةِ﴾ بالنار﴿ وما لَهُمْ فِي الأرْضِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحبهم﴿ ولا نَصيرٍ﴾ يدفع عنهم العذاب﴿ ومِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللّهَ﴾ المعاهدة أن يقول: عليّ عهد اللّه لا فعلن كذا﴿ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِه لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ على الفقراء، أصله (لنتصدقن) أدغم﴿ ولَنَكُونَنَّ مِنَ الصّالِحينَ﴾ بإنفاقه في طاعة اللّه وصلة الرحم ومواساة أهل الفاقة، عن الباقر (ع): هوثعلبة بن حاطب بن عمروابن عوف كان محتاجاً ، فعاهد اللّه، فلمّا أتاه بخل به﴿ فَلَمّا آتاهُمْ ﴾ ما تمنوه﴿ مِنْ فَضْلِه بَخِلُوا بِه﴾

وشحت نفوسهم﴿ وتَوَلَّوْا﴾ عن فعل ما أمروا به﴿ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن دينه ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ﴾ فأورثهم بخلهم بما أوجبوا لله على نفوسهم﴿ نفاقاً﴾ متمكناً ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ أي: يلقون بخلهم، أي: جزاءه، وفي الأخبار: بأنهم يموتون على نفاقهم معجزة له (ص)﴿ بما أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ وبما كانُوا يَكْذِبُونَ﴾ بسبب إخلافهم الوعد وكذبهم﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ إستفهام توبيخ﴿ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ ما يخفون في أنفسهم من النفاق، أو من العزم على الأخلاق﴿ ونَجْواهُمْ﴾ ما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن وتسمية الزكاة (جزية)﴿ وأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ أي: كلّ ما غاب عن إدراك العباد﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾ يعيبون﴿ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ والتطوع: كل فعل يستحق المدح بفعله ولا يستحق الذم بتركه، وأصله (المتطوعين) أدغم﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقاتِ﴾ متعلق بـ(يلمزون)﴿ وَ﴾ يعيبون ﴿ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ﴾ إلا طاقتهم فيتصدقون بالقليل وفي الخبر: أفضل الصدقة جهد المقل، وربما فرق بين الجَهد بالفتح وهو: المشقة والجُهد بالضم وهو: الطاقة﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ ويستهزءون بهم﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ولَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ عن الرضا (ع): جازاهم الله جزاء السخرية.

[سورة التوبة الآيات ٨٠ - ٨٦]

ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟

فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾

﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أو لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أمر ونهي يراد بهما المبالغة في الأياس من المغفرة بأنه لو طلبا طاب المأمور بها، أو تركا ترك المنهي عنها لكان سواء﴿ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قيل: التعليق على السبعين للمبالغة لا للعدد المخصوص كما يقال: لو قلت لي ألف مرّة ما قبلت، وروي: أنه (ص) قال: لأزيدن على السبعين، فنزلت: (سواء عليهم)...إلخ وعن الرضا (ع): ان الله قال لمحمد (ص):

(إن تستغفر لهم سبعين...)إلخ فاستغفر لهم مائة ليغفر لهم فأنزل الله بعد ذلك: (سواء عليهم أستغفرت...) إلخ، فلم يستغفر لهم بعد ذلك﴿ ذلكَ﴾ أي: حرمان المغفرة﴿ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ بسبب كفرهم﴿ باللَّهِ ورَسُولِهِ واللَّهُ لا يَهْدي القَوْمَ الفاسِقينَ﴾ المتمردين في كفرهم﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ الذين خلفهم النبي (ص) ولم يخرجهم إلى تبوك لما استأذنوه في التأخر فأذن لهم﴿ بِمَقْعَدِهِمْ﴾ بقعودهم عن الجهاد ﴿ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ مصدر نصب على العلة، أوالحال إن كان بمعنى: المخالفة، أي: لمخالفتهم النبي (ص)، أو على الظرف ان كان بمعنى: خلف﴿ وَكَرِهُوا أَنْ يُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إيثاراً للدعة[1] والخفض على طاعة الله ﴿ وقالُوا﴾ للمسلمين ليصدوهم عن الغزو، أو قال بعضهم لبعض﴿ لا تَنْفِرُوا﴾ لا تخرجوا إلى الغزو سراعاً﴿ فِي الْحَرِّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ﴾ التي استوجبتموها بتخلفكم عن أمر الله﴿ أَشَدُّ حَرّاً﴾ من هذا الحر، فهي أولى بالإحتراز وقد آثرتموها بهذه المخالفة﴿ لَوكانُوا يَفْقَهُونَ﴾ أن مآبهم إليها﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَليلاً﴾ وتهديد في صورة الأمر، أي: فليضحك هؤلاء المنافقون في الدنيا قليلاً لأنه يفنى وان دام إلى الموت، وكيف يدوم اليه مع كثرة هموم الدنيا وأحزانها﴿ ولْيَبْكُوا كَثيراً﴾ في الآخرة، لأن يوماً منه مقداره خمسون ألف سنة، أو هو إخبار عمّا يؤول اليه حالهم في الدنيا والآخرة، أو كناية عن السرور والغم﴿ جَزاءً﴾ يجزون جزاء﴿ بما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الكفر والنفاق والتخلف عن الغزو بغير عذر﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ﴾ من غزوتك هذه﴿ إلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾ من المنافقين الذين تخلّفوا عنك بلا عذر ولم يتوبوا﴿ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معك إلى غزوة أخرى بعد تبوك﴿ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ﴾ إلى غزوة

---

(١) الراحة.

﴿ أَبداً ولَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً﴾ إخبار في معنى النهي للمبالغة﴿ إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أولَ مَرَّةٍ﴾ تعليل له﴿ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخالِفِينَ﴾ المتخلفين عن الغزوولعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان والمرضى والزمنى[1]﴿ ولا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً﴾ وقد كان (ص) يصلي عليهم ويجري عليهم أحكام المسلمين﴿ ولا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ﴾ للدعاء له، روي: أنه (ص) كان إذا صلّى على ميت يقف على قبره ساعة ويدعوله﴿ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ ورَسُولِهِ وماتُوا وهُمْ فاسِقُونَ﴾ فما صلى (ص) بعد ذلك على منافق حتى قبض، ويدل على أن القيام على القبر عبادة مشروعة ﴿ ولا تُعْجِبْكَ﴾ الخطاب للنبي (ص) والمراد الأمة﴿ أَمْوالُهُمْ وأَولادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الدُّنْيا﴾ بما يلحقهم فيها من المصائب والغموم، وبما يشق عليهم إخراجها من الزكوات والانفاق في سبيل الله﴿ وتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وهُمْ كافِرُونَ﴾ ويهلكون بالموت في حال كفرهم، وكررت الآية للتأكيد، أو هذه في فريق وتلك في آخرين ﴿ وإِذا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ﴾ بأن﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وجاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ﴾ طلب الإذن في القعود﴿ أُولُوا الطَّوْلِ﴾ ذوو القدرة والغنى ﴿ مِنْهُمْ﴾ من المنافقين ﴿ وقالُوا ذَرْنا نَكُنْ مَعَ الْقاعِدِينَ﴾ عن الجهاد.

[سورة التوبة الآيات ٨٧ - ٩٣]

رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ

(١) أهل الأمراض الدائمة.

ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٠﴾ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٩٣﴾

﴿ رَضُوا﴾ لأنفسهم﴿ بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ﴾ الذين تخلفوا عن الجهاد، جمع (خالفة) وعن الباقر (ع): قال مع النساء﴿ وطُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾ ختم عليها﴿ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ لا يتدبرون الأدلة الدالة على ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة الأبدية، وما في التخلف عن الجهاد ومخالفة الرسول من الشقاوة السرمدية﴿ لكِنِ الرَّسُولُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ﴾ بإنفاقها في سبيل الله﴿ وأَنْفُسِهِمْ﴾

عرضوها للقتل في الحروب﴿ أولئكَ لَهُمُ الْخَيْراتُ﴾ من النصر والغنيمة والمدح والتعظيم في الدنيا، والثواب والجنة في الآخرة﴿ وأولئكَ هُمُ الْمُفْلحُونَ﴾ الفائزون بالمطالب﴿ أعَدَّ اللّهُ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهارُ خالِدينَ فيها ذلكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ لحصوله على وجه الدوام﴿ وجاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأعْرابِ﴾ المقصرون من عذرفي الأمر إذا قصّر فيه موهماً ان له عذراً ولا عذر له، و(المعذرة) على زنة (المفعل) هو: الممر عن المقصّر يعتذر بغير عذر، أو المتعذرون الذين لهم عذر إن أخذ من اعتذر إذا مهّد العذر﴿ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ واختلف في أنهم كانوا معتذرين بالتصنع، أو بالصحّة﴿ وقَعَدَ الَّذينَ كَذَبُوا اللّهَ ورَسُولَهُ﴾ أي: في إدّعاء الإيمان غيرهم﴿ سَيُصِيبُ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ ألِيمٌ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفاءِ ولا عَلَى الْمَرْضى﴾ ذوي العلل المانعة من الخروج كالهرم والزّمن ﴿ ولا عَلَى الَّذينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ﴾ أي: نفقة الخروج ولا آلة السفر لفقرهم ﴿ حَرَجٌ ﴾ إثم في التأخّر عن الخروج مع الرسول﴿ إذا نَصَحُوا لِلّه ورَسُوله﴾ بأن يخلصوا العمل من الغش في السر والعلانية﴿ ما عَلَى الْمُحْسِنينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ من طريق للتقريع في الدنيا والعذاب في الآخرة، قيل: ولعلّه عام في كل محسن، و وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم المنخرطون في سلك المحسنين﴿ واللّهُ غَفُورٌ﴾ ساتر على ذوي الأعذار بقبول عذرهم﴿رَحِيمٌ﴾ لا يكلفهم فوق طاقتهم ﴿ ولا عَلَى الَّذينَ﴾ عطف على (الضعفاء) أو(المحسنين)﴿ إذا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ أي:: يسألونك مركباً يركبونه للجهاد لحاجتهم﴿ قُلْتَ لا أجِدُ ما أحْمِلُكُمْ عَلَيْه تَوَلَّوْا﴾ رجعوا عنك﴿ وأعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ تسيل﴿ مِنَ الدَّمْعِ﴾ منصوب على التمييز، وهوأبلغ من: (تفيض دمعها) لدلالته على أن العين كلها صارت دمعاً فياضاً﴿ حَزَناً﴾ نصب على العلة، أي: يبكون لحزنهم على﴿ ألاّ يَجِدُوا ﴾ ما يركبون و﴿ ما يُنْفِقُونَ﴾

في الطريق لحرصهم على الخروج، روي: أن عبد الله بن يزيد بن ورقاء الخزاعي أحدهم﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ بالتقريع والعقاب﴿ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ في المقام ﴿ وهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ يتمكنون من الجهاد﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ من النساء والصبيان ومن لا حراك به، القمي: كانوا ثمانين رجلاً من قبائل شتى، والخوالف: النساء﴿ وطَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾ حتى غفلوا عن وخامة العاقبة﴿ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ معيبه .

[سورة التوبة الآيات ٩٤ - ٩٩]

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ۚ

عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٩﴾

﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في تخلفهم عنكم بالأباطيل والكذب﴿ إذا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من غزوة تبوك﴿ قُلْ لا تَعْتَذِرُوا﴾ بأكاذيبكم﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لن نصدقكم فيما تقولون﴿ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ﴾ بالوحي إلى نبيه﴿ مِنْ أَخْبارِكُمْ﴾ ما علمنا به كذبكم ﴿ وسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ورَسُولُهُ﴾ يعلم هل تتوبون من نفاقكم أم تثبتون عليه ﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بعد الموت﴿ إلى عالِمِ الْغَيْبِ والشَّهادَةِ﴾ ما غاب وما حضر، ووضع الوصف موضع الضمير للدلالة على أنه سبحانه مطلع على سرّهم وعلانيتهم﴿ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يخبركم بأعمالكم فيجازيكم عليها﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ في اعتذارهم إليكم﴿ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ لتصفحوا عن جرمهم فلا تعاتبوهم﴿ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ إعراض رد ومقت وتكذيب، ثم بيّن سبب الإعراض بقوله: ﴿ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ كالشيء النجس الذي يجب الإجتناب عنه، أو لا ينفع التوبيخ والتقريع﴿ ومَأْواهُمْ﴾ مآلهم ﴿ جَهَنَّمُ جَزاءً﴾ منصوب على المصدر والعلة﴿ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا﴾ طلباً لرضاكم ﴿ عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ لجهلكم بحالهم﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضى عَنِ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته، وأقيم الظاهر مقام الضمير تنبيهاً على العلة﴿ الاعْرابُ﴾ هم: سكان البادية،

والعرب سكان الأمصار، وليس (الاعراب) جمع (عرب) بل لا واحد له[١] ﴿ أَشَدُّ كُفْراً ونِفاقاً﴾ من أهل المدن، يعني: أن سكان البوادي إذا كانوا كفاراً ومنافقين فهم أشد كفراً ونفاقاً من أهل الحضر، لقساوة قلوبهم وبعدهم عن مواضع العلم ﴿ وأَجْدَرُ﴾ أحرى﴿ أَلاّ يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أنزل اللَّهُ﴾ من الشرائع، فرائضها وسننها، وحلالها وحرامها﴿ واللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال كل أحد من أهل الوبر والمدر[٢]﴿ حَكِيمٌ﴾ فيما يحكم به عليهم من ثواب وعقاب﴿ ومِنَ الاعْرابِ﴾ بعض منافقيهم﴿ مَنْ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ﴾ في الجهاد وسبيل الخير﴿ مَغْرَماً﴾ غرماً وخسراناً لحقه، لأنه لا يرجو ثواباً وانما ينفقه رياء وتقية﴿ ويَتَرَبَّصُ﴾ وينتظر﴿ بِكُمُ الدَّوائِرَ﴾ صروف الزمان وحوادث الأيام، قيل: كانوا يتربصون بهم الموت والقتل وينتظرون موت النبي (ص) ليرجعوا إلى دين الشرك﴿ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ﴾ بالفتح وبالضم جملة دعائية والدائرة مصدر، أو اسم فاعل إشارة إلى أن إحاطتها بهم ليس لهم منها مخلص كالدائرة واللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالتهم﴿ عَلِيمٌ﴾ بنياتهم﴿ ومِنَ الاعْرابِ﴾ بعضهم﴿ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ ويَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرُباتٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾ طلب قربه وثوابه﴿ وصَلَواتِ الرَّسُولِ﴾ عطف على (ما ينفق) أي: يتخذ النفقة وصلوات الرسول قربات أي: دعاء الرسول بالخير والبركة واستغفاره، لأنه (ص) كان يدعوللمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ﴿ أَلا إِنَّها﴾ أي: صلوات الرسول، أونفقتهم﴿ قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ تقربهم إلى ثواب الله ﴿ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جنته﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب﴿ رَحِيمٌ﴾ بأهل طاعته.

---

(١) يمكن أن يقال ان (العرب)جمع عربي و(الاعراب)جمع أعرابي.

(٢) الوبر: صوف الإبل والأرانب ونحوها. والمدر: الطين اللزج المتماسك. ويطلق اسم (أهل الوبر) على سكان البادية لأنهم يتخذون بيوتهم من الوبر . كما يطلق اسم (أهل المدر) على سكان البيوت المبنية خلاف البدو سكان الخيام.

[سورة التوبة الآيات ١٠٠ - ١٠٦]

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿١٠٦﴾

﴿ والسَّابِقُونَ﴾ إلى الإيمان والطاعات﴿ الأولُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ﴾ من مكة إلى المدينة والحبشة، و(من) للبيان﴿ والأنصارِ﴾ القمي: هم النقباء وأبوذر والمقداد وسلمان وعمّار ومن آمن به وصدق وثبت على ولاية عليّ، وذكر جمع من المفسرين: أنها نزلت في علي (ع): سبق الناس كلهم إلى الإيمان، وصلى القبلتين، وبايع البيعتين بدر والرضوان، وهاجر الهجرتين مع جعفر، من مكة إلى الحبشة ومن الحبشة إلى المدينة ﴿ والَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ﴾ بأفعال الخير، والدخول في الإسلام بعدهم وسلكوا مناهجهم، ويدخل في ذلك من يجيء بعدهم إلى يوم القيامة ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بقبول طاعاتهم﴿ ورَضُوا عَنْهُ﴾ بما نالوه من ثواب الدارين ﴿ وأَعَدَّ الله لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأنهارُ خالدِينَ فيها أَبداً ذلكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الفلاح، الذي يصغر في جنبه كل نعيم﴿ ومِمَّنْ حَوْلَكُمْ﴾ من جملة من حول مدينتكم﴿ مِنَ الاعْرابِ مُنافقُونَ ومِنْ أهل الْمَدِينَةِ﴾ أي:ضاً منافقون﴿ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ لا تَعْلَمُهُمْ﴾ لا تعرفهم بأعيانهم، قيل: هو تقرير لمهارتهم فيه، أي: يخفون عليك مع فطنتك وصدق فراستك لفرط تحاميهم مواقع الشك في أمرهم﴿ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ ونطّلع على أسرارهم﴿ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ قبل عذاب الآخرة مرّة بالفضيحة، أو بالقتل، أو السبي، أو بغيظهم من المؤمنين، أو بإقامة الحدود عليهم، أو بأخذ الزكاة منهم، أو بضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم، والأخرى: عذاب القبر﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ يوم القيامة﴿ إلى عَذابٍ عَظِيمٍ﴾ هوعذاب النار أعاذنا اللّه منها وسائر المؤمنين﴿ و﴾ من أهل المدينة، أوالأعراب ﴿ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صالحاً و﴾ عملا ﴿ آخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: يقبل توبتهم المدلول عليها بقوله: اعترفوا﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بالتوابين، عن الباقر (ع): نزلت

في أبي لبابة، وعنه (ع): أولئك قوم مؤمنون يحدثون في إيمانهم من الذنوب التي يعيبها المؤمنون ويكرهونها فأولئك عسى الله أن يتوب عليهم، وعنه (ع): عسى من الله واجب وانما نزلت في شيعتنا المذنبين﴿ خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ﴾ أي: بعضها، وجمع الأموال ليشتمل على أجناس المال كلها﴿ صَدَقَةً﴾ وعند أكثر المفسرين انها الزكاة الواجبة﴿ تُطَهِّرُهُمْ﴾ أنت عن دنس الذنوب﴿ وتُزَكِّيهِمْ بِها﴾ والتزكية: مبالغة في التطهير وزيادة فيه، أو بمعنى: الإنماء والبركة في المال﴿ وصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ وادع لهم بقبول صدقاتهم كما يقول الداعي: جزاك الله خيراً وبورك لك﴿ إِنَّ صَلاتَكَ﴾ بالإفراد والجمع لاختلاف ضروب الدعاء﴿ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ تسكن إليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم﴿ واللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لدعائك لهم﴿ عَلِيمٌ﴾ بما يكون منهم، عن النبي (ص): كان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صل عليهم، وسئل الصادق (ع) عن هذه الأية جارية هي في الإمام بعد رسول الله (ص)؟ قال: نعم، وعنه (ع) ما يدل انها نزلت في الزكاة﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَيَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ﴾ عدّي الفعل بـ(عن) لتضمنه معنى يتجاوز، وأريد بالاستفهام التنبيه على ما يجب أن يعلم﴿ ويَأْخُذُ الصَّدَقاتِ﴾ أي: يقبلها ويجازي عليها، جعل أخذ النبي والمؤمنين الصدقات أخذاً من الله حيث أنه بأمره﴿ وأَنَّ﴾ عطف على (انّ)﴿ اللَّهَ هُو التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وقُلِ اعْمَلُوا﴾ ما أمركم الله به﴿ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ورَسُولُهُ والْمُؤْمِنُونَ﴾ عن الباقر (ع): هو والله علي (ع)، وعن الصادق(ع): المؤمنون هم الأئمة، وعنه (ع): أيانا عنى، وعنه (ع): انما هي والمأمونون ونحن المأمونون وتعرض أعمال العباد على رسول الله (ص) كل صباح، أبرارها وفجارها، فاحذروها، وعن الباقر (ع): ما من مؤمن يموت أوكافر يوضع في قبره حتى يعرض عمله على رسول الله (ص) وعلى امير المؤمنين (ع) وهلمّ جرا إلى آخر من فرض الله طاعته على العباد فذلك قوله: وقل اعملوا الأية ﴿ وسَتُرَدُّونَ﴾

بالموت﴿ إلى عالِمِ الْغَيْبِ والشَّهادَةِ ﴾ عالم السرّ والعلانية﴿ فَيُنَبِّئُكُمْ بما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالمجازاة﴿ وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ بهمز وبدونها لغتان، أي: موقوف أمرهم، من (ارجأته) إذا أخرته﴿ لأَمْرِ اللَّهِ﴾ لما يرد من الله فيهم﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ وفيه دلالة على جواز العفوعن العصاة وعلى أن قبول التوبة بفضله، لأنه لوكان واجباً لما جاز تعلّقه بالمشيّة﴿ واللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يؤول اليه حالهم﴿ حَكِيمٌ﴾ فيما يفعله بهم.

[سورة التوبة الآيات١٠٧ - ١١١]

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ

ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

﴿ والَّذينَ﴾ عطف على (آخرون) أو مبتدأ محذوف الخبر لطول الصّلة أي: يعذبون﴿ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً﴾ أي: الضرار[1] ﴿ وكُفْراً﴾ لإقامة الكفر فيه الذي كانوا يضرونه[2] فيه من الطعن على رسول اللّه (ص) وعلى الإسلام﴿ وتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين كانوا يجتمعون للصلاة في مسجد قبا، أومسجد الرسول (ص) أرادوا أن يتفرقوا وتختلف كلمتهم﴿ وإِرْصاداً﴾ واعداداً﴿ لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ﴾ لأبي عامر الراهب ﴿ ورَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ النبوّة﴿ ولَيَحْلِفُنَّ﴾ كاذبين﴿ إِنْ أَرَدْنا﴾ ما أردنا ببناء هذا المسجد﴿ إلاّ﴾ الخصلة ﴿ الْحُسْنى﴾ من التوسعة على أهل الضعف والعلل من المسلمين﴿ واللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾ في حلفهم، القمي: كان سبب نزولها إنه جاء قوم من المنافقين إلى رسول اللّه (ص) فقالوا: أتأذن لنا ان نبني مسجداً في بني سالم للعليل والليلة المطيرة والشيخ الفاني، فأذن لهم (ص) وهوعلى الخروج إلى تبوك فقالوا: لو أتيتنا فصليت فيه، قال: إني على جناح سفر فإذا وافيت إن شاء اللّه تعالى أتيته فصليت فيه، فلمّا أقبل رسول اللّه (ص) من تبوك نزلت عليه هذه في شأن

---

(١) الظاهر أن الصحيح: (للضرار).

(٢) لعلها: (يضمرونه).

المسجد وابي عامر الراهب، وقد كانوا حلفوا لرسول اللّه (ص) انهم يبنون ذلك للصّلاح والحسنى، فأنزل اللّه على رسوله (والذين اتخذوا مسجدا) الآية قال: وارصاداً لمن حارب اللّه ورسوله يعني: أبا عامر الراهب كان يأتيهم فيذكر رسول اللّه (ص) وأصحابه ﴿ لا تَقُمْ﴾ لا تصل فيه﴿ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾ بنيانه﴿ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَولِ يَوْمٍ﴾ عن الباقروالصادق (ع): يعني: مسجد قبا أسّسه رسول اللّه (ص) وصلى فيه، وقيل: المراد به مسجد النبي (ص)، وقيل: كل مسجد بني في الإسلام وأريد به وجه اللّه ﴿ أَحَقُّ أَنْ﴾ بأن ﴿ تَقُومَ فِيهِ﴾ أي: أولى بان تصلّي فيه من مسجد النفاق ﴿ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ أن يصلّوا متطهرين بأبلغ الطهارة، أويتطهروا من الذنوب، أوبالماء من الغائط والبول﴿ واللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ عن الصادق (ع): هو الإستنجاء بالماء، وعن النبي (ص) انه قال لأهل قبا: ما ذا تفعلون في طهركم فان اللّه قد أحسن عليكم الثناء؟ قالوا: نغسل أثر الغائط، فقال: أنزل اللّه فيكم(ان اللّه يحب المطهرين)﴿ أَ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ﴾ بالبناء للمجهول والمعلوم﴿ عَلى تَقْوى مِنَ اللَّهِ ورِضْوانٍ﴾ في محل الحال أي: مثبتاً من اللّه وطالباً رضوانه﴿ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ﴾ بضم الراء على الأصل وبسكونها للتخفيف﴿ هارٍ﴾ أشفى على السقوط والهدم﴿ فَانْهارَ﴾ البنيان﴿ بِهِ ﴾ بالباني﴿ فِي نارِ جَهَنَّمَ واللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ إلى ما فيه صلاح ونجاة﴿ لا يَزالُ بُنْيانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا﴾ يعني: مسجد الضرار﴿ رِيبَةً﴾ سبب شك وإزدياد نفاق في قلوبهم لا يضمحل أثره، ثم لمّا هدمه الرسول (ص) رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول رسمه﴿ إِلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ﴾ بفتح التاء وبضمّها أي: تبلى ﴿ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: لا ينزعون عن الخطيئة حتى يموتوا على نفاقهم وكفرهم، فإذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الإيمان وأخذوا به من

الكفر، وعن الصادق (ع): أنه قرئ إلى (أن تقطع)﴿ واللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بنياتهم في بناء مسجد الضرار﴿ حَكِيمٌ﴾ فيما أمر بهدم بنيانهم والمنع من الصلاة فيه، روي: أن النبي (ص) بعث مالك بن دهشم الخزاعي وعامر بن عدي على أن يهدموه ويحرقوه، فجيء بنار وأشعل في سعف النخل في المسجد، وقعد زيد بن حارثة حتى احترق البنية، ثم أمر بهدم حائطه﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ يبذلونها في الجهاد﴿ وأَمْوالَهُمْ﴾ ينفقونها في سبيل اللّه﴾ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ في مقابلة ذلك﴿ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّه﴾ بيان للغرض الذي لأجله اشتراهم﴿ فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ﴾ بفتح الياء في الأول على البناء للفاعل وبضمها في الثاني على البناء للمفعول، أوبالعكس لأن الواو لمطلق الجمع ﴿ وَعْداً﴾ أي: وعدهم الجنة﴿ عَلَيْهِ حَقًّا﴾ ثابتاً﴿ فِي التَّوْراةِ والإِنْجِيلِ والْقُرْآنِ﴾ وفيه دلالة على أن كل ملّة أمروا بالقتال ووعدوا عليه الجنة﴿ ومَنْ أوفى﴾ أي: لا أحد أوفى﴿ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ لأنه يفي ولا يخلف بحال ﴿ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بأيعْتُمْ بِهِ وذلِكَ﴾ البيع ﴿ هُو الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الظفر الكبير.

[سورة التوبة الآيات١١٢ - ١١٧]

ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ

ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

﴿التَّائِبُونَ﴾ خبر محذوف أي: هم التائبون، وعن الباقر (ع): التائبين العابدين... إلخ، قال: اشترى من المؤمنين التائبين ﴿الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ﴾ في الأرض للجهاد، أو لطلب العلم، أوالصائمون سمّي الصائم (سائحاً) لاستمراره على الطاعة في ترك المنهيّ ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ والْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ القائمون بطاعته في أوامره ونواهيه هي حدوده تعالى، قيل: جيء بـ(الواو) للتنبيه على أن ما تقدم مفصل الفضائل وهذا مجملها، أوللإيذان بأن التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن هو ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سمّيت (واو الثمانية) ﴿وبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين بالله والنبي،

وضع الظاهر موضع الضمير للتنبيه على أن إيمانهم دعاهم إلى ذلك فان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل: ويشرهم بالثواب الجزيل﴿ ما كانَ لِلنَّبِيِّ والَّذينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكينَ ولَو كانُوا أولِي قُرْبى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أنَّهُمْ أصحاب الْجَحِيمِ﴾ بموتهم على الشرك، أو بوحي من الله انهم لم يؤمنوا، قيل: يدل على جواز الإستغفار لإحيائهم إذا لم يعلم عاقبة أمرهم فانه طلب لتوفيقهم للإيمان. وبه يدفع النقض بإستغفار ابراهيم لأبيه الكافر﴿ وما كانَ اسْتِغْفارُ إبْراهِيمَ لأبِيهِ إلاّ﴾ صادراً ﴿ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها أياهُ﴾ انه يؤمن ان استغفر له﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أنَّهُ عَدُوٌّ للهِ﴾ بالموت، أو بالوحي﴿ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ وترك الدعاء أو وعد إبراهيم أباه أن يستغفر له ما دام حيّاً وكان يستغفر له بشرط الإيمان فلمّا آيس من إيمانه تبرأ منه﴿ إنَّ إبْراهِيمَ لأواهٌ حَلِيمٌ﴾ عن النبي (ص): لخاشع متضرع، وعن الصادق (ع): لدعّاء كثير الدعاء والبكاء، وعن الباقر (ع): الأواه الدّعاء، والقمي: عنه (ع): الأواه: المتضرّع إلى الله في صلاته وإذا خلا في قفرة من الأرض وفي الخلوات ﴿ وما كانَ اللّهُ لِيُضِلَّ﴾ ليعذب ﴿ قَوْماً﴾ فيضلهم عن الثواب وطريق الجنة﴿ بَعْدَ إذْ هَداهُمْ﴾ ودعاهم إلى الإيمان﴿ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ﴾ ما يستحقون به الثواب من الطاعة والمعصية، أو ما كان الله ليحكم بضلال قوم بعد ما حكم بهدايتهم حتى يبين لهم ما يتقون من الأمر والنهي، وفي عدة روايات حتى يعرفهم ما يرضيه وما يسخطه﴿ إنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ والأرْضِ يُحْيِي﴾ الجماد﴿ ويُمِيتُ﴾ الحيوان ﴿ وما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يتولى أموركم ويحفظكم﴿ ولا نَصِيرٍ﴾ يدفع العذاب عنكم﴿ لَقَدْ تابَ اللّهُ عَلَى النَّبِيِّ والْمُهاجِرِينَ والأنْصارِ﴾ أي: قبل توبتهم وطاعتهم، وذكر اسم النبي مفتاحاً للكلام وتحسيناً له، وفي قراءة أهل البيت: لقد تاب

الله بالنبي على المهاجرين والأنصار، وفي جملة من الأخبار: هكذا نزلت﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ في الخروج معه إلى تبوك﴿فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ في وقتها، وهي صعوبة الأمر، يعني: عسرة الزاد وعسرة الظهر وعسرة الماء ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: تزيغ عن الجهاد وقد همّوا بالإنصراف عن غزاتهم بغير استئذان فعصمهم الله من ذلك حتى مضوا مع النبي (ص) فتاب عليهم، القمي: كان مع رسول الله (ص) بتبوك رجل يقال له: (المضرب) لكثرة ضرباته التي اصابته ببدر وأحد فقال له رسول الله (ص): عدّ لي أهل العسكر، فعددهم فقال: هم خمسة وعشرون ألف سوى العبيد والأتباع، فقال: عد المؤمنين، فعدّهم، فقال: هم خمسة وعشرون رجلاً﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ من بعد ذلك الزيغ ولم يرد به هناك الزيغ عن الإيمان، وكرّره للتأكيد﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ تداركهم برأفته ورحمته.

[سورة التوبة الآيات١١٨ - ١٢٢]

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا

نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

﴿ وعَلَى الثَّلاثَةِ﴾ وتاب على الثلاثة﴿ الَّذينَ خُلِّفُوا﴾ تخلفوا عن الغزو، أو عن قبول التوبة بعد قبول توبة غيرهم، وعن الصادق (ع): هم: كعب بن مالك ومرار بن ربيع وهلال بن اميّة، وعن السجّاد والباقر والصادق (ع): انهم قرءوا: (خالفوا) القمي: قال العالم (ع): انما نزل: (وعلى الذين خالفوا) ولو خلفوا لم يكن عليهم غبٌ[1] ﴿حَتّى إِذا ضاقَتْ عَلَيهِمُ الارْضُ بِما رَحُبَتْ﴾ أي: ضاقت عليهم مع اتساعها، وهو صفة من بلغ غاة الندم حتى لا يجد لنفسه مذهباً، وذلك ان النبي (ص) نهى الناس أن يجالسوهم ويكلموهم حتى زوجاتهم﴿ وضاقَتْ عَلَيهِمْ أنْفُسُهُمْ﴾ مبالغة في الغم حتى كأنهم لم يجدوا لأنفسهم موضعاً يخفونها فيه، والمراد: ضيق قلوبهم من فرط الوحشة والغم ﴿ وظَنُّوا﴾ وأي:قنوا﴿ أنْ لا مَلْجأَ مِنَ اللّهِ﴾ من سخطه ﴿ إلاّ إِلَيْهِ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ

---

(١) لعلها تصحيف: (عتب).

ليَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ لمن تاب، ولو عاد في اليوم مائة مرّة﴿ يا أيهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ اجتنبوا معاصيه﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقينَ﴾ قيل: لعل المراد الموصوفون في سورة البقرة بقوله: (من آمن بالله واليوم الآخر) إلى قوله: (أولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون)[١] أوالمذكورون في قوله: (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه)[٢] وفي جملة من روايات العامة والخاصة (كونوا مع الصادقين): مع علي وأصحابه، وعن الباقر (ع): مع آل محمد (ص)، وفي الآية دلالة على ان الزمان لا يخلومن صادق يجب الكون معه وليس المراد صادق ما قطعاً بل الصديق في أقواله وأفعاله وأحواله، وذلك لا ينطبق إلا على مذهب الإماميّة﴿ ما كانَ لأهل الْمَدينَة وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأعْرابِ أنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ (ص) في غزوة وغيرها بغير عذر ﴿ ولا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسه ذلكَ﴾ التخلف ﴿ بِأَنَّهُمْ لا يُصيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ شيء من العطش﴿ ولا نَصَبٌ ﴾ تعب﴿ ولا مَخْمَصَةٌ﴾ مجاعة وهي: شدة الجوع في سبيل الله في طريق الجهاد﴿ ولا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً﴾ لا يضعون أقدامهم موضعاً﴿ يَغيظُ الْكُفَّارَ﴾ وطؤهم أي:اه يعني: دار الحرب﴿ ولا يَنالُونَ مِنْ عَدُو نَيْلاً﴾ ولا يصيبون من المشركين أمراً من قتل، أو أسر، أو جراحة، أونهب﴿ إلاّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ﴾ يستوجبون به الثواب عند الله﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُضيعُ أَجْرَ الْمُحْسنينَ﴾ وفيه تحريض على الجهاد وأفعال الخير﴿ ولا يُنْفقُونَ نَفَقَةً صَغيرَةً ولا كَبيرَةً﴾ لا عزاز دين الله، ونفع المسلمين، والتقرب إلى الله﴿ ولا يَقْطَعُونَ﴾ ولا يجاوزون في مسيرهم﴿ وادياً﴾ هوكل منفرج ينفذ فيه السيل، وشاع بمعنى: الأرض﴿ إلاّ كُتِبَ لَهُمْ﴾ ثواب ذلك ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ

---

(١) سورة البقرة الآية ١١٧.

(٢) سورة الاحزاب الآية ٢٣.

أَحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ وما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ نهي في صورة النفي، أي: ليس لهم ان يخرجوا إلى الجهاد بأجمعهم ويتركوا النبي (ص) وحده، أوليس عليهم أن ينفروا جميعاً من بلادهم إلى النبي ليتعلموا العلم﴿ فَلَولا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائفَةٌ لِيَتفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ولِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ أي: هلا نفر إلى النبي من كل ناحية طائفة لتتعلم منه أمور الدين ثم ترجع إلى قومها فتبين لهم ذلك وتنذرهم، وسمى الخروج إلى طلب العلم (نفراً) لما فيه من مجاهدة أعداء الدين بل هو الجهاد الأكبر، لأن الجدال بالحجة هو الأصل، وفيها دلالة على أن طلب العلم من فروض الكفاية، وان يكون الغرض منه التفقه لا الترفع، وأن خبر الواحد حجة، وقيل: المعنى: هلاً خرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة ويبقى مع النبي جماعة ليتفقهوا في الدين يعني: الفرقة الباقين ويتعلموا الشرائع والأحكام فإذا رجعت السرايا قالوا لهم: إن الله قد أنزل بعدكم قرآناً.

[سورة التوبة الآيات١٢٣ - ١٢٩]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ

مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

﴿ يا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ الأقرب منهم إليكم فالأقرب في النسب وفي الدار، عن الصادق (ع) قال: الديلم، والقمي: يجب على كل قوم أن يقاتلوا من يليهم ممّن يقرب من الإمام وليس لهم أن يجوزوا ذلك الموضع ﴿ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ شدة وشجاعة وصبراً على القتال، القمي: أي: غلّظوا لهم بالقول والقتل﴿ واعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ عن الشرك يحرسهم وينصرهم ومن كان الله ناصره بالحجة فلا غالب له﴿ وإِذا ما أنزلتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ﴾ من المنافقين ﴿ مَنْ يَقُولُ﴾ إنكاراً واستهزاء﴿ أيكُمْ زادَتْهُ هذِهِ﴾ السورة﴿ إيماناً﴾ يقول ذلك بعضهم لبعض، أو يقولون للمؤمنين الذين في إيمانهم ضعف﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ المخلصون﴿ فَزادَتْهُمْ إيماناً﴾ تصديقاً بالفرائض مع إيمانهم بالله، ووجه زيادة الإيمان: أنهم كانوا مؤمنين بما نزل من قبل فآمنوا بما نزل الآن ﴿ وهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يبشر بعضهم بعضاً بنزولها لأنها سبب زيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم، القمي: هو ردّ

على من يزعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص﴿ وأمّا الّذينَ في قُلوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك ونفاق﴿ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إلى رِجْسِهِمْ﴾ كفراً إلى كفرهم، لأنهم يشكون في هذه السورة كما يشكون فيما تقدمها، وعن الباقر (ع): شكا إلى شكهم﴿ وماتُوا وهُمْ كافِرُونَ﴾ إستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه﴿ أ ولا يَرَوْنَ﴾ بالياء والتاء﴿ أنّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يمتحنون بالأمراض والأوجاع وبالقحط والجوع وبهتك أستارهم وما يظهر من خبث سرائرهم، أوبالجهاد مع النبي (ص)، والقمي: يمرضون﴿ في كُلِّ عامٍ مَرَّةً أو مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ﴾ عن نفاقهم﴿ ولا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ نعم اللّه عليهم﴿ وإذا ما أنزلتْ سُورَةٌ﴾ وهم حضور عند النبي (ص) ﴿ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ﴾ أي: تغامزوا بالعيون إنكاراً لها وسخرية وغيظاً لما فيها من عيوبهم﴿ هَلْ يَراكُمْ مِنْ أحَدٍ﴾ من المسلمين ان قمتم وانصرفتم، فان لم يرهم أحد قاموا، وإن رآهم أحد قاموا ﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾ عن المجلس وعن الإيمان به﴿ صَرَفَ اللّهُ قُلوبَهُمْ﴾ من الفوائد التي يستفيدها المؤمنون، أو عن رحمته وثوابه عقوبة لهم على إنصرافهم عن الإيمان وعن مجلس النبي (ص)، أو يكون ذلك على وجه الدعاء عليهم بالخذلان، والقمي: عن الحق إلى الباطل باختيارهم الباطل على الحق﴿ بِأنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم﴿ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ مراد اللّه بخطابه لعدم تدبّرهم أياته﴿ لَقَدْ جاءَكُمْ﴾ أيها الناس﴿ رَسُولٌ﴾ وهو: محمد (ص) ﴿ مِنْ أنْفُسِكُمْ﴾ من جنسكم من البشر، ثم من العرب ثم من بني إسماعيل، وعن الصادق (ع): من نكاح لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية، وإنما منّ اللّه عليهم بكونه منهم لأنهم إذا عرفوا مولده ومنشئه وحاله وصدقه وأمانته، ولم يعثروا على شيء يوجب نقصاً فيه، فأحرى أن يقرّوا به، والقمي: مثلكم في الخلقة ويقرأ من أنفسكم أي:: أشرفكم﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ﴾ شديد شاق عليه ما يلحقكم من الضرر بترك الإيمان والقمي: ما أنكرتم وجحدتم﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ على من يؤمن منكم

﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ منكم ومن غيركم﴿ رَؤُفٌ ﴾بالمطيعين﴿ رَحِيمٌ﴾ بالمؤمنين﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن قبول ما تأمرهم﴿ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ كافيني عن كل شيء﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فلا أرجو ولا أخاف إلا منه﴿ وهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ وإذا كان ربه فهو رب ما دونه وسواه، لأن العرش محيط بجميع المخلوقات.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة التوبة وتفسيرها.

سورة يونس

مائة وتسع آيات مكية.

[الآيات١ – ٦]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

عن الصادق (ع): من قرأها في كل شهرين أو ثلاثة لم يخف عليه أن يكون من الجاهلين وكان يوم القيامة من المقرّبين، وعن النبي (ص): من قرأ هذه السورة أعطي من الأجر والحسنات بعدد من كذب بيونس وصدق به... الخبر﴿ الر﴾ القمي: هو من حروف الإسم الأعظم المقطع في القرآن فإذا ألّفه الرسول أو الإمام ودعا به أجيب، وعن الصادق (ع): معناه: انا الله الرؤوف﴿ تِلْكَ﴾ الآيات التي مرّ ذكرها ﴿ أياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ﴾ القرآن المحكم من الباطل، أو الناطق بالحكمة، أوكلام الحكيم﴿ أَ كانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أنْ أوحَيْنا إلى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ اسم (كان) والإستفهام للإنكار من تعجب أهل مكة قالوا: العجب ان الله سبحانه لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب غير ذي مال وجاه وبسطة﴿ أنْ أنْذِرِ﴾ بأن خوّف ﴿ النَّاسَ﴾ بالعذاب﴿ وبَشِّرِ الَّذينَ آمَنُوا﴾ عمّم الإنذار لأن كل أحد فيه ما ينذر منه إلا القليل، وخصص البشارة لأن الذين كفروا لا يصحّ أن يبشروا﴿ أنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾

أي:: عملاً صالحاً قدّموه، أو منزلة رفيعة، وعن الصادق (ع): ان معنى (قدم صدق): شفاعة محمد (ص) وعنه (ع): هو رسول الله (ص)، وعنه (ع): ولآية أميرالمؤمنين (ع): ﴿ قالَ الْكافِرُونَ إِنَّ هذا﴾ النبي، أو ما أوحي اليه﴿ لَساحِرٌ مُبِينٌ﴾ مظهر، أو ظاهر وفيه اعتراف بأنهم صادفوا منه أموراً خارقة للعادة أعجزتهم عن المعارضة ومن ثم وصفوها بالسّحر﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماوات والارْضَ﴾ وهما أصول الممكنات، إخترعهما على ما فيهما من عجائب الصنع وبدائع الحكمة﴿ فِي سِتَّةِ أيامٍ﴾ لحكم ومصالح تقدمت الإشارة إليها﴿ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استولى عليه، أو استوت الأشياء عنده كما مرّ، و(ثم) بمعنى: الواو أو هي داخلة على التدبير ﴿ يُدَبِّرُ الامْرَ ما مِنْ شَفِيعٍ إلاّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِه﴾ كان الكفار يقولون: الأصنام شفعاؤنا عند الله، فردّ الله عليهم بأن الشفيع إنما يشفع عنده إذا أذن له في الشفاعة﴿ ذلكُمُ﴾ الموصوف بتلك الصفات﴿ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ لا يشاركه أحد في شيء من ذلك ﴿ فَاعْبُدُوهُ﴾ وحده لا تشركون به الأصنام﴿ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ﴾ حتى تعرفوا خطأكم فترجعوا﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ مصدر، أي: رجوعكم، أو محل رجوعكم فاستعدّوا للقائه ﴿ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد مضاف للفاعل، إذ في قوله: (اليه مرجعكم) معنى الوعد أي: وعد الله ذلك عباده وعداً﴿ حَقًّا﴾ صدقاً﴿ إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد موته﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحات بِالْقِسْطِ﴾ بعدله، فلا ينقصهم من أجورهم شيئاً، أوبعدالتهم وقيامهم على العدل في أمورهم﴿ والَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء حار شديد الحرارة﴿ وعَذابٌ أَلِيمٌ بما كانُوا يَكْفُرُونَ﴾ قيل: غيّر النظم للمبالغة في استحقاقهم العقاب والتنبيه على أن المقصود بالذات من الإبداء والإعادة هو الإنابة، واما العقاب فواقع بالعرض وانه تعالى يتولى إثابة المؤمنين بما

يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه، وأما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ ذات ضياء بالنهار وهو مصدر كالقيام، أو جمع (ضوء)﴿ وَالْقَمَرَ نُوراً﴾ ذا نور بالليل، قيل: والضياء أبلغ في كشف الظلمة، وقيل: ما بالذات ضوء وما بالعرض نور، فيشعر بأن نور القمر مستفاد من نور الشمس، وعن الباقر (ع): أن الله خلق الشمس من نور النار وصفوالماء، طبقاً من هذا وطبقاً من هذا، حتى إذا كانت سبعة أطباق ألبسها لباساً من نار فمن ثم صارت أشد حرارة من القمر، وقال: ان الله خلق القمر من نور النار وصفوالماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى إذا كانت سبعة أطباق ألبسه لباساً من ماء فمن ثم صار القمر أبرد من الشمس وظاهره ان كلاً من النورين ذاتي﴿ وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾ أي: قدّر القمر ذا منازل، أو قدّر سيره منازل، وخص بالذكر لسرعة مسيره، فانه يقطع منازله في شهر والشمس في سنة، ولمشاهدة منازله وإناطة أحكام الشرع به، ولذا علل بقوله:﴿ لِتَعْلَمُوا﴾ به وبمنازله﴿ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ حساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالي، وقيل: المعنى: على التثنية، واجتزئ بأحدهما عن معلومية الثاني، أو المعنى: قدّر كل واحد منازل، فيشمل الشمس والقمر وهما آيتان من آيات الله وفيهما آيات على وجود الصانع وصفاته منهما خلقهما وخلق الضياء والنور فيهما ودورانهما وقربهما وبعدهما ومشارقهما ومغاربهما وكسوفهما، وبث الشعاع في العالم، وتأثيرهما في الحر والبرد، وإخراج النبات، وطبخ الثمار وفي تمام القمر وسط الشهر ونقصانه في الطرفين ليتميز أول الشهر وآخره من وسطه، إلى غير ذلك﴿ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ لحكم ومنافع للخلق في الدين والدنيا﴿ يُفَصِّلُ﴾ الآيات آية آية﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ وخصهم لأنهم المنتفعون﴿ إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ تعاقبهما، أو اختلافهما في

الضياء والظلمة، أو الطول والقصر﴿ وما خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّماوات والأرْضِ﴾ من الأفلاك والكواكب السيارات والثابتة، وما في الأرض من الحيوان والنبات والجماد وأنواع الأرزاق والنعم﴿ لأياتٍ﴾ دالة عليه تعالى﴿ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ العواقب ويخافون العقاب، خصهم بالذكر لإختصاصهم بالانتفاع.

[سورة يونس الآيات٧ - ١٤]

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ

كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لقاءَنا﴾ لا يتوقعون جزاءنا أي: لا يطمعون في ثوابنا ﴿ ورَضُوا بالْحَياة الدُّنْيا﴾ اختاروها بدلاً من الآخرة فلم يعملوا إلا لها مع سرعة فنائها﴿ واطْمَأَنُّوا بِها﴾ وسكنوا إليها بأنفسهم، وركنوا إليها بقلوبهم﴿ والَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتنا غافِلُونَ﴾ ذاهبون عن تأملها، ذاهلون عن الفكر فيها، والعطف: اما لتغاير الوصفين والتنبيه على الجمع بين الذهولين، واما لتغاير الفريقين، والمراد بالأولين: من أنكر البعث ولم ير إلا الحياة الدنيا وبالآخرين من ألهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل﴿ أولِئكَ مَأواهُمُ﴾ مستقرهم﴿ النَّارُ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ بسبب كسبهم المعاصي التي واظبوا عليها﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحات يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ﴾ إلى طريق الجنة ﴿ بِإِيمانِهِمْ﴾ بسبب إيمانهم﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ﴾ إستئناف، أو خبر ثان أي: تجري بين أيديهم﴿ الأنهارُ﴾ وهم يرونها من علو كقوله سبحانه: (قد جعل ربك تحتك سريا)[1] ومعلوم أن الجدول لم يكن تحتها وهي قاعدة عليه وانما جعله بين يديها، أو تجري من تحت بساتينهم وقصورهم﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ خبر آخر

---

(١) سورة مريم الآية ٢٤.

﴿ دَعْواهُمْ﴾ دعاؤهم وذكرهم﴿ فِيها﴾ أن يقولوا﴿ سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ﴾ تلذذاً بذكره تعالى، وقيل: إذا مرّ بهم الطير في الهواء يشتهونه قالوا: سبحانك اللهم فيأتيهم الطير فيقع مشوياً بين أيديهم وإذا قضوا منه الشهوة قالوا: الحمد لله رب العالمين فيطير الطير حياً كما كان فيكون مفتتح كلامهم في كل شيء التسبيح ومختتمه التحميد ويكون التسبيح في الجنة بدل التسمية﴿ وتَحِيَّتُهُمْ﴾ من اللّه تعالى﴿ فِيها سَلامٌ﴾ أو تحية بعضهم لبعض، أو تحية الملائكة لهم﴿ وآخِرُ دَعْواهُمْ ﴾ وخاتم دعائهم﴿ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ و(ان) مخففة أي: هوآخر ذكرهم، عن الباقر (ع): في وصف الجنة إذا أراد المؤمن شيئاً يقول: سبحانك اللهم، فإذا قالها تنادت إليه الخدم بما اشتهى من غير أن يكون طلبه منهم وأمر به وآخر دعواهم ان الحمد للّه رب العالمين عند ما يقضون من لذاتهم من الجماع والطعام والشراب يحمدون اللّه عند فراغهم ﴿ ولَوْيُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ أي: إجابة دعواهم في الشر إذا دعوا به على أنفسهم وأهاليهم عند غيظ وضجر استعجلوا ﴿ اسْتِعْجالَهُمْ﴾ كما يعجل لهم إجابة الدعوة ﴿ بِالْخَيْرِ﴾ إذا استعجلوه ﴿ لَقُضِيَ﴾ بفتح القاف ﴿ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ بالنصب، وبضمها على البناء للمفعول ورفع (أجلهم) أي: فرغ ولكن لا يعجل اللّه لهم الهلاك، بل يمهلهم حتى يتوبوا، أو المعنى: ولو يعجل اللّه للناس العقاب الذي استحقوه بالمعاصي كما يستعجلون خيرهم لفنوا، لأن بنية الإنسان لا تحتمل عذاب الآخرة ﴿ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا﴾ لا يخافون البعث والحساب، والجملة عطف على جملة محذوفة دلّت الشرطية عليها أي: لا نعجل لهم الشر ولا نقضي أجلهم فنذرهم: ﴿ فِي طُغْيانِهِمْ﴾ في كفرهم وعدولهم عن الحق إلى الباطل﴿ يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون، و(العمه): شدة الحيرة﴿ وإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ﴾ المشقة والبلاء﴿ دَعانا لِجَنْبِهِ﴾ في

موضع الحال، أي: دعانا لكشفه مضطجعاً لجنبه﴿ أو قاعداً أوقائماً﴾ وفائدة الترديد الشمول لجميع الحالات وليس غرضه نيل الثواب في الآخرة، بل غرضه زوال ألمه، أو التقدير: إذا مس الإنسان الضرّ لجنبه أو مسه قاعداً أو قائماً دعانا لكشفه، وفائدة الترديد: تعميم أصناف المضار﴿ فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ﴾ و وهبناه العافية﴿ مَرَّ﴾ على طريقه السابقة ﴿كَأَنْ﴾ كأنه﴿ لَمْ يَدْعُنا﴾ قط﴿ إلى﴾ كشف﴿ ضُرٍّ مَسَّهُ كَذلِكَ﴾ أي: كما﴿ زُيِّنَ﴾ لهؤلاء ترك الدّعاء عند الرخاء، زيّن﴿ لِلْمُسْرِفِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الإنهماك في الشهوات والأعراض عن العبادات عند الرخاء، أو زيّن المسرفون ذلك بعضهم لبعض﴿ ولَقَدْ أهلكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يا أهل مكة بأنواع العذاب ﴿ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ أنفسهم بالتكذيب﴿ وجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ﴾ الدالة على صدقهم، والجملة حال بإضمار (قد) أوعطف على (ظلموا)﴿ وما كانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لفساد استعدادهم وخذلان اللّه لهم لعلمه بإصرارهم على الكفر وأنه لا فائدة في إمهالهم بعد إلزامهم الحجة بإرسال الرّسل﴿ كَذلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الجزاء﴿ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ نعذب كل مجرم، أونعذبكم فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وفيه تحذير عمّا نزل بالأمم الماضية﴿ ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِي الارْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد القرون التي أهلكناهم﴿ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ خيراً فتستحقون الثواب، أو شراً فتستحقون العقاب، قيل: وفائدته التنبيه على أن المعتبر في الجزاء جهات الأفعال وكيفياتها لا ذواتها، ولذا يحسن الفعل تارة ويقبح أخرى، ويدلّ على ان اللّه تعالى يعامل العبد معاملة المختبر.

[سورة يونس الآيات١٥ - ٢٠]

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

﴿ وإذا تتلى عليهم﴾ على مشركي قريش﴿ آياتنا بينات﴾ واضحات في الحلال والحرام، وسائر الشرائع والمعارف والأحكام، ونصبها على الحال﴿ قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ لا يؤمنون بالبعث والنشور، أي: لا يخشون عقابنا، ولا يرجون ثوابنا ﴿ ائت بقرآن﴾ آخر﴿ غير هذا﴾ الذي تتلوه علينا، ليس فيه ما يغيظنا من ذم عبادة الأوثان والوعيد لعابديها﴿ أو بدله﴾ بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة، وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها﴿ قل ما يكون﴾ ما يصح﴿ لي أن أبدله من تلقاء نفسي﴾ من جهة نفسي وناحيتها﴿ أن﴾ ما﴿ أتبع إلاّ ما يوحى إليّ﴾ ليس إليّ التبديل والنسخ﴿ إني أخاف إن عصيت ربي﴾ في اتباع غيره﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ يوم القيامة﴿ قل لوشاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم﴾ ولا أعلمكم الله﴿ به﴾ على لساني، بأن لم يكن ينزل عليّ فلا أقرأه ولا تعلمونه﴿ فقد لبثت فيكم عمراً﴾ مكثت وأقمت بينكم دهراً طويلاً﴿ من قبله﴾ قبل إنزال القرآن لم أقرأه عليكم ولم أدّع نبوة حتى أكرمني الله به بعد أربعين سنة، وكنت رجلاً أمياً لم أرجع إلى معلم ولا نشأت في بلدة فيها علماء، فكيف تتهموني باختراعه؟ وهوكتاب بهر كل فصيح، وأعجز كل بليغ، وبهر العقول وأذعن له الفحول﴿ أ فلا تعقلون﴾ وتتفكرون بعقولكم لتعلموا حقيقة الحال﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أوكذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون﴾ المشركون وإذا كان المراد بالمفتري الكافر دخل فيه من ادّعى الربوبية وغيره من أنواع الكفار، فلا يعترض بأن مدّعي الربوبية أعظم ظلماً من مدّعي النبوة ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾ من الأصنام والأوثان، وخصّه بالذكر لأنه أشد قبحاً﴿ ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ في الآخرة، أوفي الدنيا لإصلاح معاشنا لإنكارهم البعث لقوله تعالى: (وأقسموا بالله جهد إيمانهم لايبعث الله

من يموت)[1] ﴿ قُلْ أَ تُنَبِّئُونَ اللّهَ بما لا يَعْلَمُ﴾ أي:: أ تخبرون الله بما لا يعلم؟ ﴿ فِي السَّماوات ولا فِي الارْضِ﴾ من عبادة الأصنام وكونها شافعة، فانه لوكان حقّاً لكان معلوما للعالم بجميع المعلومات فنفي علمه نفي المعلوم أو المعنى: أ تخبرون الله بشريك أوشفيع لا يعلم في السموات والأرض؟﴿ سُبْحانَهُ وتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ القمي: كانت قريش يعبدون الأصنام ويقولون انما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى فإنا لا نقدر على عبادة الله، فرد الله عليهم وقال: قل لهم يا محمد (ص): أ تنبئون الله بما لا يعلم أي: (ليس) فوضع حرفاً مكان حرف، أي: ليس له شريك يعبد﴿ وما كانَ النَّاسُ إلاّ أُمَّةً واحِدَةً﴾ مجتمعين على دين الحق، وقرئ: (أمة واحدة على هدى) ﴿ فَاخْتَلَفُوا﴾ باتباع الهوى عند قتل قابيل هابيل، أو بعد الطوفان، أو بعد ابراهيم ﴿ ولَولا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ أنه لايعاجل العصاة بالعقوبة﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ عاجلاً﴿ فِيما فِيه يَخْتَلِفُونَ﴾ بأن يهلك العصاة وينجي المؤمنين، لكنّه أخرهم إلى يوم القيامة إنعاماً في التأنّي بهم﴿ ويَقُولُونَ لَوْ لا﴾ هلاّ﴿ أنزل عَلَيْه آيةمِنْ رَبِّه﴾ تضطرّ الخلق إلى المعرفة بصدقه فلا يحتاجون معها إلى النظر والإستدلال، وذلك ينافي التكليف﴿ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّه﴾ لا يعلمه غيره، يعلم الأشياء قبل كونها، لا تخفى عليه خافية فيعلم ما في انزاله الصّلاح فينزله، وبالعكس﴿ فَانْتَظِرُوا﴾ لنزول ما اقترفتموه ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ لما يفعله بكم، فإنه وعدني النصر عليكم.

---

(١) سورة النحل الآية ٣٨.

[سورة يونس الآيات ٢١ - ٢٥]

وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

﴿ وإذا أذقْنا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ ورخاء، وحقيقة الذوق إنما يكون فيما له طعم، واطلق على الرحمة ـ التي لا يوجد لها طعم بالفم ـ على سبيل المبالغة في شدة إدراك الحاسة لها﴿ مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ﴾ كشدة وبلاء﴿ إذا لَهُمْ مَكْرٌ ﴾جواب(إذا) الأولى في (إذا) الثانية يعني: إذا أذقناهم رحمة مكروا﴿ فِي آياتنا﴾ بالطعن والإحتيال في دفعها من الشبه، وقيل: مكرهم استهزاؤهم وتكذيبهم، قيل: قَحَط[1] أهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون، ثم لمّا رحمهم الله بالمطر طفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله﴿ قُلِ اللَّهُ أسْرَعُ مَكْراً﴾ منكم، قد دبّر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم ﴿ إنَّ رُسُلَنا﴾ يعني: الملائكة الحفظة﴿ يَكْتُبونَ ما تَمْكُرُونَ﴾ من سوء التدبير، وفيه غايةالزجر والتهديد من حيث أنه تعالى يحفظ مكرهم وأنه أقدرعلى جزائهم وأسرع ﴿ هو الذي﴾ ينشركم من (النشر) وقرئ﴿ ويُسَيِّرُكُمْ﴾ أي: يحملكم على السير و يمكنكم منه﴿ فِي الْبَرِّ والْبَحْرِ﴾ بخلق الدواب وتسخيرها لتركبوها في البر، وإرسال الرياح المختلفة التي تجري بالسفن في البحر﴿ حَتَّى إذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْك﴾ في السفن ﴿ وجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ وجرت السفن بالناس عدل عن الخطاب إلى الغيبة تصرفاً في الكلام للمبالغة كأنه يذكر لغيرهم ليتعجب من حالهم﴿ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ لينة الهبوب ﴿ وفَرِحُوا بها﴾ بالريح، لأنها توصلهم إلى مقصودهم، أو بالسفينة لأنها حملتهم وأمتعتهم﴿ جاءَتْها﴾ أي:: السفن، أو الريح الطيبة جواب (إذا كنتم) تلقتها ﴿ رِيحٌ عاصِفٌ﴾ شديدة

---

(١) القحط : هو العام الذي يحتبس فيه المطر وتقل فيه خيرات الأرض.

الهبوب هائلة﴿ وجاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ﴾ من البحر، والموج: اضطرابه ﴿ وظَنُّوا﴾ وتيقنوا﴿ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي: هلكوا، وسدت عليهم مسالك الخلاص، كمن أحاط به العدومن كل جانب﴿ دَعَوُا اللَّهَ﴾ عند هذه الشدايد والأهوال، والتجأوا ليكشف ذلك عنهم﴿ مُخْلصينَ لَهُ الدِّينَ﴾ لا يدعون معه غيره من الأصنام والأوثان علماً بأنها لا تملك لهم نفعاً ولا ضرًا في تلك الحال، وقوله: (دعوا) جواب(ظنوا) أو بدل منه بدل اشتمال﴿ لَئِنْ أَنجَيْتَنا مِنْ هذهِ﴾ الشدائد﴿ لَنَكُونَنَّ﴾ من جملة﴿ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنجاهُمْ﴾ منها إجابة لدعائهم﴿ إِذا هُمْ يَبْغُونَ﴾ الفساد ﴿ فِي الأَرْضِ﴾ وسارعوا إلى ما كانواعليه من الظلم﴿ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ مبطلين فيه﴿ يا أيهَا النَّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ﴾ أي: بغي بعضكم على بعض عائدوباله﴿ عَلى أَنفُسكُمْ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ بالرفع خبر لمبتدأ تقديره: بغي بعضكم على بعض عايد متاع في الحياة الدنيا لا يقرب إلى اللّه تعالى، أو هو متاع الحياة الدنيا، وعن الصادق (ع): ثلاث يرجعن على صاحبهن: النكث والبغي والمكر، ثم تلا الآية﴿ ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُكُمْ﴾ في الآخرة ﴿ فَنُنَبِّئُكُمْ بِما كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تهديد ووعيد﴿ إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ أي: صفتها العجيبة في سرعة فنائها وزوال نعيمها بعد إقبالها واغترار الناس بها﴿ كَماءٍ أنزلناهُ مِنَ السَّماءِ﴾ وهو المطر﴿ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرْضِ﴾ لأن المطر يدخل في خلل النبات فيختلط به، أو المعنى: اختلط بسببه النبات بعضه ببعض فاختلط ما يأكل الناس بما تأكل الأنعام﴿ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ كالحبوب والثمار والبقول﴿ والأَنْعامُ﴾ كالحشيش﴿ حَتَّى إِذا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَها﴾ كمال حسنها وبهجتها﴿ وازَّيَّنَتْ﴾ أصله: تزينت أي: ابتهجت بأنواع الألوان وأصناف النبات﴿ وظَنَّ﴾ أهلها ﴿ أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها﴾ على الإنتفاع بها أي: بلغت المبلغ الذي ظنت ملاكها انهم

يحصدونها﴿ أتاها أمْرُنا﴾ ضربتها عاهة أو آفة، أو أتاها أمر حكمنا وقضائنا بإهلاكها واتلافها﴿ لَيْلاً أونَهاراً فَجَعَلْناها ﴾ أي: جعلنا زرعها﴿ حَصِيداً﴾ محصوداً من أهله مقطوعاً مقلوعاً ذاهباً يابساً﴿ كَأنْ لَمْ تَغْنَ بِالأمْسِ﴾ كأن لم يقم زرعها على تلك الصفة، من (غنى بالمكان) أقام به، أي: كأن لم يوجد زرعها قبله، والمشبه به في الآية مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاماً بعد ما كان غضباً[1] والتفّ وزيّن الأرض حتى طمع فيه أهله وظنّوا انه قد سلم من الآفات، وهذا من التشبيه المركب، وقيل: المشبه به الماء فيما يكون به من الإنتفاع ثم الإنقطاع، وقيل: أنه تعالى شبّه الحياة الدنيا بحياة مقدرة على هذه الأوصاف﴿ كَذلكَ﴾ أي:: مثل ذلك﴿ نُفَصِّلُ الآيات﴾ نميّزها﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعتبرون بها﴿ واللّهُ يَدْعُوا إلى دارِ السَّلامِ﴾ هي الجنة: إما لأن السلام هوالله، والله يدعوإلى داره، أولأنها تسلم من الآفات، أو لأن أهلها يسلّم بعضهم على بعض والملائكة تسلّم عليهم، وربّهم يسلم عليهم فلا يسمعون الأ سلاماً، وعن الباقر (ع): أنّ السلام هو الله وداره التي خلقها لعباده وأوليائه الجنة﴿ ويَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾ بالتوفيق﴿ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الذي هو طريقها وهو الإيمان والدين الحق، أو ينصب الأدلة وروي: إلى ولآية علي (ع) .

[سورة يونس الآيات٢٦ -٣٣]

لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ

(١) هكذا وردت في النسخة الخطية، والظاهر أن الصحيح: (غضاً) أي: طرياً ناضراً.

جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾

﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ العمل في دار الدنيا ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ الحالة الحسنى الجامعة للذّات والنعيم على أكمل ما يمكن وهي تأنيث الأحسن ﴿وَزِيَادَةٞ﴾ تزاد عليها تفضلاً، كما

قال تعالى: (ويزيدهم من فضله)[١] وقال: (فله عشر أمثالها)[٢]﴿ ولا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ ولا يلحقها غبرة فيها سواد، و(الرهق): إلحاق الأمر﴿ ولا ذِلَّةٌ﴾ هوان أو كآبة وكسوف، القمي: القتر الجوع والفقر، والذلة: الحزن﴿ أولئكَ أصحاب الْجَنَّة هُمْ فِيها خالدُونَ﴾ دائمون، لا زوال فيها ولا إنقراض لنعيمها بخلاف الدنيا﴿ والَّذينَ كَسَبُوا السَّيِّئات﴾ عطف على قوله: (للذين أحسنوا) أومبتدأ خبره قوله:﴿ جَزاءُ سَيِّئَة بِمِثْلِها﴾ من غير زيادة ولا نقصان﴿ وتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ما لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ﴾ حافظ ومانع يدفع عنهم سخط الله وعذابه، أو ما لهم عند الله من يعصمهم كما يكون للمؤمنين ﴿كأنَّما أُغْشِيَتْ﴾ ألبست﴿ وُجُوهُهُمْ قطَعاً﴾ بفتح الطاءجمع(قطعة)وبسكونها وهو الجزء﴿ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلماً﴾ صفة لـ(قطعاً) أو حال من الذكر الذي في قوله: (من الليل) ﴿ أولئكَ أصحاب النَّارِ هُمْ فِيها خالدُونَ﴾ عن الباقر(ع): هؤلاء أهل البدع والشبهات، والشهوات يسوّد الله وجوههم، ثم يلقونه قال: ويلبسهم الذلة والصغار، وعن الصادق (ع): اما ترى البيت إذا كان الليل مظلماً كان أشد سواداً فكذلك هم يزدادون سواداً ﴿ ويَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ نجمع الفريقين﴿ جَمِيعاً﴾ من كل أوب[٣] إلى الموقف﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أشْرَكُوا﴾ في عبادتهم غيره تعالى وفي أموالهم حيث قالوا: هذا لله وهذا لشركائنا ﴿ مَكانَكُمْ﴾ اسم فعل، أي: ألزموا مكانكم، لا منصوب نصب الظروف﴿ أنْتُمْ﴾ تأكيد للضمير فيه المنتقل إليه من عامله﴿ وشُرَكاؤُكُمْ﴾ عطف عليه، يعني: أوثانكم ﴿ فَزَيَّلْنا﴾ ففرّقنا﴿ بَيْنَهُمْ﴾ في المسألة فسألنا المشركين على حدة: لم عَبَدتم

---

(١) تكررت هذه الآية في مواضع كثيرة في القرآن الكريم منها سورة النساء الآية ١٧٣.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٦٠.

(٣) وردت هكذا والظاهر أنها (صوب).

الأصنام؟ وسألنا الأصنام على حدة: لم عُبِدتم؟ وهذا سؤال تقريع وتبكيت، أو فرقنا بينهم وبين الأصنام وقطعنا الوصل الذي كان بينهم، والقمي: يبعث الله ناراً تزيل بين الكفّار والمؤمنين﴿ وقالَ شُرَكاؤُهُمْ ما كُنْتُمْ إيانا تَعْبُدُونَ﴾ لأنهم في الحقيقة عبدوا أهواءهم لأنها الآمرة بالإشراك لا ما أشركوا به، أو المعنى: ما كنّا نشعر إنكم إيانا تعبدون، أو أن المراد لم تعبدوا بأمرنا ودعائنا﴿ فَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ تمييز، أو حال أي: فاصلاً للحكم﴿ بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ﴾ فإنه العالم بكُنه الأمر﴿ إِنْ﴾ إنه ﴿ كُنّا عَنْ عِبادَتِكُمْ لَغافِلِينَ﴾ فإن الملائكة عمّا ادّعوه غافلون ولم يشعروا بذلك، وإن كان المراد الأصنام فلم يكن لها حسّ ولا علم، وهذا غاية في إلزام الحجة حيث اختاروا للعبادة من لم يشعروا بها ﴿ هُنالِكَ﴾ في ذلك المقام، أو تلك الحال﴿ تَبْلُوا﴾ أي: تختبر﴿ كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ﴾ ما قدّمت من خير أو شر، فترى نفعه أو ضره، وبالتاء من التلاوة أي: تقرأ كتاب عملها، أو تتبع جزاء ما قدمته فيقودها إلى الجنة، أو إلى النار﴿ ورُدُّوا إلى اللَّهِ﴾ إلى جزائه، أو إلى الموضع الذي لا يملك أحد فيه الحكم غيره﴿ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ﴾ صفة لله أي: ربّهم الصادق في ربوبيته، المتولي لأمورهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى﴿ وضَلَّ ﴾ وبطل﴿ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾ يدّعون انهم شركاء لله وانها تشفع لهم﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ﴾ بإنزال المطر﴿ والأَرْضِ﴾ بإخراج النبات وأنواع الثمار﴿ أَمَّنْ يَمْلِكُ﴾ أن يعطيكم﴿ السَّمْعَ والأَبْصارَ﴾ فيقويها وينورها ويحفظها من الآفات، ولوشاء لسلب نورها وحسّها﴿ ومَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ويُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ كما مرّ﴿ ومَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ يلي تدبير العالم على ما تقتضي الحكمة وهو تعميم بعد تخصيص﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ يفعل هذه الأشياء دون الأصنام ولا يقدرون على المكابرة في ذلك﴿ فَقُلْ﴾ لهم عند الإعتراف بذلك﴿ أَ فَلا تَتَّقُونَ﴾ عقابه في عبادة الأصنام﴿ فَذلِكُمُ اللَّهُ﴾ إشارة إلى اسم الله الموصوف بأنه

الذي يرزق الخلق ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ﴿ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ الثابت ربوبيته والذي تحق له العبادة دون غيره من الأصنام﴿ فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ﴾ استفهام يراد به التقرير على موضع الحجة، أي: ليس بعد الذهاب عن الحق إلا الوقوع في الضلال، إذ لا واسطة بينهما﴿ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ فكيف تعدلون عن الحق مع وضوح الدلالة على أنه لا معبود سواه﴿ كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ و(كلمة ربك) هي عدته بالعذاب﴿ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ تمردوا في كفرهم وخرجوا عن الرشد ﴿ أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ بدل من (كلمة ربك) أو تعليل لتحققها، أي: حق عليهم أنهم لا يؤمنون، أو حقت عليهم الكلمة لأنهم لا يؤمنون.

[سورة يونس الآيات ٣٤-٤٢]

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ﴾ من أصنامكم التي جعلتموها شركاء في العبادة، أو الأموال﴿ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ﴾ بالإنشاء بعد أن لم يكن، وهي: النشأة الأولى ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد فنائه، وهي: النشأة الثانية﴿ قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يعني: إن اعترفوا بأنها لا تقدر، أو سكتوا، فقل أنت لهم ذلك﴿ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ كيف تصرفون عن الحق وتقلبون عن الإيمان، جعل الإعادة كالإبداء في الإلزام بها لظهور برهانها وإن لم يساعدوا عليها، ولذلك أمر الرسول بأن ينوب عنهم في الجواب ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَهْدِي﴾ الخلق﴿ إلى الْحَقِّ﴾ والرشد بنصب الدلائل ﴿ قُلْ﴾ لهم﴿ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ أي: إلى طريق الرشد﴿ أ فَمَنْ يَهْدِي﴾ غيره

﴿ إلى الْحَقِّ﴾ إلى طريق الرشد والتوحيد﴿ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ في أمره ونهيه﴿ أَمَّنْ لا يَهِدِّي﴾ بفتح الياء وسكون الهاء وتخفيف الدال، وبفتحها والتشديد، بكسرهما والتشديد، وبفتح الياء وكسر الهاء والتشديد، والأصل: يهتدي، وبعد إدغام التاء في الدال ألقيت حركة المدغمة على الهاء على الأول أو حركة الهاء بالكسر لإلتقاء الساكنين على الثالث، واتبع الأول للثاني على الثاني﴿ إلاَّ أَنْ يُهْدى﴾ أي: يهدى به غيره، وهذا حال أشرف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير، وأما الأصنام فإنها لا تهدي غيرها ولا تهتدي فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ بأن هذه الأصنام آلهة تستحق العبادة﴿ وما يَتَّبِعُ أَكثرهُمْ﴾ وأرباب النظر منهم فيما يعتقدونه﴿ إلاَّ ظَنّاً﴾ كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق﴿ إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ من الإغناء، وهو صريح في عدم جواز التعبد به﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بما يَفْعَلُونَ﴾ من عبادة غير الله ونحوها فيجازيهم عليه ﴿ وما كانَ﴾ وما صحّ، وما استقام﴿ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ﴾ لأن﴿ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللَّهِ ولكِنْ تَصْدِيقَ الَّذي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: مطابقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية شاهداً بصحتها، أو تصديق ما يستقبل من البعث والنشور والحساب والجزاء﴿ وتَفْصِيلَ الْكِتابِ﴾ من الشرائع والعقائد﴿ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ خبر ثالث ﴿ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ خبر رابع، أو لا ريب فيه أنه نازل من رب العالمين﴿ أَمْ﴾ منقطعة، أي: بل﴿ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ ﴾ أن افتريته كما زعمتم﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ في البلاغة وحسن النظم على وجه الافتراء فإنكم مثلي في العربية والفصاحة، فإذا عجزتم عن ذلك تبين لكم انه ليس من كلام البشر ﴿ وادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ ومع ذلك فاستعينوا بمن قدرتم على الإستعانة به﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: من سوى الله من سائر الخلق﴿ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ أنه افتراء وهو غاية في التحدي والتعجيز﴿ بَلْ كَذَّبُوا بما

﴿لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ بل سارعوا إلى التكذيب بما لم يدركوا علمه﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ قبل أن يعلموا كُنه أمره، ويقفوا على تأويله ومعانيه، أو ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الأخبار بالغيوب أي: عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق، القمي: نزلت في الرجعة كذبوا بها أي: انها لا تكون، وسئل الباقر (ع) عن الأمور العظام من الرجعة وغيرها؟ فقال: ان هذا الذي تسألوني عنه لم يأت أو انه قال الله: (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويله)﴿ كَذلِكَ﴾ أي: مثل تكذيب هؤلاء﴿ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وهم الأمم السابقة أنبياءهم﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ وعيد لهم بالهلاك كما كان عاقبة من قبلهم﴿ وَمِنْهُمْ﴾ من جملة المكذبين بالقرآن﴿ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ في نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند، أو يؤمن في المستقبل﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ في نفسه لفرط غوايته وقلّة تدبره، أو في المستقبل ويموت على كفره أو على شكه، وعن الباقر (ع) هم أعداء محمد وآل محمد من بعده﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ والمصلحين﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ وردّوا عليك قولك﴿ فَقُلْ لِي عَمَلِي﴾ فإن كنت كاذباً فوباله عليّ﴿ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لا تؤاخذون بعملي ولا أؤاخذ بعملكم﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن وعلّمت البشر الشرائع، والإستماع: طلب السمع، ولعلهم يطلبون للرد لا للفهم ﴿ أَ فَأَنْتَ﴾ يا محمد﴿ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ تقدرعلى إسماعهم﴿ وَلَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ﴾ إنضم إلى صممهم جهلهم وعدم تعقلهم.

[سورة يونس الآيات٤٣ – ٥٣]

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ

يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ لم يخبر بلفظ الجمع حملاً على اللفظ وهناك على المعنى، أي: ينظر إلى أفعالك وأقوالك لا نظر الحقيقة والعبرة بل نظر الفساد

﴿ أَ فَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ إستفهام يراد به النفي﴿ ولَوكانُوا لا يُبْصِرُونَ﴾ وإن انضم إلى عدم البصر عدم البصيرة، وقيل: في معنى الآيتين: ومنهم من يستمع إلى كلامك استماع الطعن والتعنت، وينظر إلى أدلتك نظر الطاعن المكذب بها، فلا تقدر أن تنفعهم بمثل هذا الإستماع والنظر﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً﴾ فلا يسلبهم عقولهم وحواسهم﴿ ولكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بإفسادها وتفويت منافعها عليهم، أو لا يظلم الناس شيئاً بنقص حسناتهم ولكن يظلمون أنفسهم بارتكاب القبائح أو بترك النظر والإستدلال﴿ ويَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا﴾ صفة لـ(يوم) أولمصدر محذوف، أي: نحشرهم حشراً كأن لم يلبثوا قبله﴿ إِلاَّ ساعَةً مِنَ النَّهارِ﴾ أوحالاً من ضمير (نحشرهم) أي: نحشرهم مشابهة أحوالهم أحوال من لم يلبث في الدنيا إلا ساعة﴿ يَتَعارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضاً في ذلك الوقت كما كانوا في الدنيا كذلك، أو يعرف بعضهم بعضاً ما كانوا عليه من الكفر والخطأ، قيل: ذلك عند خروجهم من قبورهم ثم ينقطع التعارف لشدة الأمر عليهم ويتبرأ بعضهم من بعض ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللَّهِ﴾ الجملة في موضع الحال من الضمير في (يتعارفون) على ارادة القول﴿ وما كانُوا مُهْتَدِينَ﴾ للحق﴿ وإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب في حياتك كما أراه يوم بدر، القمي: من الرجعة وقيام القائم ﴿ أَونَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن نريك وينزل ذلك بهم بعد موتك﴿ فَإِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ﴾ إلى حكمنا مصيرهم في الآخرة فلا يفوتونا، وهو جواب (نتوفينك) وجواب (نرينك) محذوف تقديره: فذاك ﴿ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلى ما يَفْعَلُونَ﴾ أي: عليم بأفعالهم حافظ لها فهو يجازيهم عليها، أو يشهد عليهم يوم القيامة﴿ ولِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ جماعة على طريقة واحدة﴿ رَسُولٌ﴾ بعثه الله إليهم﴿ فَإِذا جاءَ رَسُولُهُمْ﴾ بالبينات فكذبوه، أو كذبه قوم وصدقه آخرون﴿ قُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الرسول وقومه﴿ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، فانجي

الرسول والمؤمنون وعذب المكذبون، أو المعنى: فإذا جاء رسولهم يشهد عليهم يوم القيامة أو في الدنيا بما اذن اللّه، له من الدعاء عليهم فصل بينهم الأمر على الحتم ﴿ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ لا ينقصون من ثواب طاعاتهم ولا يزادون في عقاب سيئاتهم، وعن الباقر(ع): تفسيرها في الباطن: أن لكل قرن من هذه الأمة رسولاً من آل محمد يخرج من القرن الذي هو إليهم رسول وهم الأولياء وهم الرسل ورسل اللّه يقضون بالقسط وهم لا يظلمون﴿ ويَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ﴾ الذي تعدنا به من البعث أو العذاب، استعجال لما وعدوا به وإستبعاد له﴿ إِنْ كُنْتُمْ صادقِينَ﴾ في ذلك﴿ قُلْ﴾ يا محمد في جوابهم ﴿ لا أَمْلكُ لِنَفْسِي ضَرًّا ولا نَفْعاً﴾ فكيف لغيري﴿ إلاّ ما شاءَ اللّهُ﴾ أن يملكني ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ في عذابها على تكذيبها للرسل﴿ أَجَلٌ﴾ معلوم ﴿ إذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه﴿ ساعَةً ولا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ وقد مرّ تفسيره ﴿ قُلْ أَ رَأَيْتُمْ﴾ اخبروني ﴿ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُهُ﴾ الذي تستعجلونه﴿ بَياتاً﴾ منصوب على الظرف أي: ليلاً وهووقت البيات والإشتغال بالنوم﴿ أو نَهاراً﴾ حين اشتغالهم بطلب المعاش﴿ ما ذا﴾ كلام تام ان كانت (ذا) بمعنى: الذي، وان كانت اسماً واحداً بمعنى: أي: شيء، فهو مفعول لقوله:﴿ يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ وتقديره: اخبروني أي: شيء من العذاب يستعجله المجرمون إن أتاكم عذاب اللّه ليلاً أو نهاراً، وجواب الشرط محذوف تقديره: ندموا على الإستعجال، ووقع في وسط الكلام موقع الإعتراض والإستفهام معناه التهويل، أي: ليس في العذاب شيء يستعجل به، و وضع (المجرمون) موضع الضمير للدلالة على أنهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا لمجيء الوعيد لا أن يستعجلوه، وعن الباقر (ع): هذا عذاب ينزل في آخر الزمان على فسقة أهل القبلة وهم يجحدون نزول العذاب عليهم﴿ أَ ثُمَّ إِذا ما وَقَعَ﴾ استفهام معناه:

إنكار التأخير، أي: أ حين وقع بكم العذاب المقدّر المؤقت به﴿ آمَنتُمْ بِهِ﴾ أي: بأسه في وقت البأس، أو بالقرآن، أو بالعذاب الذي كنتم تنكرونه فيقال لكم: ﴿ الآنَ﴾ تؤمنون به وقد اضطررتم بحلوله ﴿ وقَدْ كُنتُمْ بِهِ﴾ بالعذاب ﴿ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ من قبل تكذيباً واستهزاءً ﴿ ثُمَّ قِيلَ﴾ عطف على (يقال) المقدر أي: ثم يقال يوم القيامة ﴿ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم﴿ ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ﴾ أي: الدوام في الآخرة بعد عذاب الدنيا جزاء أعمالكم، وشبهوا بالذائق الذي يطلب الطعم بالفم لأنه أشد إحساساً، أولأنهم يتجرعون العذاب بدخوله أجوافهم﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إلاَّ بِما كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ من الكفر والمعاصي﴿ ويَسْتَنبِئُونَكَ﴾ يطلبون منك أن تخبرهم﴿ أَ حَقٌّ هُوَ﴾ أحق ما جئت به من القرآن والشرائع، أو ما تعدنا من البعث والعذاب، وعن الصادق (ع): ما تقول في علي﴿ قُلْ أي﴾ نعم ﴿ وربِّي﴾ وحقّه﴿ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ ان العذاب، أو ما أدعيت لكائن ﴿ وما أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ فائتين العذاب، وهذا الإستخبار على وجه الإستهزاء والإنكار.

[سورة يونس الآيات ٥٤ - ٦١]

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ

فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

﴿ ولَوأَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ بالشرك بالله، أوبالتعدي على الغير﴿ ما فِي الارْضِ﴾ من خزائنها وأموالها﴿ لافْتَدَتْ بِهِ﴾ لجعلته فدية لها من هول العذاب﴿وأَسَرُّوا النَّدامَةَ﴾ أخفوها، أو أخلصوها وهي الحسرة على ما كان يتمنى أنه لم يكن﴿ لَمَّا رَأوا الْعَذابَ﴾ لأنهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فضاعة الأمر وهوله، القمي: ظلمت يعني آل محمد حقهم لافتدت به يعني في الرجعة، وسئل الصادق(ع): ما ينفعهم إسرارهم الندامة وهم في العذاب؟ قال: كرهوا شماتة الأعداء﴿وقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ فصل بين الظالمين والمظلومين﴿ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل﴿ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ فيما يفعل بهم لأنهم جنوه على أنفسهم﴿ ألا إِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ والأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً، يفعل ما يشاء﴿ ألا إِنَّ وَعْدَ

﴿اللّه﴾ بإحلال العذاب بالمجرمين ﴿حَقٌّ﴾ لا خُلف فيه ﴿ولكنّ أكثرهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ صحة ذلك جهلاً منهم ﴿هُو يُحيِي ويُميتُ﴾ دون غيره ﴿وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم على أعمالكم ﴿يا أيهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: القرآن ﴿وشفاءٌ لما في الصُّدُورِ﴾ من داء الجهل ﴿وهُدىً﴾ يؤدي إلى معرفة الحق ﴿ورَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنينَ﴾ لمن تمسك به وعمل بما فيه، وخص المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون به، وعن الصادق (ع): أنه شفاء من أمراض الخواطر ومشتهيات[1] الأمور ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿بِفَضْلِ اللّه وبِرَحْمَتِهِ﴾ (الباء) متعلقة بفعل يفسره قوله: ﴿فَبِذلكَ فَلْيَفْرَحُوا هُو خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وفائدة التكرير: التأكيد، والبيان بعد الإجمال، وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح ﴿قُلْ أَ رَأَيْتُمْ﴾ أخبروني، والخطاب لكفّار مكة ﴿ما﴾ منصوبة بما قبلها ان كانت بمعنى: الذي، وان كانت استفهامية فبقوله: ﴿أنزل اللّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ حلال، فإن رزق العباد من المطر الذي ينزل ﴿فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ﴾ بعضه ﴿حَراماً﴾ من السائبة والبحيرة والوصيلة ونحوها وما حرّموه من زروعهم ﴿وحَلالاً﴾ وبعضه حلالاً ﴿قُلْ آللّهُ﴾ بهمزة مقطوعة لا ألف بعدها ﴿أَذِنَ لَكُمْ﴾ في التحليل والتحريم ﴿أَمْ عَلَى اللّه تَفْتَرُونَ﴾ في نسبة ذلك إليه، أي: انّه لم يأذن لكم بل كذبتم عليه، فالإستفهام انكاري ﴿وما ظَنُّ الَّذينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ﴾ أيّ شيء ظنهم ﴿يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ أ يحسبون انهم لا يجاوزون عليه، وهوتهديد عظيم حيث أبهم الأمر، أي: لا ينبغي أن يظنوا أن يصيبهم الا العذاب الشديد ﴿إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بما فعل بهم من ضروب الإنعام ﴿ولكنَّ أكثرهُمْ لا يَشْكُرُونَ﴾ نعمه ﴿وما تَكُونُ﴾ أنت يا محمد (ص) ﴿فِي شَأْنٍ﴾ في أمر من الأمور، أو حال من الأحوال من تبليغ الرّسالة وتعليم الشريعة ونحوهما ﴿وما تَتْلُوا مِنْهُ﴾ من اللّه

---

(١) كذا وردت والظاهر أنها (مشتبهات).

﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾ مفعول (تتلوا) و(من) للتبعيض، أو مزيدة للتوكيد، أومن الشان، لأن تلاوة القرآن من معظم شأن الرسول﴿ وَلاَتَعْمَلُونَ﴾ أنت وأصحابك ﴿مِنْ عَمَلٍ إلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً﴾ رقباء مطلعين عليه﴿ إِذْ تُفِيضُونَ﴾ تخوضون﴿ فيه﴾ عن الصادق (ع): كان رسول الله (ص) إذا قرأ هذه الآية بكى بكاءً شديداً﴿ وما يَعْزُبُ﴾ بكسر الزاي: وبضمها، أي: وما يبعد، وما يغيب عن علمه﴿ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ﴾ من زنة نملة صغيرة، أو هباء[1] ﴿ فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّماءِ﴾ أي: في الوجود والإمكان فان العامة لا تعرف ممكناً غيرهما وتقديم الأرض لأن الكلام في حال أهلها والمقصود منه البرهان على إحاطة علمه﴿ ولا أَصْغَرَ ﴾ من ذلك ﴿ ولا أَكْبَرَ﴾ بالرفع فيهما على الابتداء والخبر ﴿ إلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾ وبالنصب على أعمال لا النافية والكلام إستدناف مقرر لما قبله والكتاب المبين اللوح المحفوظ الذي بيّن الله فيه ذلك قبل أن يخلقه أوكتاب الحفظة الذي كتبته الملائكة الحفظة أوحفظته.

[سورة يونس الآيات ٦٢-٧٠]

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ

(١) الهباء: الأجزاء الصغيرة جداً التي تتطاير في الهواء لخفة وزنها.

ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَـٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

﴿ ألا إنَّ أولياءَ اللّه﴾ الذين تولوا القيام بامره وتولاهم اللّه بحفظه وحياطته ﴿ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العقاب﴿ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بفوات مأمول﴿ الَّذينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ ﴾ بيان لأولياء اللّه أو إستئناف عن علي (ع): هم نحن وأشياعنا ممن تبعنا من بعدنا ﴿ لَهُم لُبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنيا﴾ أي: بشارات اللّه على أعمالهم الصالحة كقوله: (وبشّر الذين آمنوا أنّ لهم قدم صدق عند ربّهم)[1] وقوله

---

(١) سورة يونس الآية ٢.

(يبشرهم ربهم برحمة منه)[1] أو بشارة الملائكة للمؤمنين عند موتهم بأن لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة، أو هي ما تبشرهم الملائكة عند خروجهم من القبور وفي القيامة إلى أن يدخلوا الجنة يبشرونهم حالاً بعد حال، أو ما يفعل بالمؤمن في قبره يفتح له باب إلى الجنة، وعن النبي (ص): البشرى في الحياة الدنيا هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن فيبشر بها في دنياه﴿ فِي الاخِرَةِ ﴾ فإنها بشارة المؤمن عند الموت يبشر بها عند موته ان الله قد غفر لك ولمن يحملك إلى قبرك، والقمي: في الآخرة عند الموت، وعن الباقر(ع): يبشرهم بقيام القائم وبظهوره وبقتل أعدائهم وبالنجاة في الآخرة والورود على محمد وآله الصادقين على الحوض﴿ لاتَبْديلَ لِكَلِماتِ اللّه﴾ لا تغيير لأقواله، ولا إخلاف لمواعيده ﴿ ذلكَ﴾ إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين﴿ هو الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الذي يصغر دونه كل شيء ﴿ ولا يَحْزُنْكَ﴾ بفتح الياء وبضمها من: حزن وأحزن﴿ قَوْلُهُمْ﴾ تكذيبهم، وتدبيرهم في إبطال أمرك، وقولهم: إنك ساحر، أو مجنون﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ إستئناف، أي: أن الغلبة والقهر جميعاً لله لا يملك أحد شيئاً منهما غيره فهو يغلبهم وينصرك عليهم ﴿ هُو السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم﴿ الْعَلِيمُ﴾ بنيّاتهم فيكافيهم بذلك﴿ ألا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّماواتِ ومَنْ فِي الارْضِ﴾ من الملائكة والجن والإنس، وإذا كان له ملك العقلاء ولا يصلح أحد منهم للإلهية فمن عداهم ممن لا عقل له أحق بأن يكونوا مملوكين﴿ وما يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكاءَ﴾ هومفعول (يدعون) ومفعول يتبع محذوف لدلالة الأول عليه، يعني: أن الذين يدعون من دون الله شركاء لا يتبعون شركاء على الحقيقة وان سمّوها (شركاء) ويجوز ان تكون (ما) استفهامية منصوبة بـ(يتّبع) لانا فيه، تقديره: وأيّ شيء يتبع الذين تدعون

---

(١) سورة يونس الآية ٢١.

من دون اللّه شركاء تقبيحاً لفعلهم، أو المعنى وأي شيء يتبع الذين يدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين، أي: أنهم لا يتبعون إلا اللّه ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيهم﴿ إِنْ﴾ لا﴿ يَتَّبِعُونَ﴾ في اتخاذهم دون اللّه شركاء﴿ لاَّ الظَّنَّ﴾ لتقليدهم أسلافهم في ذلك، أو لشبهة دخلت عليهم في أنهم يتقربون إلى اللّه تعالى بذلك ﴿ وإِنْ هُمْ إلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ يقدرون تقديراً باطلاً﴿ هُو الَّذي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ ليزول تعبكم﴿ والنَّهارَ مُبْصِراً﴾ مضيئاً تبصرون فيه وتهتدون إلى حوائجكم، وإنما قال: (مبصراً) ولم يقل: (لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرور والظرف الذي سبب، فهو مجاز في وصف الشيء بسببه على وجه المبالغة كـ(ليل نائم)﴿ إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر وتفهم﴿ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾ قال مشركو العرب: الملائكة بنات اللّه، وقالت النصارى: المسيح بن اللّه، ولم يسبق ذكرهم ولكن كانوا بحضرته (ص) وكان يعرفهم، ويصح الكناية عن المعلوم ﴿ سُبْحانَهُ﴾ تنزيه عمّا قالوا﴿ هُو الْغَنِيُّ﴾ عن اتخاذ الولد﴿ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وما فِي الأَرْضِ﴾ وإذا كان ما فيهما مُلكاً وملكاً وخلقاً له فهو غني عن اتخاذ الولد ﴿ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطانٍ﴾ أي: حجة بهذا القول﴿ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ ﴾ توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم ويدل على أن كل قول ليس عليه برهان جهل ليس بعلم﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ باتخاذ الولد وإضافة الشريك اليه﴿ لا يُفْلِحُونَ﴾ لا ينجون من النار، ولا يفوزون بالجنة ﴿ مَتاعٌ﴾ خبر محذوف، أو مبتدأ أي: افتراؤهم متاع أو لهم متاع يسير﴿ فِي الدُّنْيا﴾ أياماً قلائل ثم تنقضي ﴿ ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ ﴾ بالموت فيلقون الشقاء المؤبد﴿ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذابَ الشَّدِيدَ﴾ بالنار﴿ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفرهم.

[سورة يونس الآيات ٧١ - ٧٨]

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾

قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾

﴿ واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ أي: خبره مع قومه﴿ إِذْ قالَ﴾ لقومه:﴿ يا قَوْمِ إِنْ كانَ كَبُرَ﴾ عَظُمَ وشقّ ﴿ عَلَيْكُمْ مَقامِي﴾ مكاني وإقامتي بينكم مدّة مديدة، أو إقامتي على الدعوة﴿ وتَذْكِيرِي﴾ إياكم ﴿ بِآياتِ اللَّهِ﴾ بحججه الدالة على توحيده وبطلان ما تدينون به، وهنا حذف أي: وعزمتم على قتلي وطردي﴿ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ جعل جواب الشرط مع انه متوكل عليه في جميع أحواله ليبين لهم أنه متوكل عليه في هذا الأمر لما في اعلامه ذلك من زجرهم عنه، لأن اللّه يكفيه أمرهم، يعني: فإلى اللّه فوضت أمري وبه وثقت﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وشُرَكاءَكُمْ﴾ أي: فاعزموا على ما تريدون مع شركائكم، واتفقوا على أمر واحد من طردي وقتلي، وهذا تهديد في صورة الأمر، أو المعنى: فاعزموا على أمركم وادعوا شركاءكم، والشركاء: هي الأوثان التي يعبدونها، أو من شاركهم في عبادتها، أراد (ع): أنه لا يبالي بهم﴿ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ﴾ في قصدي﴿ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: غمّاً وحزناً بأن تردّدوا فيه، أو مستوراً مبهماً بل اجعلوه ظاهراً مكشوفاً، القمي: لا تغتموا﴿ ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ أدّوا إليّ ذلك الأمر الذي تريدون بي وانهضوا إليّ وتوجهوا إليّ واقتلوني، والقمي: ثم ادعوا عليّ ﴿ ولا تُنْظِرُونِ﴾ ولا تمهلوني ان وجدتم إلى ذلك سبيلاً، وهذه معجزة لنوح لأنه كان وحيداً في فئة قليلة، وقد أخبر أنهم لا يقدرون أن ينزلوا به سوء لأن اللّه حافظه ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن تذكيري ولم تفعلوه﴿ فَما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ على ما أؤديه إليكم، أو المعنى: إنْ أعرضتم عن قبول قولي لم يضرني لأني لم أطمع في مالكم فيفوتني ذلك بتوليكم عنّي وإنما يعود الضرر عليكم﴿ إِنْ أَجْرِيَ﴾ ما ثوابي

على الدعوة والتذكير﴿ إلاّ عَلَى اللّهِ﴾ لا تعلق له بكم، آمنتم أو توليتم﴿ وأُمِرْتُ أنْ أكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ المنقادين لحكمه، لا أخالف أمره ولا أرجو غيره﴿ فَكَذَّبُوهُ﴾ وأصروا على تكذيبه بعد ما ألزمهم الحجة﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ في السفينة من الغرق﴿ وجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ﴾ رؤساء في الأرض، أو خلفاء لمن هلك بالغرق، وكانوا ثمانين على ما قتل[1]﴿ وأغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتنا﴾ وهم باقي أهل الأرض أجمع ﴿ فَانْظُرْ﴾ أيها السامع ﴿ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ بعذاب الله كيف أهلكهم الله، وهو تعظيم لما جرى عليهم، وتحذير عن مثل فعالهم، وتسلية له (ص)﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد نوح وإهلاك قومه﴿ رُسُلاً إلى قَوْمِهِمْ﴾ يعني: هوداً وصالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً كُلاً إلى قومه﴿ فَجاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالبراهين الدالة على صدقهم﴿ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ فما استقام لهم أن يؤمنوا لشدة كفرهم﴿ بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ بما كذبت به أوائلهم الذين هم قوم نوح أي: كانوا مثلهم في الكفر والعتو، أي: بسبب تعوّدهم تكذيب الحق ويحتمل أن يراد في عالم الذّر﴿ كَذلِكَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ أي: نجعل على قلوبهم سمة وعلامة على كفرهم، وقد مرّ معنى الطبع والختم﴿ ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد هؤلاء الرسل وأممهم﴿ مُوسى وهارُونَ إلى فِرْعَوْنَ ومَلائِهِ﴾ ورؤساء قومه بآياتنا التسع﴿ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بها﴿ وكانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ﴾ عاصين ربهم، متهاونين برسالة ربهم، مستحقين العذاب الدائم ﴿ فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا﴾ وعرفوه بتظاهر المعجزات﴿ قالُوا﴾ من فرط تمردهم ﴿ إنَّ هذا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ظاهر﴿ قالَ مُوسى﴾ لهم ﴿ أَ تَقُولُونَ لِلْحَقِّ﴾ للمُعْجِز﴿ لَمَّا جاءَكُمْ﴾ انّه لسحر، والسحر باطل، والمعجز حق، وحذف مقول القول

---

(١) كذا في الخطية والظاهر أنها (قيل).

لدلالة ما قبله وما بعده عليه﴿ أ سِحْرٌ هذا ولا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ لا يظفرون بحجة على ما يدعونه وانّما يموّهون على الضعفة، وهذا من تمام قول موسى﴿ قالُوا﴾ أي: فرعون وقومه: ﴿ أ جِئْتَنا لِتَلْفِتَنا﴾ لتصرفنا﴿ عَمَّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا﴾ من عبادة الأصنام﴿ وتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِياءُ فِي الارْضِ﴾ أي: الملك والرئاسة في أرض مصر، أو مطلق الأرض﴿ وما نَحْنُ لَكُما بِمُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين فيما تدّعيانه من النبوّة.

[سورة يونس الآيات ٧٩ - ٨٨]

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ

وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

﴿وقالَ فِرْعَوْنُ ائْتُوني بِكُلِّ ساحِرٍ﴾ سحّار بالتشديد﴿عَليمٍ﴾ بالسحر حاذق فيه، وإنما طلب كل ساحر ليتعاونوا على دفع ما أتى به موسى﴿ فَلَمَّا جاءَ السَّحَرَةُ قالَ لَهُمْ مُوسى أَلْقُوا﴾ وفيه حذف يدل عليه الظاهر تقديره: فلمّا أتوه بالسّحرة وبالحبال وبالعصي قال لهم موسى: ألقوا﴿ ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ أي: إطرحوا ما جئتم به، أوافعلوا ما أنتم فاعلون على وجه التحدي والإلزام﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قالَ مُوسى ما جِئْتُمْ بِهِ﴾ من الحبال والعصيّ﴿ السِّحْرُ﴾ لا ما سميتموه سحراً﴿ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ سيظهر بطلانه، ويدل على أن السحر تمويه لا حقيقة له﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ لا يثبته ولا يقوّيه ﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ أي: يظهره ويثبته﴿ بِكَلِماته﴾ بوعد موسى، وكان وعده النّصر فأنجز وعده، أو بكلامه الذي يتبين به معاني الآيات التي آتاها نبيّه، أو بما سبق من حكمه في اللوح المحفوظ فإن ذلك يكون﴿ ولَوكَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ظهور الحق وإبطال الباطل﴿ فَما آمَنَ لِمُوسى﴾ وصدق بنبوّته في مبدأ أمره﴿ إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي: أولاد من قوم موسى، يعني به: بني إسرائيل، أو من قوم فرعون قيل كانت أمهاتهم من بني إسرائيل وآباؤهم من القبط فاتبعوا أمهاتهم، وقيل: طائفة من شبابهم

منهم مؤمن آل فرعون وآسية امرأة فرعون وجاريته ما شطته﴿ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ ومَلائِهِمْ﴾ أي: مع خوف منهم، والضمير لـ(فرعون) جمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء، أو المراد: آل فرعون كما يقال: ربيعة ومضر﴿ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ أن يعذبهم فرعون، وهو بدل منه، أو مفعول (خوف) وإفراده بالضمير للدلالة على أن الخوف من الملأ كان بسببه﴿ وإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعالٍ فِي الأَرْضِ﴾ لغالب متكبر وطاغٍ باغٍ فيها﴿ وإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ في العصيان، حيث ادّعى الربوبية، وأسرف في القتل والظلم﴿ وقالَ مُوسى﴾ لقومه الذين آمنوا لمّا رأى تخوفهم منه: ﴿ يا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ﴾ كما تظهرون﴿ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا ﴾ وبه ثقوا﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ على الحقيقة ﴿ فَقالُوا عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنا﴾ وقد أجيبت دعوتهم لما كانوا مخلصين﴿ رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ﴾ ولا تمكّنهم من ظلمنا بما يحملنا على إظهار الإنصراف من ديننا، أولا تظهرهم علينا فيفتتن الكفّار بنا ويقولون: لوكانوا على الحق لما ظهرنا عليهم ـ كما روي مضمونه ـ ﴿ ونَجِّنا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكافِرِينَ﴾ خلّصنا من كيدهم وأخذهم ايانا بالأعمال الشاقة﴿ وأَوْحَيْنا إِلى مُوسى وأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا﴾ أي: أمرناهما أن اتخذا ﴿ لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتاً واجْعَلُوا﴾ أنتما وقومكما﴿ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ مصلى، أي: صلّوا في بيوتكم لتأمنوا من خوف فرعون، أو اجعلوا مساجدكم نحوالقبلة أي: الكعبة، وكانت قبلتهم إليها القمي: نحوبيت المقدس، وقيل: المعنى اجعلوا بيوتكم تقابل بعضها بعضا﴿ وأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ ادّوها وواظبوا على فعلها، وعن الكاظم (ع): لما خافت بنوإسرائيل جبابرتها أوحى اللّه إلى موسى وهارون: (ان تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة) قال: أمروا ان يصلّوا في بيوتهم﴿ وبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر في الدنيا والجنّة في العقبى، وانّما ثنى الضمير أولاً لأنّ التّبوء للقوم إتخاذ المساجد مما يتعاطاه رؤساء القوم بتشاور، ثم جمع لأن جعل البيوت مساجد

وإقامة الصّلاة ينبغي أن يفعله كل أحد، ثم وحّد لأن البشارة في الأصل وظيفة صاحب الشريعة، والخطاب لموسى، وقيل: لنبينا (ص)﴿ وقالَ مُوسى ربَّنا إنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ ومَلأَهُ زِينَةً﴾ يتزينون بها من الحلّي واللباس والفرش والمراكب، أوالجمال وصحّة البدن وحسن الصورة﴿ وأمْوالاً﴾ يتعظمون بها﴿ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ربَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ (اللام) للعاقبة متعلقة بـ(آتيت) أي: وعاقبة أمرهم أنهم يضلون عن سبيلك﴿ ربَّنَا اطْمِسْ عَلى أمْوالِهِمْ﴾ أي: أهلكها وأمحقها وذكر جمع من المفسرين إنها صارت حجارة القمي: أي: يفتنون الناس بالأموال ليعبدوه ولا يعبدوك و(اللام) للعاقبة﴿ واشْدُدْ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾ واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للإيمان فهو عبارة عن الخذلان، أو المعنى: ثبّتهم على المقام ببلدهم بعد إهلاك أموالهم﴿ فَلا يُؤْمِنُوا﴾ منصوب في جواب الأمر﴿ حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الالِيمَ﴾ وحيث أنه لم يبق له طمع في إيمانهم إشتد غضبه عليهم فدعا عليهم بما علم إنه لا يكون غيره ليشهد عليهم أنهم لا يستحقون إلا الخذلان وقيل: المعنى أنّهم لا يؤمنون إيمان إلجاء حتى يروا العذاب الأليم وهم مع ذلك لا يؤمنون إيمان إختيار أصلاً.

[سورة يونس الآيات٨٩ - ٩٧]

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾

ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

﴿ قالَ اللّه﴾ لموسى وهارون﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما﴾ قيل: كان موسى داعياً وهارون يؤمن فسمّاهما (داعيين): وعن النبي (ص) دعا موسى وآمّن هارون وآمنت الملائكة، قال اللّه: قد أجيبت دعوتكما ومن غزا في سبيل اللّه استجيب له كما استجيب لهما﴿ فَاسْتَقِيما﴾ وأثبتا على ما أنتما عليه من دعاء الناس إلى الإيمان والوعظ والإنذار ولا تستعجلا، عن الصادق(ع): كان بين قول اللّه قد أجيبت

دعوتكما وبين أخذ فرعون أربعون سنة، وعن الباقر (ع): أملى الله لفرعون ما بين الكلمتين أربعون سنة، ثم اخذه الله نكال الآخرة والأولى، الخبر﴿ ولا تتّبعانّ سَبيلَ الَّذينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ طريق الجهلة في الإستعجال وعدم الوثوق بوعد الله﴿ وجاوزْنا بِبَني إسْرائيلَ﴾ وعبرنا بهم﴿ الْبَحْرَ﴾ حتى جاوزوه سالمين بأن يبّسناه لهم وفرّقنا الماء إثني عشر فرقاً﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وجُنُودُهُ بَغْياً وعَدْواً﴾ حال، أي: باغين وعادين، روي: لمّا صار موسى في البحر أتبعه فرعون وجنوده، فتهيب فرعون أن يدخل البحر، فتمثل له جبرئيل على رَمَكَة[1]، فلمّا رأى فرس فرعون الرَمَكَة أتبعها، فدخل البحر هو وأصحابه فغرقوا﴿ حَتَّى إذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ وأيقن بالهلاك﴿ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إلهَ إلاَّ الَّذي آمَنَتْ به بَنُوا إسْرائيلَ وأَنَا مِنَ الْمُسْلمينَ﴾ كرّر المعنى الواحد ثلاث مرات بثلاث عبارات حرصاً علىالقبول، ثم لم يقبل منه، حيث أخطأ وقته وقاله في وقت الإلجاء، وكانت المرّة الواحدة كافية وقت الاختيار وبقاء التكليف﴿ الأنَ﴾ بتسكين اللاّم وهمزة بعدها، وبحذفها وإلقاء حركتها على اللاّم وعامله محذوف وفيه إضمار، أي: قيل له: الآن آمنت حين لا ينفعك الإيمان ولا يقبل لأنه حال الإلجاء﴿ وقَدْ عَصَيْتَ﴾ بترك الإيمان﴿ قَبْلُ﴾ قبل ذلك مدة عمرك﴿ وكُنْتَ مِنَ الْمُفْسدينَ﴾ بقتل المؤمنين وإدّعاء الربوبية﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ بالتشديد وبالتخفيف لغتان، أي: نلقيك على نجوة من الأرض وهو: المكان المرتفع﴿ بِبَدَنِكَ﴾ موضع الحال، أي: جسداً من غير روح ليراك بنو إسرائيل ولا ينكرون أنك غرقت، أو المعنى نخلّصك من البحر وأنت ميت، والبدن: الدّرع وكان عليه درع من الذهب يُعْرَف بها﴿ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آية وإنَّ كَثيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آياتِنا لَغافِلُونَ﴾ لا يعتبرون بها، سئل الرضا (ع): لأي علّة أغرق

(١) الرّمكة : هي أنثى الفرس التي تتخذ للنسل.

فرعون وقد آمن به وأقرّ بتوحيده؟ قال: لأنه آمن عند رؤية البأس وذلك غير مقبول وذلك حكم الله ذكره في السلف والخلف، قال تعالى: (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا)[1] وقال تعالى: (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أوكسبت في إيمانها خيراً)[2] وهكذا فرعون، الخبر﴿ ولَقَدْ بَوَّأْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ أنزلناهم منزلاً محموداً هو مصر، أو الشام، وإنما قال: (مبوأ صدق) لأن فضل ذلك المنزل على غيره من المنازل كفضل الصدق على الكذب، أو المعنى: أنزلناهم في موضع خصب وآمن، القمي: ردّهم إلى مصر وأغرق فرعون﴿ ورَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ﴾ اللذائذ﴿ فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ في أمر دينهم وتشعبوا شعباً ﴿ حَتَّى جاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بدين الحق وتلوا التوراة وعلموا أحكامها، فمنهم من صدّق ومنهم من كذّب، أو في أمر محمد (ص) فعلموا صدقه بنعوته وتظافر معجزاته﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فيما كانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ﴾ فيميّز المحق من المبطل بالإنجاء والإهلاك﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أنزلنا إِلَيْكَ﴾ من القصص فرضاً﴿ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فإنه ثابت في كتبهم مطابق لما قصصنا عليك، روي: أنه (ص): قال: لا أشك ولا أسأل، وقيل: الخطاب له والمعنيّ غيره أي: إن كنت أيها السامع في شك ممّا أنزلنا إليك على لسان رسولنا من الهدى فاسألهم يخبروك بصدقه﴿ لَقَدْ جاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ يعني به القرآن والإسلام﴿ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكّين، إذ لا مجال للشك فيه، والخطاب من قبيل (إياك أعني) كما روي﴿ ولا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾

---

(١) سورة غافر الآية ٨٥

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥٨.

وهو أيضاً من باب إياك أعني ـ كما عن الصادق ـ (ع): ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ﴾ ثبتت ووجبت﴿ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ لعنه، أو وعيده ﴿ لا يُؤْمِنُونَ﴾ باختيارهم مع ـ قدرتهم على الإيمان ـ ﴿ ولَوجاءَتْهُمْ كُلُّ آيةٍ﴾ من الآيات المقترحة لرسوخهم في الكفر﴿ حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الأَلِيمَ﴾ ولا ينفعهم حينئذ لأنه وقت الإلجاء، و(يروا) بصريّة ولذا تعدّت إلى مفعول واحد، والعذاب ـ وإن لم يُر ـ لكن أسبابه ترى فهو بمنزلة ما يرى، القمي: الذين جحدوا أمير المؤمنين (ع): عرضت عليهم الولاية وفرض الله عليهم الإيمان بها فلا يؤمنوا بها.

[سورة يونس الآيات٩٨ – ١٠٩]

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

﴿فَلَولا كانَتْ قَرْيَةٌ﴾ (كان) تامة﴿آمَنَتْ﴾ قبل حلول العذاب بها، صفة (قرية) أي: فهلاً قرية من القرى التي أهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر إليها، كما أخر فرعون إلى أن أدركه الغرق﴿فَنَفَعَها﴾ إيمانها بأن يقبله الله منها ويكشف

العذاب عنها﴿ إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ﴾ إستثناء متصل واقع على المعنى، كأنه قيل: ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس، أو منقطع أي: لكن قوم يونس﴿ لَمَّا آمَنُوا﴾ حين رأوا أمارة العذاب لم يؤخروا إلى حلوله﴿ كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ومَتَّعْناهُمْ إلى حِينٍ﴾ إلى آجالهم، في الجوامع: كان (ع): قد بعث إلى نينوى من أرض الموصل، فكذبوه فذهب عنهم مغاضباً، فلمّا فقدوه خافوا نزول العذاب، فلبسوا المسوح[١] وعجّوا وبكوا، فصرف الله عنهم العذاب وكان قد نزل وقرب منهم﴿ ولَوشاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾ مجتمعين على الإيمان أي: يقدر على جبرهم على الإيمان لكن لما لم ينفع إيمان الملجأ لمّا فاته التكليف لم يجبرهم﴿ أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: تريد إكراههم على الإيمان مع عدم قدرتك عليه، تسلية له (ص) عن تحسّره وحرصه على إيمانهم، وفيه دلالة على بطلان قول المجبرة وانّ مشيّته تعالى فعله﴿ وما كانَ لِنَفْسٍ أنْ تُؤْمِنَ إلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بلطفه وتوفيقه، أو إطلاق الله له في الإيمان وتمكينه منه ودعائه اليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك، وقيل: إذنه ـ هنا ـ أمره، وقيل: علمه، أي: لا تؤمن نفس إلا بعلم الله تعالى﴿ ويَجْعَلُ﴾ وقرأ ابو بكر بالنون﴿ الرِّجْسَ﴾ العذاب﴿ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾ لا يتفكرون في الآيات، أويحكم عليهم بالكفر ويذمّهم، عليه وقيل إن الرجس على ضربين بمعنى: العذاب وبمعنى: القذر والنجس أي: يحكم عليهم بأنهم رجس كما قال: (انما المشركون نجس)[٢] وعن الرضا (ع): إن المسلمين قالوا لرسول الله (ص): لو أكرهت من قدرت عليه من الناس على الإسلام لكثر عددنا وقوّتنا على عدونا،

---

(١) جمع(مسح): أي ثياب التقى والصلاح. كثياب الراهب وشبهها.

(٢) سورة التوبة الآية ٢٨.

فقال (ص): ما كنت لألقى الله ببدعة لم يحدث اليّ فيها شيئاً وما أنا من المتكلفين، فأنزل الله عليه: ولوشاء ربك لآمن مَن في الأرض... الآية، على سبيل الإلجاء والإضطرار في الدنيا كما يؤمن عند المعاينة وعند رؤية البأس في الآخرة، وأما قوله: وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله، وأُذنه: أمره لها بالإيمان﴿ قُلِ﴾ يا محمد (ص) لمن سألك الآيات﴿ انْظُرُوا﴾ تفكروا﴿ ما ذا ﴾ أي: ما الذي، أو أيُّ شيء ﴿ فِي السَّماواتِ والارْضِ﴾ من الدلائل على وحدانيته وقدرته من اختلاف الليل والنهار، ومجاري النجوم والأفلاك، وخلق الجبال والبحار، ونبت الأشجار والثمار، ونحوها﴿ وما﴾ نفي، أواستفهام﴿ تُغْنِي الآيات والنُّذُرُ﴾ الحجج والرسل﴿ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾ لا ينظرون في الأدلة، وعن الصادق (ع) الآيات: الأئمة، والنذر: الأنبياء ﴿ فَهَلْ﴾ فما﴿ يَنْتَظِرُونَ إلاّ مِثْلَ أيامِ الَّذينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: مثل وقائعهم ﴿ قُلْ فَانْتَظِرُوا﴾ ذلك﴿ إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ لذلك، وعن الرضا (ع): إن انتظار الفرج من الفرج ان الله يقول (فانتظروا إني معكم...) إلخ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي﴾ عطف على ما دل عليه الاستثناء كأنه قيل: فهلك الأمم ثم ننجي﴿ رُسُلَنا والَّذينَ آمَنُوا ﴾ من العذاب وقت نزوله، أومن مكر أعدائهم﴿ كَذلكَ﴾ الإنجاء﴿ حَقًّا عَلَيْنا ﴾ مصدر قدّر فعله ﴿ نُنَجِّي﴾ وخففه الكسائي وحفص﴿ الْمُؤْمنينَ﴾ محمداً (ص) ومن آمن به إذا أهلكنا المشركين، عن الصادق (ع): فما يمنعكم أن تشهدوا على من مات منكم على هذا الأمر أنه من أهل الجنة إن الله يقول: كذلك حقاً علينا ننجي المؤمنين من عذاب الآخرة كما ننجيهم من عذاب الدنيا﴿ قُلْ يا أيهَا النَّاسُ﴾ الخطاب لكفّار مكة، أوعام ﴿ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ أحق هو أم لا؟ وقيل لهم ذلك ـ مع إعتقادهم بطلانه ـ اما لكونهم في حكم الشاك للإضطراب الذي يجدونه في أنفسهم عند ورود الآيات،

أو لأن فيهم الشاك فغلب، أو لأن التقدير: من كان شاكاً في ديني ﴿ فَلا أَعْبُدُ الَّذينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُون اللَّه﴾ أي: فلا تطمعوا في تشكيكي حتى أعبد غير الله كعبادتكم ﴿ ولكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ يقبض أرواحكم وفيه تهديد لهم لأن وفاة المشركين ميعاد عذابهم ومن ثم خص المتوفى بالذكر دون غيره ﴿ وأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنينَ﴾ المصدّقين بتوحيده ﴿ وأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ للدِّين﴾ عطف على (أن أكون) أي: وأمرت بالإستقامة في الدين بالإقبال عليه، أو في الصلاة بالتوجه نحوالكعبة ﴿ حَنيفاً﴾ مائلاً إليه، أو مستقيماً في الدين ﴿ ولا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكينَ ولا تَدْعُ﴾ تعبد ﴿ مِنْ دُون اللَّه ما لا يَنْفَعُكَ﴾ إن دعوته ﴿ ولا يَضُرُّكَ﴾ إن تركته ﴿ فَإِنْ فَعَلْتَ﴾ خالفت ما أمرت به من ترك عبادة غير الله ﴿ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالمينَ﴾ وان الشرك لظلم عظيم، القمي: مخاطبته للنبي (ص) والمعنيّ الناس ﴿ وإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ يصبك ببلاء، أو شدة، أو مرض ﴿ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ﴾ لا يقدر على دفعه غيره ﴿ وإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْر﴾ من نعمة وخصب وصحة ﴿ فَلا رَادَّ﴾ مانع ﴿ لِفَضْله﴾ الذي أرادك به ﴿ يُصيبُ بِهِ﴾ بالخير ﴿ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِباده وهُوالْغَفُورُ﴾ لذنوبهم ﴿ الرَّحيمُ﴾ بهم فليتعرضوا لرحمته بالطاعة، ولا ييأسوا من غفرانه بالمعصية ﴿ قُلْ يا أيهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الْحَقُّ﴾ أي: القرآن والإسلام أو النبي ومعجزاته ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ولم يبق لكم عذر ﴿ فَمَنِ اهْتَدى﴾ بذلك بأن نظر فيه، وعرفه حقاً وصواباً ﴿ فَإِنَّما يَهْتَدي لِنَفْسه﴾ لعود منافع ذلك إليه دون غيره ﴿ ومَنْ ضَلَّ﴾ عدل عن التأمّل فيه، والإستدلال به ﴿ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها﴾ لرجوع وبال ذلك عليه ﴿ وما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكيلٍ﴾ بحفيظ لكم عن الهلاك كما يحفظ الوكيل مال غيره، إنما أنا بشير ونذير ﴿ واتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْكَ﴾ بالإمتثال والتبليغ ﴿ واصْبِرْ﴾ على الدعوة وأذاهم ﴿ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ بنصرك وقهرهم،

أو بينك وبينهم﴿ وهُو خَيْرُ الحاكِمينَ﴾ لأنه لا يحكم إلا بالحق والعدل، فصبر (ص) فحكم الله بقتل المشركين والجزية على أهل الكتاب.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة يونس وتفسيرها.

سورة هود

مائة وثلاث وعشرون آية، مكية.

وقيل: إلاّ آية (وأقم الصلاة).

[الآيات ١ – ٥]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

عن الباقر(ع): من قرأ سورة هود في كل جمعة بعثه الله في زمرة النبيين ولم تعرف له خطيئة عملها يوم القيامة وحوسب حساباً يسيراً ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الر ﴾ مرّ تفسيره مبتدأ ﴿ كِتابٌ﴾ خبره، أو خبر محذوف ﴿ أُحْكِمَتْ آياتُهُ﴾ أتقنت فلا خلل في لفظها، ولا في معناها، أ ولم ينسخ منها شيء﴿ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ ببيان الحلال والحرام وسائر الأحكام، أو أحكمت آياته بالأمر والنهي ثم فصّلت بالوعد والوعيد والثواب والعقاب، أو أحكمت آياته جملة ثم فرقت في الإنزال آية بعد آية ليكون أمكن للمكلف في النظر والتدبر، ومعنى (ثم) التراخي في الحال لا في الوقت، وعن الباقر (ع): هو القرآن﴿ مِنْ لَدُنْ﴾ من عند﴿ حَكِيمٍ﴾ في أفعاله﴿ خَبِيرٍ﴾ بمصالح خلقه، ويدل على أن كلامه تعالى محدث لأن الأحكام والتفصيل من صفات الأفعال، وكذا صدوره من لدن حكيم لا يصح في المحدث لأن القديم يستحيل صدوره عن الغير﴿ أن﴾ أي: لأن، أو بأن﴿ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ﴾ بالعقاب لمن كفر﴿ وَبَشِيرٌ﴾ بالثواب لمن آمن﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا﴾ عطف على (أن لا تعبدوا)﴿ رَبَّكُمْ﴾ من الشرك والمعصية﴿ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ في المستأنف متى وقعت منكمالمعصية، أو المعنى: اطلبوا المغفرة واجعلوها لفرضكم[1] ثم توصلوا إليها بالتوبة، أو (ثم) بمعنى: الواو لأن الإستغفار والتوبة واحد فتكون التوبة تأكيداً له ﴿ يُمَتِّعْكُمْ﴾ في الدنيا﴿ مَتاعاً حَسَناً﴾ بالنعم السابغة في الخفض والدّعة والأمن والسعة﴿ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ إلى الوقت الذي قدر لكم أجل الموت فيه﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ الفضل بمعنى: التفضل والإفضال أي: يعط كل ذي إفضال على غيره بمال أو كلام أو عمل جزاء إفضاله، أو المعنى: يعط كل ذي عمل صالح فضله،

---

(١) كذا وردت والظاهر أنها (غرضكم).

أي: ثوابه على قدر عمله، وعن الباقر (ع): هو علي بن ابي طالب (ع): ﴿ وإِنْ تَوَلَّوْا﴾ تتولوا أي: تعرضوا ﴿ فَإِنِّي﴾ وفتح الحرميان وابو عمروالياء، وكذا ياء (إني أعظك) (إني أعوذ بك) (إني أخاف شقاقي)﴿ أخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ يوم القيامة ﴿ إلى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ رجوعكم في ذلك اليوم﴿ وهُو عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه الإثابة والتعذيب﴿ ألا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ يطوونها على عداوة النبي (ص) أي: الكفّار لا المنافقين لأنها مكيّة والنفاق إنما حدث بالمدينة، أو يحنوا صدورهم كيلا يسمعوا كتاب اللّه، أو يثني بعضهم صدر بعض يتناجون في عداوة النبي (ص) ﴿ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ أي: ليخفوا ذلك من اللّه، أو من الرسول (ص)، وعن الباقر (ع): ان المشركين كانوا إذا مرّوا برسول اللّه (ص) حول البيت طأطأ أحدهم ظهره ورأسه هكذا وغطى رأسه بثوبه حتى لا يراه النبي (ص)، فأنزل اللّه الآية والقمي: يكتمون ما في صدورهم من بغض عليّ (ع): ﴿ ألا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ﴾ يتغطّون بها كراهة لاستماع كلام اللّه كقوله تعالى: (جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم) أو لأجل المفاوضة فيما كانوا يدبرونه على النبي (ص) والمؤمنين ويكتمونه﴿ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ﴾ في قلوبهم﴿ وما يُعْلِنُونَ﴾ بأفواههم، فهو يعلم سرّهم وعلنهم وقت ما يتغطون بثيابهم ويجعلونها غشاءً فوقهم﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ بالأسرار ذات الصدور، أو بالقلوب وأحوالها، قيل: نزلت في طائفة من المشركين قالوا: إذا أرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد (ص) كيف يعلم؟ والقمي: كان النبي (ص) إذا حدّث بشيء من فضل علي (ع)، أو تلا عليهم ما أنزل اللّه فيه نفضوا ثيابهم ثم قاموا يقول اللّه: يعلم ما يسرون وما يعلنون حين قاموا انه عليم بذات الصدور.

[سورة هود الآيات٦ - ١٢]

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

﴿ وما مِنْ دَآبَّةٍ فِي الارْضِ﴾ تدب عليها من الجن والإنس والطير والأنعام والوحوش والهوام[1]﴿ إلاّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُها﴾ معاشها تكفل به فضلاً منه﴿ ويَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها﴾ موضعها في حياتها، أو الذي استودعها فيه من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، أو مستقرها حيث تأوي اليه من الأرض﴿ ومُسْتَوْدَعَها﴾ حيث تموت وتبعث منه، أو مستقرها ما يستقر عليه عملها ومستودعها ما تصير إليه ﴿ كُلٌّ﴾ مما ذكر﴿ فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾ بيّن وهو اللوح المحفوظ﴿ وهُو الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والارْضَ﴾ جمع (السماوات) دونها لإختلاف العلويات بالأصل والذات دون السفليات﴿ فِي سِتَّةِ أيامٍ﴾ مع قدرته على خلقها في أقل من لمح البصر﴿ وكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ﴾ قبل خلقهما والماء قائم بقدرة اللّه لا على شيء، وقيل: على متن الريح، وقيل: أن المراد بعرشه بناؤه بدلالة قوله(وممّا يعرشون)أي: يبنون، القمي: وكان ذلك في مبدأ الخلق، وعن الباقر (ع): إن اللّه حمل دينه وعلمه الماء قبل ان يكون سماء، أو أرض، أو جن، أوإنس، أو شمس، أوقمر﴿ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلق بـ(خلق) أي: خلقهما وما فيهما من مصالح وفوائد لكم معاشاً ومعاداً، ليعاملكم معاملة المختبر، ولتضمنه معنى العلم علّق عن﴿ أيكُمْ أحْسَنُ عَمَلاً﴾ أصوبه وأخلصه، أي: عقب بجملة إستفهامية حلت محل ثاني مفعوليه ـ لا التعليق المشهور ـ لعدم حلولها محل المفعولين ﴿ ولَئِنْ قُلْتَ﴾ لهم﴿ إنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ﴾ أي: الحساب﴿ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إنْ هذا﴾ القول﴿ إلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ تمويه ظاهر لا حقيقة له وقرأ حمزة والكسائي (ساحر) والإشارة إلى النبي (ص)﴿ ولَئِنْ أخَّرْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ أوقات قليلة، أو إلى جماعة يتعاقبون فيصرون على الكفر، وعن الصادق (ع):

---

(١) جمع(هامة) وهي تعني ـ هنا ـ طائر صغير من طير الليل يألف المقابر.

هي أصحاب المهدي عدّة أهل بدر﴿ لَيَقُولُنَّ﴾ إستهزاءً واستعجالاً﴿ ما يَحْبِسُهُ﴾ ما يمنعه من الوقوع إن كان حقاً﴿ ألا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ العذاب ﴿ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ﴾ و(يوم) ظرف لخبر (ليس) وتقديمه عليها يسوّغ تقديم خبرها﴿ وحاقَ﴾ نزل ﴿ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ من العذاب، ووضع الماضي موضع المستقبل تحقيقاً ومبالغةً في التهديد، القمي: ان متعناهم في هذه الدنيا إلى خروج القائم فنردهم ونعذبهم ليقولن: ما يحبسه؟ أي: يقولوا ألا يقوم القائم؟ ألا يخرج؟ على حدّ الاستهزاء﴿ ولَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ أحللنا به نعمة من الصحة والكفاية وسعة المال والولد ونحوها من نعم الدنيا﴿ ثُمَّ نَزَعْناها﴾ سلبناها﴿ مِنْهُ﴾ إذا رأينا المصلحة في ذلك﴿ لَيَؤُسٌ﴾ شديد اليأس﴿ قَنُوطٌ﴾ من أن تعود إليه تلك النعمة المنزوعة، كفور، عظيم الكفران لنعمه﴿ ولَئِنْ أَذَقْناهُ نَعْماءَ بَعْدَ ضَرّاءَ﴾ بلاء وشدة﴿ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئاتُ﴾ الشدائد﴿ عَنِّي﴾ فلا تعود اليّ ولم يشكر اللّه تعالى، وفتح نافع وأبوعمرو ياءه وياء (نصحي إن أردت) وياء (إني أذر) وياء (ضيفي)﴿ إِنَّهُ لَفَرِحٌ﴾ بطر ﴿ فَخُورٌ﴾ على الناس بما أعطي القمي: قال: إذا أغنى اللّه العبد ثم افتقر أصابه الأياس والجزع والهلع، وإذا كشف اللّه عنه ذلك فرح، قيل: في لفظي (الإذاقة) و(المس) تنبيه على أن ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمحن كالأنموذج لما يجده في الآخرة، وانه يقع في الكفران والبطر بأدنى شيء، لأن الذوق: إدراك الطعم، والمس: مبدأ الوصول﴿ إلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا على الضرّاء﴾ رضى بقضاء اللّه إستثناء من الإنسان العام بـ(اللام) وان حمل على الكافر فمنقطع﴿ وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾ شكراً للنعماء ﴿ أولئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم﴿ وأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هوالجنة﴿ فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ ما يُوحى إِلَيْكَ﴾ كسب آلهتهم ونحوه مما يخالفهم مخافة شرّهم واستهزائهم به،

ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعواليه وقوعه لوجود ما يصرف عنه من عظمة الأنبياء ﴿ وضائقٌ به صدرُكَ ﴾ بتلاوته عليهم كراهة ﴿ أنْ يقُولُوا لولا ﴾ هلاّ ﴿ أنزل عَلَيْهِ كَنْزٌ ﴾ ينفقه ﴿ أو جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾ يشهد بصدقه ﴿ إنَّما أنتَ نَذيرٌ ﴾ وما عليك الا البلاغ ﴿ واللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ حفيظ فيجازيهم بقولهم وفعلهم.

[سورة هود الآيات١٣ - ١٩]

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى

ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾

﴿ أَمْ﴾ منقطعة أي: بل﴿ يَقُولُونَ افْتَراهُ﴾ أي: اختلق القرآن وأتى به من عند نفسه، والإستفهام للتقرير، أو متصلة وفيه حذف تقديره: أيكذبونك فيما أتيتهم به من القرآن؟﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ في الفصاحة وحسن النظم وتوحيد المثل باعتبار كل واحد﴿ مُفْتَرَياتٍ﴾ من عند أنفسكم إن صحّ اني اختلقته من عند نفسي، فإنكم مثلي عرب فصحاء، تحداهم بها ثم بسورة حين عجزوا﴿ وادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ ليعينوكم على المعارضة﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره إلى المعاونة على المعارضة ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ إنه مفترى﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ خطاب للرسول (ص) على التعظيم، أوللمؤمنين معه، أوللمشركين و(الواو) للمدعوّين﴿ فَاعْلَمُوا﴾ أيها المؤمنون، أو المشركون﴿ أَنَّما أُنزل﴾ متلبساً﴿ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ بمواقع تأليفه في علوطبقته، أو بانّه حق من عنده ﴿ وأنْ﴾ مخففة أي: واعلموا أنه﴿ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ﴾ لعجز غيره عن مثل هذا المعجز﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ثابتون على الإسلام، أو داخلون فيه بعد نهوض الحجة عليكم أسلموا﴿ مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وزِينَتَها﴾ بإحسانه وبرّه ولا يريد الآخرة، عن الصادق (ع) يعني فلاناً وفلاناً ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها﴾ نوصل إليهم جزاء أعمالهم في الدنيا تاماً من الصحّة والرئاسة وسعة الرزق وكثرة الأولاد﴿ وهُمْ

فيها لا يُبْخَسُونَ﴾ لا ينقصون شيئاً من أجورهم، والآية عامّة في الكفار والمنافقين والمرائين وغيرهم، وقيل: المراد المشركون الذين لا يقرّون بالبعث ويعملون أعمال البر من صلة الرحم وإكرام الضيف ونحوها، وقيل: المراد المنافقون يغزون مع النبي (ص) للغنيمة دون نصرة الدين﴿ أولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إلاَّ النَّارُ﴾ لأنهم استوفوا ما تقتضيه صورة أعمالهم الحسنة وبقيت عليهم أوزار السيئة﴿ وحَبِطَ ما صَنَعُوا﴾ فيها أي: في الآخرة لأنهم لم يريدوها، أو في الدنيا والظرف متعلق بـ(حبط) على الأول وبـ(صنعوا) على الثاني﴿ وباطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بطلت أعمالهم التي عملوها لغير الله، وهو ظاهر في أن الإحباط عبارة عن إبطال نفس العمل بأن يقع على غير الوجه الذي يستحق به الثواب ﴿ أ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ﴾ حجة﴿ مِنْ رَبِّهِ﴾ هي القرآن، أو دليل العقل وهو النبي (ص)، أو المؤمنون﴿ ويَتْلُوهُ﴾ يقرؤه، أو يتبعه ﴿ شاهِدٌ﴾ بصدقه﴿ مِنْهُ﴾ من الله وهو جبرائيل، أو القرآن﴿ ومِنْ قَبْلِهِ﴾ قبل القرآن المدلول عليه بما مرّ، أو قبل محمد (ص)﴿ كِتابُ مُوسى﴾ يتلوه أيضاً في التصديق، لأن النبي (ص) بشرّ به موسى في التوراة﴿ إِماماً﴾ يؤم به في أمور الدين﴿ ورَحْمَةً﴾ على عباده المؤمنين، وهما حالان من (كتاب موسى) لأنه معرفة، عن الكاظم والرضا (ع): أمير المؤمنين الشاهد على رسول الله (ص) ورسول الله (ص) على بينة من ربه، وعنهم (ع): الشاهد منه علي بن أبي طالب (ع): يشهد للنبي (ص) وهومنه، وعن الصادق (ع): إنما نزل (أ فمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه إماماً ورحمة ومن قبله كتاب موسى أولئك يؤمنون به) فقدّموا وأخّروا في التأليف﴿ أولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: بالقرآن، أو بمحمد (ص) وتقدير الآية: أ فمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد على صدقه وتقدمه شاهد فآمن بهذا كله كما أراد الحياة الدنيا وزينتها ولم يؤمن، ثم أخبر عنهم فقال: أولئك يؤمنون به﴿ ومَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزابِ﴾ من أهل مكة، أو من تحزّب

معهم على رسول الله (ص) ﴿ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ يردها لا محالة، عن النبي (ص): لا يسمع بي أحد من الامة لا يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي إلا كان من أهل النار﴿ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ من القرآن، أوالموعد، وعن الصادق (ع): من ولاية علي (ع) والخطاب للنبي (ص) والمراد الأمة والمعنى: لا تك أيها السامع في شك من أمر محمد (ص)، أوإنزال القرآن﴿ إِنَّهُ﴾ أي: محمد (ص) أو القرآن، أو الموعد ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ولكِنَّ أكثر النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ لجهلهم بربهم وجحدهم نبوة نبيهم﴿ ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً ﴾ كأن أسند اليه ما لم ينزله، أو نفى عنه ما أنزله، أي: لا أحد أظلم منه﴿ أولئِكَ يُعْرَضُونَ عَلى رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة يوقفون موقفاً يراهم الخلائق للمطالبة بما عملوا﴿ ويَقُولُ الاشْهادُ﴾ الذين يشهدون على العباد وهم: الملائكة الحفظة، أو الأنبياء، أو الائمة ﴿ هؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلى رَبِّهِمْ﴾ على رسله﴿ ألا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بإدخالهم الضرر عليها، وغيرهم بإدخال الآلام عليهم﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ الناس عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عن دينه بالترغيب والترهيب، وإلقاء الشبه﴿ ويَبْغُونَها عِوَجاً﴾ ويطلبون بسبيل الله زيفاً عن الإستقامة وعدولاً من الصواب، أو يصفونها بالإنحراف عن الحق والصواب، أويزيدون في الكتاب وينقصون فيه لتغيير الأدلة ﴿ وهُمْ بِالاخِرَةِ﴾ أي: بالقيامة والبعث والثواب والعقاب﴿ هُمْ﴾ كرّر للتوكيد والإختصاص﴿ كافِرُونَ﴾ جاحدون غير مقرّين عن الباقر (ع) هم أربعة ملوكٍ من قريش يتبع بعضهم بعضاً، قيل هم الثلاثة ومعاوية، وعن الصادق (ع) الأشهاد هم الائمة، القمي: يعني بالاشهاد الائمة الا لعنة الله على القوم الظالمين آل محمد (ص) حقهم يصدون عن سبيل الله عن طريق الله وهي الإمامية يبغونها عوجاً مرفوعاً إلى غيرها.

[سورة هود الآيات ٢٠- ٢٨]

أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ

كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

﴿ أولئكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ﴾ هرباً من الله تعالى إذا أراد إهلاكهم، وخص الأرض لأنه معاقدها التي يهرب إليها البشر ويعتصمون بها عند المخاوف، فكأنه سبحانه نفى أن يكون لهم مانع من عذابه ﴿ وما كانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أولِياءَ﴾ يمنعون عن العقاب في الدنيا والآخرة﴿ يُضاعَفُ لَهُمُ الْعَذابُ﴾ بكفرهم ومعاصيهم كما قال تعالى (زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون)[1] أو يضاعف العذاب على رؤسائهم لضلالهم وإضلالهم بـ﴿ ماكانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَ﴾ بـ﴿ ما كانُوا﴾ يستطيعون للأبصار ﴿ يُبْصِرُونَ﴾ عناداً وذهاباً عن الحق﴿ أولئكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ حيث إشتروا عبادة الأوثان بعبادة الله فهلكوا، وذلك خسران أنفسهم وهوأعظم الخسران إذ لا عوض عنها﴿ وضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ولم يبق لهم سوى الخيبة والخسران والحسرة﴿ لا جَرَمَ﴾ نفي لما ظنوا أنه ينفعهم كأن المعنى: لا ينفعهم ذلك جرم﴿ أَنَّهُمْ فِي الاخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾ أي:كسب ذلك الفعل لهم الخسران، فأ(جرم) فعل ماض بمعنى: (كسب) وقيل: بمعنى: (وجب) وقيل: بمعنى: (لا بد) و(لامحالة) وقيل: بمعنى: (حقاً)﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحات وأَخْبَتُوا إلى رَبِّهِمْ﴾ إطمأنوا إلى ذكره وخشعوا له﴿ أولئكَ أصحاب الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ المؤمنين والكافرين﴿ كَالأَعْمى والاصَمِّ والْبَصِيرِ

(١) سورة آل عمران الآية ٨٨

والسَّمِيعِ﴾ المسلمون كالبصير والسميع لإنتفاعهم بحواسّهم واستعمالهم[١] في الدين والمشركون كالأعمى والأصم لتعاميهم عن آيات الله، وجيء بـ(الواو) للدلالة على أن حال الكافر كحال الأعمى على حدة وكحال الأصم على حدة وكحال من جمع الوصفين معاً﴿ هَلْ يَسْتَوِيانِ﴾ أي: الفريقان، أو مثلاهما﴿ مثلاً﴾ صفة﴿ أ فَلا يتذكَّرُونَ﴾ تتذكرون، أي: تعتبرون بضرب الأمثال والتأمل فيها﴿ ولَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إلى قَوْمِهِ إِنِّي﴾ أي: بأني وكسرها نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بتقدير القول ﴿ لَكُمْ نَذيرٌ مُبينٌ﴾ أبين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص﴿ أنْ﴾ أي: بأن، أو أي﴿ لا تَعْبُدُوا إلاّ اللّهَ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم، أو أليم عذابه ﴿ فَقالَ الْمَلأُ﴾ الأشراف﴿ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ من قوم نوح لنوح: ﴿ ما نَراكَ إلاّ بَشَراً مِثْلَنا﴾ لا تفضلنا بشيء يوجب طاعتك علينا﴿ وما نَراكَ اتَّبَعَكَ إلاّ الَّذينَ هُمْ أَراذِلُنا﴾ أخساؤنا لا أشرافنا ورؤساؤنا، القمي: يعني: الفقراء والمساكين﴿ بادِيَ الرَّأْيِ﴾ بهمزة مفتوحة بعد الدال أي: أول الرأي ومبتدأه، وبياء مفتوحة بعدها أي: ظاهر الرأي من غير تعمّق وتدبر فيما قلت وانتصابه على الظرف وعامله (اتبعك) وإنما استرذلوهم لفقرهم لأنهم لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا﴿ وما نَرى لَكُمْ﴾ لك ولقومك علينا﴿ مِنْ فَضْلٍ﴾ يؤهلك للنبوة والمتابعة﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبينَ﴾ أنت في دعوى النبوة، وهم في دعوى العلم بصدقك﴿ قالَ﴾ نوح لقومه﴿ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ﴾ حجة تصدق دعواي﴿ مِنْ رَبِّي وآتاني رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ بإيتاء النبوة والبينة﴿ فَعُمِّيَتْ﴾ بضم العين وتشديد الميم، أي: أخفيت، وبفتح العين والتخفيف بمعنى: خفيت﴿ عَلَيْكُمْ﴾ حتى لم تعرفوها ولم تفهموها فلم

---

(١) كذا وردت والأصح : إستعمالها.

تهدكم، أو المعنى: عموا هم عنها لأن الرحمة لا تعمي وإنما يعمى عنها فيكون على القلب﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ بثلاثة ضمائر، أي: أ نلجئكم على قبولها﴿ وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ لا تريدونها.

[سورة هود الآيات٢٩- ٣٧]

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن

يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

﴿ ويا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التبليغ ﴿ مالاً﴾ أجراً ﴿ إِنْ أَجرِيَ﴾ ما ثوابي ﴿ إلاَّ عَلَى اللَّهِ وما أَنَا بطارِدِ الَّذينَ آمَنُوا﴾ يعني: الفقراء، جواب لهم حين سألوه طردهم ليؤمنوا به أنفة منهم أن يكونوا معهم سواء ﴿ إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ﴾ فيجازي من ظلمهم وطردهم بالعذاب، أو ملاقوا ثواب ربهم ﴿ ولكنِّي أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾ الحق وأهله، أو في سؤال طردهم ﴿ ويا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ من يمنعني من عذابه؟ ﴿ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ﴾ تتذكرون، أي: تتعظون ﴿ ولا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ﴾ أي: مقدوراته، فافعل ما أشاء من إعطاء ومنع، أو مفاتيح الله في الرزق ﴿ ولا أقول إني أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ حتى تستعظموا ذلك فتكذبوني ﴿ ولا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ بل أنا بشر مثلكم ﴿ ولا أَقُولُ لِلَّذينَ تَزْدَرِي﴾ تحتقر ﴿ أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً﴾ فإنه يؤتيهم في الآخرة ثوابه ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ قلوبهم من إخلاص أوغيره ﴿ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمينَ﴾ إن طردتهم، أو قلت شيئاً من ذلك ﴿ قالُوا يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا﴾ قد خاصمتنا وحاججتنا ﴿ فَأَكْثرتَ جِدالَنا﴾ أي: زدت على قدر الكفاية ﴿ فَأْتِنا بِما تَعِدُنا﴾ من العذاب ﴿ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقينَ﴾ في الدعوى والوعيد، فإن مناظرتك لا تؤثر فينا ﴿ قالَ إِنَّما يَأْتيكُمْ بِه اللَّهُ إِنْ شاءَ﴾ فان تعجيله وتأخيره إليه لا إليّ ﴿ وما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ لا تفوتون الله بالهرب ﴿ ولا يَنْفَعُكُمْ نُصْحي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾ جواب الشرط يعلم مما قبله ومن الشرطية يعلم جواب (ان)

﴿ إِنْ كانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ والتقدير: إن كان الله يريد أن يخيبكم من ثوابه ويعاقبكم لكفركم، أويهلككم، فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي، إذ الشرط بعد الشرط معنى[1] وان تأخر لفظاً﴿ هُوَرَبُّكُمْ﴾ مالككم﴿ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم على أعمالكم﴿ أَمْ﴾ بل﴿ يَقُولُونَ﴾ أي: كفّار مكة﴿ افْتَراهُ﴾ نوح، أومحمد (ص)، أوالمعنى: أيؤمن الكفّار بما أخبر به محمد (ص) من نبأ قوم نوح أم يقولون إفتراه محمد (ص) من تلقاء نفسه﴿ قُلْ﴾ لهم يا محمد (ص):﴿ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾ واختلقته﴿ فَعَلَيَّ إِجْرامِي﴾ أي: عقوبة جرمي لا تؤاخذون به﴿ وأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ لا أؤاخذ بجرمكم، عن الباقر (ع): إن كفّار مكة قالوا: ان محمداً (ص) إفترى﴿ وأُوحِيَ إلى نُوحٍ﴾ عن الصادقين (ع): كان اسم نوح (عبد الغفّار) وانما سمي (نوحاً) لأنه ينوح على نفسه، وروي: (عبد الملك)، وفي اخرى عبد الأعلى ﴿ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ﴾ فلا تحزن حزن بائس مستكين﴿ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ﴾ من تكذيبك وإيذائك أقنطه الله من إيمانهم فدعا: (ربّ لا تذر...) إلخ فأجاب دعاءه وقال:﴿ واصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا﴾ برعايتنا وحفظنا، أوبمرأى منّا، وذكر (الأعين) لتأكيد الحفظ، أو بأعين ملائكتنا الموكلين﴿ ووَحْيِنا﴾ أي: على ما أوحينا إليك من صفتها وحالها﴿ ولا تُخاطِبْنِي﴾ لا تراجعني﴿ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باستدفاع العذاب عنهم﴿ إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ عن قريب وهذا غاية في الوعيد كما يقول الملك لوزيره: لا تذكر حديث فلان بين يديّ.

---

(١) الظاهر أنها: (معنيّ)

[سورة هود الآيات ٣٨ - ٤٥]

وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ

رَبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

﴿ ويَصنَعُ الفُلكَ﴾ حكاية حال ماضية، أي: وجعل نوح يصنع الفلك كما أمره الله﴿ وكُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾ وهويعمل السفينة﴿ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ استهزءوا به لعمله السفينة في برّية بعيدة ولا ماء عنده فيتضاحكون ويقولون: صرت نجّاراً بعد النبوة﴿ قالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾ إذا غرقتم﴿ كَما تَسْخَرُونَ﴾ اليوم ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ﴾ أي: الذي﴿ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ﴾ يفضحه وهو الغرق ﴿ ويَحِلُّ﴾ ينزل﴿ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم في الآخرة﴿ حَتَّى﴾ متعلقة بقوله: (اصنع) وما بينهما حال من الضمير فيه وهي التي ابتدأ بعدها الكلام يعني: ذلك حاله وحالهم حتى﴿ إِذا جاءَ أَمْرُنا﴾ قضاؤنا بنزول العذاب﴿ وفارَ التَّنُّورُ﴾ نَبَع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور، وهوتنور الخبز كان في الكوفة موضع مسجدها، أو في الشام، أو الهند، وكان ذلك علامة لنوح خارقة للعادة، وقيل التنور وجه الأرض، وقيل: أعلا الأرض وأشرفها، وقيل: معنى (فار التنور): اشتد غضب الله كما يقال (حمي الوطيس) وعن علي (ع): ان نوحاً لما فرغ من السفينة وكان ميعاده فيما بينه وبين ربه في إهلاك قومه أن يفور التنور ففار، فقالت: امرأته ان التنور قد فار، فقام اليه فختمه فقام الماء وأدخل من أراد أن يدخل، واخرج من أراد أن يخرج، ثم جاء إلى خاتمه ونزعه... الخبر ﴿ قُلْنَا﴾ لنوح﴿ احْمِلْ فِيها﴾ في السفينة﴿ مِنْ كُلٍّ﴾ بالتنوين﴿ زَوْجَيْنِ﴾ لأن الإثنين زوجان، أي: من كل جنس من الحيوان زوجين﴿ اثْنَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى، و(إثنين) صفة للتأكيد كقوله: إلهين اثنين، وبدون التنوين مضافاً أي: من كل زوجين ذكر وأنثى من

جميع أنواعهما إحمل إثنين ذكراً وأنثى﴿ وأهلكَ﴾ واحمل أهلك، امرأتك وبنيك ونساءهم﴿ إلاّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ بأنه من المغرقين ككنعان وامرأته وأهله ﴿ ومَنْ آمَنَ﴾ بك من غيرهم﴿ وما آمَنَ مَعَهُ إلاّ قَليلٌ﴾ عن الباقر والصادق (ع): آمن مع نوح من قومه ثمانية نفر، وعن الصادق (ع): حمل نوح في السفينة الأزواج الثمانية التي قال الله: ثمانية ازواج، فكان من الضأن إثنين زوج داجنة يربّيها الناس والزوج الآخر الضأن التي تكون في الجبال الوحشية، وروي: إنه أدخل من كل جنس من أجناس الحيوان زوجين ما خلا الفأر والسنّور، وانهم لمّا شكوا من سرقين الدّواب والقذر دعا بالخنزير فمسح جبينه، فعطس فخرج من أنفه زوج فأر فتناسل فلما كثروا شكوا اليه منها، فدعا بالأسد فمسح جبينه فعطس فسقط من أنفه زوج سنّور، وروي: كان طول سفينة نوح ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ثمانمائة ذراع، وطولها في السماء ثمانين﴿ وقالَ﴾ نوح لمن آمن معه﴿ ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللّهِ مَجْراها﴾ بضم الميم، من (أجريت) وبفتحها من (جريت) وهما متقاربان﴿ ومُرْساها﴾ بالضم لا غير، أي: متبركين، أوقائلين: بسم الله وقت جريها، أو إجرائها ووقت إرسائها أي: إثباتها وحبسها، فيكون (بسم الله) حالاً من ضمير (اركبوا) أوجملة منفكة عمّا قبلها من مبتدأ وخبر، أي: إجرائها بسم الله، وفتح حفص وحمزة والكسائي ميم (مجراها) ﴿ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إذ نجانا من الغرق﴿ وهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبالِ﴾ في عظمها وارتفاعها﴿ ونادى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ كنعان﴿ وكانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عن نوح، أودينه﴿ يا بُنَيِّ﴾ بكسر الياء ليدل على ياء الإضافة المحذوفة، وفتحها عاصم إكتفاء بالفتح عن الألف المبدلة عن ياء الإضافة﴿ ارْكَبْ مَعَنا﴾ وأدغم الباء في الميم ابوعمرو وحفص والكسائي﴿ ولا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ﴾ في الدين والتخلف﴿ قالَ سَآوي إلى جَبَلٍ﴾ سأرجع إلى مأوى من جبل ﴿ يَعْصِمُنِي مِنَ الْماءِ﴾ فأوحى الله إليه

يا جبل أيعتصم بك مني أحد؟ فغار في الأرض وتقطع إلى الشام﴿ قالَ لا عاصِمَ﴾ لا مانع ولا دافع﴿ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ من عذابه﴿ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ﴾ الله بإيمانه فالإستثناء منقطع أي: ولكن من رحمه الله بإيمانه فهو المعصوم، أولا عاصم إلا الراحم وهو الله، أو أن (عاصم) بمعنى: معصوم أي: لا معصوم اليوم من أمر الله إلا من رحمه الله ﴿ وحالَ بَيْنَهُمَا﴾ بين نوح وابنه، أو بين ابنه والجبل﴿ الْمَوْجُ فَكانَ﴾ فصار ﴿ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ قيل: علا الماء قلال الجبال ثلاثين ذراعاً﴿ وقِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ﴾ إشربيه فشربته﴿ ويا سَماءُ أَقْلِعِي﴾ إمسكي عن المطر فأمسكت ووقع النداء والأمر بما للعقلاء تمثيلاً لإنقيادهما لأمره تعالى بامتثال المطيع السريع إلى الإجابة ﴿ وغِيضَ الْماءُ﴾ نقص ببلع الأرض ما نبع منها وصار ماء السماء بحاراً وأنهاراً ﴿ وقُضِيَ الامْرُ﴾ وقع هلاك من هلك، ونجاة من نجا﴿ واسْتَوَتْ﴾ واستقرت السفينة﴿ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ جبل بالموصل﴿ وقِيلَ﴾ والقائل: الله، أو الملائكة، أو نوح ﴿ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ من رحمته، والآية حوت غاية البلاغة بحسن نظمها وجزالة لفظها، وبيان الحال بإيجاز بلا إختلال، وبنيت الأفعال للمفعول لتعظيم الفاعل وتعينه إذ لا يقدر على هذه الأمور إلا الله﴿ ونادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ وقد وعدتني أن تنجيهم﴿ وإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ الذي لا خلف فيه، فنجه، أوفما حاله؟﴿ وأَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ﴾ أعدلهم.

[سورة هود الآيات٤٦- ٥٣]

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ

إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾

﴿ قالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أهلكَ﴾ الذي وعدتك بنجاتك[1]، أو أهل دينك ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالحٍ﴾ أي: ذو عمل، أو جعل نفس العمل مبالغة، وقرئ (عَمِلَ) أي:

(١) لعلها سهو قلم المؤلف(ره) والصحيح: (بنجاتهم).

عملاً غير صالح﴿ فَلا تَسْئَلْنِ﴾ وشدد النون مكسورة نافع وابن عامر، وقرأ مفتوحة ابن كثير، وخففها الباقون مكسورة، واثبت الياء ورش وأبوعمرو في الوصل﴿ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ ما لم تعلم أصواب هوأم خطأ حتى تعرف كنهه﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ﴾ انّي أحذرك لئلا تكون﴿ مِنَ الْجاهِلِينَ قالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ﴾ أعتصم﴿ بِكَ ﴾ من ﴿ أَنْ أَسْئَلَكَ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وإِلاَّ تَغْفِرْ لِي﴾ ما صدر مني﴿ وتَرْحَمْنِي﴾ بالتوبة والتفضل عليّ ﴿ أَكُنْ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾ قاله على سبيل الخضوع والتذلل والإستكانة وإن لم يسبق منه ذنب﴿ قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ﴾ من السفينة، أوالجبل﴿ بِسَلامٍ﴾ بسلامة ﴿ مِنَّا﴾ ونجاة، أو بتحية وتسليم منّا عليك﴿ وبَرَكاتٍ﴾ ونعم دائمة وخيرات نامية ثابتة حالأبعد حال ﴿ عَلَيْكَ وعَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ في السفينة﴿ وأُمَمٌ﴾ ممن معك ﴿ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا بضروب من النعم فيكفرون فنهلكهم﴿ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ﴾ بعد الهلاك﴿ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ موجع، وعن الصادق (ع): منزل نوح بالموصل من السفينة مع الثمانين وبنوا مدينة الثمانين، وكانت لنوح إبنة ركبت معه السفينة فتناسل الناس منها، وذلك قول النبي (ص): نوح أحد الأبوين﴿ تِلْكَ﴾ القصة﴿ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ﴾ خبر ثان لـ(تلك) أوحال من (الأنباء) أو هو الخبر، أو (من انباء) متعلق به، أو حال من (الهاء)﴿ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ ولا قَوْمُكَ﴾ خبر آخر، أي: مجهولة عندك وعند قومك﴿ مِنْ قَبْلِ هذا﴾ من قبل إيحابنا إليك، أو من قبل القرآن ﴿ فَاصْبِرْ﴾ على مشاق الرسالة وإيذاء القوم كما صبر نوح، وهذا أحد الوجوه التي لأجلها كرّر الله قصص الأنبياء﴿ إِنَّ الْعاقِبَةَ﴾ في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز ﴿ لِلْمُتَّقِينَ﴾ عن الشرك والمعاصي﴿ وإِلى عادٍ﴾ وأرسلنا إلى عاد﴿ أَخاهُمْ﴾ نسباً لا ديناً﴿ هُوداً﴾ عطف بيان﴿ قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده دون الأصنام﴿ ما لَكُمْ

مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ﴾ رفع حملاً على المحل، وجرّه الكسائي على اللفظ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ مُفْتَرُونَ﴾ على الله بجعلكم الأوثان شركاءه﴿ يا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على دعائكم إلى التوحيد ﴿ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى الَّذي فَطَرَنِي﴾ خلقني﴿ أَ فَلا تَعْقِلُونَ﴾ قولي فتعلمون أنه الحق﴿ ويا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّماءَ﴾ المطر ﴿ عَلَيْكُمْ مِدْراراً﴾ متتابعاً كثير الدّر، قيل: أنهم أجدبوا، فوعدهم هود أنّهم إن تابوا أخصبت بلادهم بنزول الغيث﴿ ويَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلى قُوَّتِكُمْ﴾ بالمال والنّسل، وكانوا قد عقمت نساؤهم، وقيل: كانوا أصحاب زروع وبساتين، وكانوا يدلون بالقوّة والبطش ﴿ ولا تَتَوَلَّوْا ﴾ لا تعرضوا عمّا أدعوكم اليه ﴿ مُجْرِمِينَ﴾ مشركين﴿ قالُوا يا هُودُ ما جِئْتَنا بِبَيِّنَةٍ﴾ بحجة تصدّق دعواك، لم يعتبروا بمعجزاته ﴿ وما نَحْنُ بِتارِكِي آلِهَتِنا﴾ أي: عبادتهم﴿ عَنْ قَوْلِكَ﴾ لقولك أوبقولك﴿ وما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بمصدّقين إقناط له من الإجابة.

[سورة هود الآيات ٥٤ - ٦٢]

إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾

﴿ إِنْ نَقُولُ﴾ ما نقول فيك﴿ إلاّ﴾ قولنا: ﴿ اعْتَراكَ﴾ أصابك﴿ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ﴾ بخبل لسبّك إياها، فصرت تهذي بكلام المجانين﴿ قالَ إِنِّي﴾ وفتح نافع الياء﴿ أُشْهِدُ اللّهَ واشْهَدُوا﴾ أنتم أيضاً﴿ أَنّي بَرِيءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ﴾ به﴿ مِنْ دُونِه﴾ من آلهتكم التي تزعمونها خبلتني﴿ فَكِيدُونِي﴾ فاحتالوا في ضرّي﴿ جَمِيعاً﴾ أنتم وآلهتكم﴿ ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ﴾ لا تمهلون، وهذه معجزة له (ع): إذ جبههم بذلك مع وحدته بينهم، وشدة حنقهم وعتوّهم، ثقة بعصمة الله فعصمة، الله منهم﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي ورَبِّكُمْ﴾ وثقت به﴿ ما مِنْ دَابَّةٍ إلاّ هُوآخِذٌ بِناصِيَتِها﴾ إلا وهومالكها، أوقاهرها، والأخذ بالناصية مَثَل لذلك، لأنّ من أخذ بناصية غيره فقد قهره

وأذله﴿ إِنَّ رَبِّي﴾ مع كونه قاهراً﴿ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ على الحق والعدل، عن علي (ع): يعني: أنه على حق يجزي بالإحسان إحساناً وبالسّيء سيّئاً ويعفوعمن يشاء ويغفر ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ تتولوا، أي: تعرضوا﴿ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ أدّيت ما عليّ، وألزمتكم الحجة﴿ ويَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ بعد إهلاككم، وهو إستئناف ﴿ ولا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً﴾ بإهلاككم، أو بإشراككم﴿ إِنَّ رَبِّي عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ رقيب، فيحصي أعمالكم ويجازيكم بها﴿ ولَمَّا جاءَ أَمْرُنا﴾ عذابنا﴿ نَجَّيْنا هُوداً والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ من الهلاك، قيل: أنهم أربعة آلاف﴿ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ بما أريناهم من الهدى والبيان، أو بنعمة﴿ ونَجَّيْناهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ﴾ وهو الريح التي أهلك بها عاداً، أو المعنى: ونجيناهم أيضاً من عذاب الآخرة﴿ وتِلْكَ عادٌ جَحَدُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ﴾ كفروا بمعجزات نبيّه الدالة على صدقه﴿ وعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ إنما جمع لأنّ من كذب واحداً منهم فقد كذب جميعهم، أو لأن هود كان يدعوهم إلى الإيمان بمن تقدمه من الرسل أيضاً، فكذبوا الجميع﴿ واتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ رؤسائهم الدعاة إلى تكذيب الرسل، والجبّار: مَن يقتل ويضرب على غضبه، والعنيد: الكبير العناد لا يقبل الحق ﴿ واتَّبَعُوا﴾ أي: عاد بعد إهلاكهم﴿ فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً﴾ إبعاداً عن الرحمة ﴿ ويَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ يبعدون من رحمته بدخول النار﴿ أَلا إِنَّ عاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ كفروا نعمه، أوكفروا بربهم﴿ أَلا بُعْداً لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ دعاء عليهم بالهلاك، وإشارة إلى أنهم كانوا مستوجبين، وفي تكرير (إلا) وإعادة ذكر عاد تفظيع لأمرهم، وحث على الاعتبار بحالهم والحذر من مثل أفعالهم، وإنما قيل (قوم هود) ليتميزوا عن عاد إرم ﴿ وإِلى ثَمُودَ﴾ وأرسلنا إلى ثمود﴿ أَخاهُمْ صالِحاً﴾ وكانوا بوادي القرى بين المدينة والشام وكانت عاد باليمن﴿ قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ هُوَأَنْشَأَكُمْ﴾ كوّنكم من الأرض لا غيره، فإنه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من

التراب﴿ واسْتَعْمَرَكُمْ فيها﴾ جعلكم عُمّار الأرض، بأن مكنكم من عمارتها، أو أعمرها لكم مدة أعماركم من (العمرى) أو أطال فيها أعماركم، وكانت أعمارهم من ألف سنة إلى ثلاثمائة﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشرك والذنوب﴿ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ داوموا إلى[1] التوبة﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ منكم برحمته﴿ مُجِيبٌ﴾ لمن دعاه﴿ قالُوا يا صالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينا مَرْجُوًّا﴾ نرجومنك الخير﴿ قَبْلَ هذا﴾ القول، فالآن نقطع رجاءنا منك بإبداعك ما أبدعت، فعلمنا أن لا خير فيك﴿ أَ تَنْهانا أَنْ نَعْبُدَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا﴾ من الأصنام ولم نشك في أمرها﴿ وإِنَّنا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ﴾ من التوحيد﴿ مُرِيبٍ﴾ للريبة .

[سورة هود الآيات٦٣ - ٧١]

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟

---

(١) قال عادةً: (داوموا على التوبة) وليس (إلى التوبة).

ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

﴿ قالَ﴾ صالح لهم:﴿ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ﴾ حجة﴿ مِنْ رَبِّي وآتاني مِنْهُ رَحْمَةً﴾ نبوّة﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ يمنعني من عذابه﴿ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ بترك التبليغ﴿ فما تَزِيدُونَنِي﴾ بما تقولون لي﴿ غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ أن أنسبكم إلى الخسران﴿ ويا قَوْمِ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيةً﴾ حال من (ناقة الله)﴿ فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ أي: فاتركوها في حال أكلها، فالجملة حالية، أو إستئنافية أي: تأكل في أرض الله من العشب وغيره﴿ ولا تَمَسُّوها بِسُوءٍ﴾ من قتل، أو جرح، أو غيره ﴿ فَيَأْخُذَكُمْ﴾ منصوب في جواب النهي﴿ عَذابٌ قَرِيبٌ﴾ عاجل، إن فعلتم ذلك﴿ فَعَقَرُوها﴾ عقرها (أحمر ثمود) وضرب به المثل في الشؤم، ورضي به الباقون فنسب إلى الكل﴿ فَقالَ﴾ صالح: ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دارِكُمْ﴾ دار الدنيا، أومنازلكم، أوبلدكم، وعبر عن الحياة بالتمتع لأن الحي يتمتع بالحواس﴿ ثَلاثَةَ أيامٍ﴾ ثم يحل بكم العذاب بعد ذلك﴿ ذلِكَ﴾ العذاب الموعود به﴿ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ فيه، أو غير كذب على أنه مصدر كالمعقول﴿ فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا صالِحاً والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ومِنْ خِزْيِ﴾

عطف على محذوف أي: نجيناهم من العذاب ومن خزي﴿ يَوْمِئِذٍ﴾ أي: إهلاكهم بالصيحة، أو من فضيحتهم يوم القيامة، وفتح ميمه نافع والكسائي بناءً لإضافته إلى مبني ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَالْقَوِيُّ﴾ القادر على ما يشاء﴿ الْعَزِيزُ﴾ الغالب﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ مرّ تفسيره في الأعراف، وأصل الجثوم اللزوم بالمكان وقال: أصبحوا لأن العذاب أخذهم عند الصبح، أوأتتهم الصيحة ليلاً فأصبحوا على هذه الصفة﴿ كَأَنْ﴾ مخففة﴿ لَمْ يَغْنَوْا﴾ لم يقيموا﴿ فِيهَا أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ نوّنه من عدا حفص وحمزة على انه اسم للحي، أو أبيهم ومنع من الصرف عند آخرين بقصد القبيلة﴿ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ﴾ نوّنه الكسائي﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ من الملائكة﴿ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ بالولد، أو بهلاك قوم لوط، عن الصادق (ع): كانوا اربعة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وكروبيل، وعن الباقر (ع): ان هذه البشارة كانت بإسماعيل من هاجر، وروي: أنها بإسحاق﴿ قَالُوا سَلاماً﴾ أي: ذكروا سلاماً، أو أصبت وأعطاك الله، أوسلمنا عليك سلاماً﴿ قَالَ سَلامٌ﴾ عليكم، أوأمركم سلام، حيّاهم بالأحسن لإسمية الجملة، وقرأ حمزة والكسائي (سلم) أي: إنا سلم ولست بحرب ولا عدوفهلاً إمتنعتم من طعامي[1]﴿ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ﴾ فما توقف في مجيئه به﴿ حَنِيذٍ﴾ مشوي ظنهم أضيافاً حيث كانوا على صورة البشر، وصار ذلك من السنة أن يعجل الطعام للضيف، وعن الصادق (ع): يعني: مشوياً نضيجاً، فقال: كلوا، فقالوا: لا نأكل حتى تخبرنا ما ثمنه؟ فقال: إذا أكلتم فقولوا: بسم الله وإذا فرغتم فقولوا: الحمد لله فالتفت جبرئيل إلى أصحابه وكانوا اربعة رئيسهم جبرئيل، فقال: حق لله أن يتخذ هذا خليلاً﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ لا يمدون إليه أيديهم

---

(١) لعل الجملة (فهلاً أكلتم من طعامي؟).

﴿ نَكِرَهُمْ﴾ أنكرهم﴿ وأوجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ والإيجاس: الإحساس، أو الإضمارأي: أضمر منهم خوفاً لإمتناعهم من طعامه، أوظنهم لصوصاً﴿ قالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمِ لُوطٍ﴾ بالعذاب والإهلاك لا إلى قومك﴿ وامْرَأَتُهُ﴾ سارة ـ كما عن الباقر (ع) ـ ﴿ قائِمَةٌ﴾ تصلي، أو على رؤوسهم تخدمهم، أو من وراء الستر تسمع محاورتهم ﴿ فَضَحِكَتْ﴾ فرحاً بالأمن، أو بهلاك قوم لوط، أو بإصابة حديثها سيهلكون، أومن إمتناعهم عن الأكل وخدمتها إياهم بنفسها، وقيل: ضحكت: حاضت﴿ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وِمِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ﴾ إبنه تدركه نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل دل عليه (بشرنا) و (وهبنا له يعقوب) ورفعه الباقون مبتدأ وخبره الظرف.

[سورة هود الآيات ٧٢ - ٨١]

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن

قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾

﴿ قالَتْ يا وَيْلَتى﴾ يقال عند أمر عظيم تعجباً، وألفه بدل ياء الإضافة، أوللندبة أي: تعالى فهذا أوانك﴿ أ ألِدُ وأنَا عَجُوزٌ﴾ إبنة تسع وتسعين﴿ وهذا بَعْلِي﴾ زوجي ﴿ شَيْخاً﴾ إبن مائة، وهو حال عامله الإشارة، وعن أحدهما (ع): هي يومئذٍ إبنة تسعين سنة وإبراهيم يومئذٍ ابن عشرين ومائة سنة﴿ إنَّ هذا لَشَيْءٌ عَجيبٌ﴾ أن يولد ولد لهرمين، فإنه خارق العادة، أوانها لم تتعجب من قدرة الله ولكنّها أرادت أن تعرف هل تتحول شابة أم تلد على تلك الحال؟﴿ قالُوا أ تَعْجَبِينَ مِنْ أمْرِ اللهِ﴾ من قدرته أن يفعل ذلك﴿ رَحْمَتُ اللهِ وبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أهل البَيْتِ﴾ نداءتخصيص وجعلها من أهل بيته لأنها إبنة عمّه، فلا يدل على كون زوجة الرجل من أهل بيته ﴿ إنَّهُ حَميدٌ﴾ محمود في أفعاله، أو يحمد عباده على الطاعات﴿ مَجيدٌ﴾ كثير الخير والإحسان، عن الصادق (ع): أوحى الله إلى إبراهيم: أنه سيولد لك، فقال لسارة،

فقالت: أ ألد وأنا عجوز؟ فأوحى الله إليه: انها ستلد ويعذب أولادهما اربعمائة سنة بردّها الكلام... الخبر، فلما طال على بني إسرائيل العذاب ضجّوا وبكوا إلى الله أربعين صباحاً، فأوحى الله إلى موسى وهارون يخلصهم من فرعون، فحط عنهم سبعين ومائة سنة ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْراهِيمَ الرَّوْعُ﴾ الخوف الذي دخله من الرسل ﴿ وجاءَتْهُ الْبُشْرى﴾ بالولد بدل الروع ﴿ يُجادِلُنا﴾ قيل: يجادل رسلنا ﴿ فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ وكان لوط ابن خالته يجادل في شأنهم، بقوله: ان فيها لوطاً، أوفي كيفية نجاة المؤمنين منهم، أو بأيّ شيء استحقوا عذاب الإستئصال ﴿ إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ غير عجول بالإنتقام إلى من أساء اليه ﴿ أواهٌ﴾ كثير الدعاء، وروي: دعّاء ﴿ مُنِيبٌ﴾ راجع إلى الله متوكل عليه، إشارة إلى أن جداله لرأفته وحلمه وترحمه، قالت الملائكة: ﴿ يا إِبْراهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هذا﴾ الجدال ﴿ إِنَّهُ قَدْ جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ قضاؤه بعذابهم ﴿ وإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ مدفوع عنهم بجدال ونحوه ﴿ ولَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ﴾ اغتم بسببهم، إذ جاءوا في صورة غلمان أضياف، فخاف عليهم قومه ﴿ وضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً﴾ صدراً، كنآيةعن فقد الحيلة في دفع المكروه ﴿ وقالَ هذا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ هائل كثير الشر، خوفاً من قومه أن يفضحوه لمسارعتهم إلى الفاحشة ﴿ وجاءَهُ قَوْمُهُ﴾ حين أعلمته امرأته بهم بتدخينها ﴿ يُهْرَعُونَ﴾ يسرعون ﴿ إِلَيْهِ﴾ كأنهم يساقون سوقاً ﴿ ومِنْ قَبْلُ﴾ قبل ذلك اليوم ﴿ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ﴾ إتيان الذكور في أدبارهم، فتمرنوا ولم يستحيوا، فلذا جاءوا يسارعون إليه مجاهرين ﴿ قالَ﴾ لمّا همّوا بأضيافه ولم يستحيوه ﴿ يا قَوْمِ هؤُلاءِ بَناتِي﴾ فتروجوهن، وكانوا يخطبونهن فلا يجيبهم لعدم الكفاءة لا للكفر ـ إذ ليس مانعاً في شرعه ولا في إبتداء الإسلام ـ وقد نسخ، وقيل: أراد نساءهم لأن كل نبي أبو أمّته ﴿ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وعن الصادق (ع): عرض عليهم التزويج، وعن أحدهما (ع): انه وضع يده

على الباب ثم ناشدهم فقال: اتقوا الله﴿ ولا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ ثم عرض عليهم بناته بنكاح، والقمي: عنى به: أزواجهم وذلك أن النبي هو أبو أمته فاتقواالله في مواقعة الذكور ولا تخزون في ضيفي: لا تخجلوني بالهجوم على أضيافي﴿ أَ لَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، أو يرشدكم إلى الحق﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ ما لَنا فِي بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ من حاجة، فإنّ ما لا يكون للإنسان فيه حاجة مرغوب عنه كما يرغب عمّا لا حق له، فلذلك قالوا من حق، أو المراد انهم لا حق لهم فيهن﴿ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ﴾ من إتيان الذكور﴿ قالَ لَوأَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ منعة وقدرة وجماعة أتقوى بهم على دفعكم﴿ أو آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ أو أنضم إلى عشيرة تنصرني لدفعتكم، قيل: قال: جبرئيل إن ركنك لشديد افتح الباب ودعنا وإياهم، عن الباقر(ع): رحم الله لوطاً لو يدري من معه في الحجرة لعلم انه منصور ﴿ قالُوا يا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ على اهلاكهم فلا تغتم﴿ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ بما يسوءك﴿ فَأَسْرِ﴾ بقطع همزته من (الإسراء) ووصلها نافع وابن كثير حيث اتى من (السرى) وهو: السير ليلاً﴿ بِأَهلكَ بِقِطْعٍ﴾ بطائفة﴿ مِنَ اللَّيْلِ ولا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ لا ينظر إلى ورائه ولا يتخلف﴿إِلاَّ امْرَأَتَكَ﴾ رفعه ابن كثير وابوعمرو بدلاً من (احد) ونصبه الباقون على الإستثناء من لا يلتفت، وفيه أنه على غير الأفصح، وجعله إستثناء من (فاسر بأهلك) ينافي قراءة الرفع ان فسّر الالتفات بالنظر إلى الوراء في السرى، ولا يصح حمل القراءتين على المتنافيين ـ وان كانا مرويين ـ إذ قيل: تخلفت، وقيل: خرجت والتفتت فقالت: وا قوماه فأتاها حجر فقتلها﴿ إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ﴾ من العذاب، و(ما) فاعل سدّ مسدّ الخبر﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ﴾ جعله خبراً ـ لا ظرفاً ـ لأنه الموعد﴿ أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ تسلية له (ع): حيث قال أهلكوهم الساعة، روي: إنه

قال متى موعد أهلاكهم؟ قالوا: الصبح، فقال: أريد أسرع من ذلك لضيق صدره بهم فقالوا: أ ليس... إلخ، وعن الباقر (ع): فأسر بأهلك يا لوط إذا مضى لك من يومك هذا سبعة أيام ولياليها بقطع من الليل إذا مضى نصف الليل، فلما كان اليوم الثامن من طلوع الفجر قدم الله رسلاً إلى ابراهيم يبشرونه بإسحاق ويعزونه بهلاك قوم لوط، وذلك قوله: (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى).

[سورة هود الآيات ٨٢ - ٨٨]

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا

نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

﴿ فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا﴾ عذابنا، أو أمرنا به﴿ جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها﴾ أي: قلبنا مدينتهم أسفلها أعلاها﴿ وأَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ معرب(سنك كل) أي: طين متحجر، وقيل: هو الآجر، وقيل: إنه (فعيل) من أسجله أي: أرسله﴿ مَنْضُودٍ﴾ متتابع بعضه على أثر بعض﴿ مُسَوَّمَةً﴾ معلمة للعذاب، أو باسم من يرمى بها﴿ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ في قدرته ﴿ وما هِيَ﴾ أي: الحجارة ﴿ مِنَ الظَّالِمينَ﴾ من أمتك يا محمد (ص) ﴿ بِبَعيدٍ﴾ تهديد لقريش، وروي: ان جبرئيل اقتلع مدينتهم بجناحه من سبعة أرضين، ثم رفعها حتى سمع أهل سماء الدنيا نباح الكلاب وصراخ الديوك، ثم قلبها وأمطر عليها وعلى من حول المدينة حجارة من سجّيل﴿ وَ﴾ أرسلنا﴿ إلى مَدْيَنَ﴾ أي: أهلها اسم القبيلة، أو البلدة التي بناها مدين بن ابراهيم﴿ أخاهُمْ﴾ نسباً﴿ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ﴾ مرّ تفسيره في الأعراف، وغيرها﴿ ولا تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ والْمِيزانَ﴾ كانوا مع شركهم ينقصون حقوق الناس بالتطفيف ﴿ إِنِّي أَراكُمْ بِخَيْرٍ﴾ بسعة تغنيكم عن البخس، أوبنعمة فلا تزيلوها به﴿ وإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن لم تتوبوا﴿ عَذابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ لا يفلت منه أحد منكم، و وصف (اليوم) به وهوصفة العذاب لوقوعه فيه﴿ ويا قَوْمِ أَوْفُوا﴾ أتمّوا﴿ الْمِكْيالَ والْمِيزانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل.

صرّح بالأمر بالإيفاء بعد النهي عن ضدّه مبالغة وتنبيهاً على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الإيفاء، عن النبي (ص): إذا طفف المكيال والميزان أخذهم الله بالسنين والنقص وشدة المؤنة وجور السلطان ﴿ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم حقوقهم المقدرة وغيرها﴿ ولا تَعْثَوْا﴾ لا تفسدوا ﴿ فِي الارْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بالشرك والبخس وغيرهما، حال مؤكدة﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾ ما أبقاه لكم من الحلال بعد إيفاء الحق، أوطاعته﴿ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ مما تأخذون بالبخس ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ شرط الإيمان في كونه خيراً لهم لأنهم إذا كانوا مؤمنين يعرفون صحة هذا القول، أولان الثواب والنجاة من العقاب لا يحصلان إلا بالإيمان أوالمعنى: طاعة الله خير لكم من جميع الدنيا كما في قوله: والباقيات الصالحات خير﴿ وما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ احفظ أعمالكم فاجازيكم بها أوأحفظكم منها وإنما أنا نذير. روي: أول ما ينطق به القائم حين يخرج هذه الآية(بقية الله خير لكم...) إلخ﴿ قالُوا﴾ تهكماً ﴿ يا شُعَيْبُ أَ صَلاتُكَ﴾ بالجمع فانه كان كثير الصلاة وأفردها حمزة والكسائي وحفص ﴿ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا﴾ من الأصنام، جواب أمرهم بالتوحيد ﴿ أوأَنْ نَفْعَلَ﴾ أي: أونترك فعلنا﴿ فِي أَمْوالِنا ما نَشؤُا﴾ من البخس، جواب نهيهم عنه وأمرهم بالإيفاء ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قالوا ذلك إستهزاءً وأرادوا به ضده ﴿ قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ﴾ بيان وبصيرة ﴿ مِنْ رَبِّي ورَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً﴾ مالاً حلالاً، وتقدير جواب الشرط أ فأكفر نعمه وأحزن في تبليغ رسالته ﴿ وما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ﴾ وأقصد إلى﴿ ما أَنْهاكُمْ عَنْهُ﴾ فأرتكبه﴿ إِنْ أُرِيدُ﴾ بما آمركم به وأنهاكم عنه﴿ إِلاَّ الاصْلاحَ ﴾ لكم ديناً ودنياً﴿ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ مدة استطاعتي، أو القدر الذي استطعته﴿ وما تَوْفِيقِي﴾ تسهيل سبل الخير لي، وفتح الياء

نافع وابن عامر وابو عمرو﴿ إلاَّ بالله﴾ بلطفه﴿ عَلَيْه توَكّلْتُ﴾ به وثقت لا بغيره﴿ وإلَيْه أُنيبُ﴾ أرجع في المعاد، أو النوائب.

[سورة هود الآيات٨٩ - ٩٧]

وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ

يَغْنَوْا فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

﴿ ويا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِي﴾ لا يكسبنكم خلافي﴿ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أَصابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ من الغرق، وهو ثاني مفعولي (يجرم)﴿ أو قَوْمَ هُودٍ﴾ من الريح﴿ أو قَوْمَ صالِحٍ﴾ من الرّجفة﴿ وما قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ زماناً، أومكاناً، أو ديناً، فإن لم تعتبروا بغيرهم فاعتبروا بهم﴿ واسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي: طلبوا منه المغفرة ثم توصلوا إليه بالتوبة، أو استغفروا للماضي واعزموا للمستقبل، أو استغفروا علانية، ثم أضمروا الندامة على الماضي﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ بالتائبين﴿ وَدُودٌ﴾ محب لهم مريد لمنافعهم ﴿ قالُوا يا شُعَيْبُ ما نَفْقَهُ﴾ ما نفهم ﴿ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ﴾ وذلك لعدم إلقاء أذهانهم إليه، ولا نقبله ولا نعمل به، أوقالوه إستهانة بقوله﴿ وإِنَّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفاً﴾ بدناً، أو ذليلاً، أو أعمى﴿ ولَوْلا رَهْطُكَ﴾ عشيرتك﴿ لَرَجَمْناكَ﴾ لقتلناك بالحجارة، أولشتمناك وسببناك﴿ وما أَنْتَ عَلَيْنا بِعَزِيزٍ﴾ فتمنعنا عزتك عنك بل رهطك هم الأعزة علينا ﴿ قالَ يا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ فتتركون رجمي لأجلهم ولا تتركونه لله، وفتح الياء الحرميان وأبو عمرو وابن ذكوان وكذا ياء (اني)﴿ واتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي: الله ﴿ وَراءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ جعلتموه كالمنبوذ خلف الظهر فنسيتموه﴿ إِنَّ رَبِّي بِما تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ محص، لا يفوته شيء، أوخبير لا يخفى عليه شيء﴿ ويا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ ﴾ بالإفراد والجمع، أي: على غاية تمكنكم واستطاعتكم، أو على ناصيتكم وجهتكم التي أنتم عليها﴿ إِنِّي عامِلٌ﴾ على ما أمرني ربي ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ

عَذابٌ يُخْزِيهِ﴾ فسّر في سورة الأنعام﴿ وَمَنْ هُوَ كاذِبٌ﴾ عطف على (من يأتيه) أي: سوف تعلمون من العذاب[١] والكاذب مني ومنكم﴿ وارْتَقِبُوا﴾ انتظروا ما أعدكم به﴿ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظر﴿ ولَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا شُعَيْباً والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ روي: أن جبرئيل صاح بهم فزهق روح كل واحد منهم حيث هو﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ﴾ صرعى على وجوههم موتى﴿ كَأَنْ﴾ مخففة﴿ لَمْ يَغْنَوْا﴾ لم يقيموا﴿ فيها أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ ﴾ عن رحمة الله، أو إهلاكاً لهم﴿ كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ شبّهوا بهم لأنهم أهلكوا أيضاً بالصيحة لكن تلك من تحتهم﴿ ولَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا﴾ بمعجزاتنا﴿ وسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾ وحجة بينة باهرة هي العصا، أو غيرها من الآيات والمراد بهما واحد إذ المعجزة من جهة الإعتبار آية، ومن جهة القوة سلطان﴿ إلى فِرْعَوْنَ ومَلَائِهِ﴾ أشراف قومه الذين يملأ الصدور هيبتهم﴿ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ بالكفر بموسى وتركوا أمر الله﴿ وما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ بسديد، لأنه داعٍ إلى الشر، وصادٌّ عن الخير.

[سورة هود الآيات٩٨ - ١٠٨]

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا

(١) لابد أن يكون في الجملة سقط. ولعلها (من يأتيه العذاب).

ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾ يتقدمهم ﴿يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ حتى يهجم بهم على النار كما هو قدره لهم في الضلال في الدنيا ﴿فَأَوردَهُمُ النَّارَ﴾ عبّر بالماضي لتحققه، وسمّى دخولها (ورداً) تنزيلاً لها منزلة الماء ﴿وبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ المورود الذي وردوه عطاشاً لإحياء نفوسهم النار، والآية بيان لقوله: (وما أمر فرعون برشيد) وانّما اطلق لفظ (بئس) ـ وان كان عدلاً حسناً ـ لما فيه من البؤس والشدّة ﴿وأُتبِعُوا فِي هذِهِ الدنيا

لَعْنَةً﴾ وهي: الغرق﴿ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ ولعنته يوم القيامة وهي عذاب الآخرة﴿ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ العون المعان رفدهم وهواللغتان﴿ ذلِكَ﴾ النبأ﴿ مِنْ أَنْباءِ الْقُرى﴾ المهلكة﴿ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْها قائِمٌ﴾ من تلك القرى باق كالزرع القائم﴿ و﴾ منها ﴿ حَصِيدٌ﴾ عافي الأثر، وعن الصادق (ع): انه قرأ فمنها قائماً وحصيداً بالنصب، قال: لا يكون الحصيد الا بالحديد﴿ وما ظَلَمْناهُمْ﴾ بإهلاكهم﴿ ولـكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بكفرهم الموجب له﴿ فَما أَغْنَتْ﴾ دفعت﴿ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ﴾ أو ثانهم ﴿ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بإهلاكهم﴿ وما زادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ غير الهلاك والخسارة، وأضيف إلى الأصنام لأنها السبب في ذلك﴿ وكَذلِكَ﴾ مثل ذلك الأخذ﴿ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى﴾ أي: أهلها﴿ وهِيَ ظالِمَةٌ﴾ حال﴿ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ وجيع صعب، عن النبي (ص): ان الله يمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم تلا الآية﴿ إِنَّ فِي ذلِكَ﴾ الذي قصصنا عليك من الأمم الهالكة﴿ لَآيَةً﴾ لعبرة﴿ لِمَنْ خافَ عَذابَ الْآخِرَةِ﴾ لمن خشي عقوبة الله يوم القيامة. وخص الخائف لأنه المنتفع بالتفكر فيه﴿ ذلِكَ﴾ العذاب﴿ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ﴾ اليوم[1] ﴿ النَّاسُ﴾ لما فيه من الحساب والجزاء﴿ وذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ يشهده أهل السماء والأرض﴿ وما نُؤَخِّرُهُ﴾ أي: اليوم، وقرأ يعقوب بالياء﴿ إِلاَّ لِأَجَلٍ﴾ لإنقضاء أجل﴿ مَعْدُودٍ﴾ متناه ﴿ يَوْمَ يَأْتِ﴾ حين يأتي اليوم، أو الجزاء، وحذف ابن عامر وعاصم وحمزة الياء ﴿ لا تَكَلَّمُ﴾ تكلم ﴿ نَفْسٌ﴾ بما ينفع كشفاعة وغيرها﴿ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ تعالى في موقف ولا يؤذن لهم فيعتذرون في آخر، أو الأذن في الحق والمنع في الباطل﴿ فَمِنْهُمْ﴾ أي: الخلق﴿ شَقِيٌّ﴾ بسوء عمله﴿ وسَعِيدٌ﴾ بحسن عمله﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ بأعمالهم

---

(١) الظاهر أنها (لليوم).

القبيحة﴿ فَفِي النَّارِ﴾ استحقوها جزاءً لأعمالهم﴿ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ﴾ صوت شديد ﴿ وشَهِيقٌ﴾ صوت ضعيف ويقالان لأول النهيق وآخره﴿ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ والأَرْضُ ﴾ أي: مدة دوامهما في الدنيا، أريد به التأبيد على عادة العرب، لا إرتباط دوامهم في النار بدوامهما، للنص على تأبيدهم وزوالهما﴿ إلاّ ما شاءَ رَبُّكَ﴾ (الا) بمعنى: سواء مثل لك الألف لا الفان سبقا، أي: سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا منتهى لها على مدّتهما، والمعنى: خالدين فيها أبداً أو استثناء من خلودهم في النار لأنّ منهم فسّاق الموحدين وهم يخرجون منها. ويصحّ الإستثناء بذلك لزوال حكم الكل بزواله عن البعض وهم المستثنى في الآية إذ يفارقون الجنة وقت عذابهم فقد شقوا بعصيانهم وسعدوا بإيمانهم، فجمعوا الوصفين باعتبارين﴿ إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لما يُرِيدُ﴾ لا مانع له﴿ وأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا﴾ وبناه حمزة والكسائي وحفص للمفعول من (سعده) أي: أسعده﴿ فَفِي الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ والارْضُ إلاّ ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً﴾ نصب مصدراً﴿ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ مقطوع، تصريح بعدم إنقطاع الثواب ويؤيد التأويل الأول.

[سورة هود الآيات١٠٩ - ١٢٣]

فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ

رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن
تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا
تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ
ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ
ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ
أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا
مِنْهُمْۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾
وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾
وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾
إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ
جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ
ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

﴿ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ في شك﴿ مِمَّا يَعْبُدُ هؤُلاءِ﴾ من الأوثان، في أن عبادتها ضلال، أو من عبادتهم في أنها تجرّ إلى النار﴿ ما يَعْبُدُونَ إلاّ كَما يَعْبُدُ آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ كالذي عبدوه من الأوثان، أوكعبادتهم وسيحل بهم ما حلّ بآبائهم﴿ وإِنّا لَمُوَفُّوهُمْ﴾ كآبائهم﴿ نَصيبَهُمْ﴾ حظهم من العذاب﴿ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ حال، أي: تاماً ﴿ ولَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ﴾ التوراة﴿ فَاخْتُلِفَ فيهِ﴾ من مصدّق به ومكذّب كاختلاف قومك في القرآن، فلا تحزن﴿ ولَولا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بالإمهال إلى يوم القيامة﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الحال بإهلاك المبطل وإنجاء المحقّ﴿ وإِنَّهُمْ﴾ أي: الكفرة﴿ لَفي شَكٍّ مِنْهُ ﴾ من القرآن﴿ مُريبٍ﴾ موقع للريبة، وهي أقوى الشك﴿ وإِنَّ كُلاً ﴾كل المختلفين، مصدّقهم ومكذّبهم، وخفّفها عاملة بن كثير ونافع وأبوبكر ﴿ لَمّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ إحدى اللامين موطئة للقسم والأخرى مؤكدة، و(ما) زيدت للفصل بينهما وشدّدها ابن عامر وعاصم وحمزة على ان أصله: (لمن ما) قلبت النون ميماً لتدغم وحذفت أولى الميمات، أي: لمن الذين يوفينهم﴿ رَبُّكَ أَعْمالَهُمْ﴾ أي: جزاؤها﴿ إِنَّهُ بِما يَعْمَلُونَ خَبيرٌ﴾ لا يخفى عليه شيء﴿ فَاسْتَقِمْ﴾ على الدين والعمل به والدّعاء﴿ كَما أُمِرْتَ﴾ في القرآن ﴿ ومَنْ﴾ عطف على ضمير (استقم) ولم يؤكد للفصل، أو مفعول معه﴿ تابَ ﴾ من الشرك وآمن﴿ مَعَكَ ولا تَطْغَوْا﴾ تتعدوا حدود

الله﴾ ﴿إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يجازيكم عليه، وهوفي معنى. التعليل بالأمر والنهي ويدل على وجوب إتباع المنصوص من غير تصرّف وانحراف. وعن الصادق (ع): (فاستقم كما أمرت) أي: افتقر إلى الله بصحة العزم. وعن ابن عباس: ما نزلت آية كانت أشق على رسول الله (ص) من هذه الآية، ولهذا قال: شيبتني هود والواقعة ﴿ولا تَرْكَنُوا﴾ تميلوا﴿ إلى الَّذينَ ظَلَمُوا﴾ بمودة، أو طاعة، أو نصح﴿ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ بركونكم إليهم. عنهم (ع): ان الركون: المودّة و النصيحة و الطاعة. وعن الصادق (ع): هو الرجل يأتي السلطان فيحب بقاءه إلى أن يدخل يده كيسه فيعطيه ﴿ وما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أولياءَ﴾ أنصار يدفعون عذابه عنكم﴿ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ أصلاً إذا وعدكم بالعذاب ولا دافع له. فـ(ثم) بمنزلة الفاء﴿ وأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ﴾ منصوب على الظرف، أي: غدوة وعشية، صلاة الصبح والمغرب، أو الظهر، أو العصر، أو الظهرين إذ ما بعد الزوال عشي﴿ وزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ﴾ ساعات منه قريبة من النهار، أي: صلاة العشاء، أو العشاءين. وعن الباقر (ع): طرفه المغرب والغداة و(زلفاً من الليل) صلاة العشاء الآخرة﴿ إِنَّ الْحَسَناتِ﴾ أي: الصلوات الخمس، أو الطاعات ﴿ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ﴾ يكفرنها، أو يدعون إلى تركها﴿ ذلكَ﴾ المذكور من فاستقم إلى هنا﴿ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ﴾ عظة للمتذكرين. في النبوي: إن الصلاة إلى الصلاة كفّارة ما بينهما ما اجتنب الكبائر. وفي المرتضوي: إن الله يكفّر بكل حسنة سيئة، ثم تلا الآية. وفي الصادقي ـ في الآية ـ: صلاة المؤمنين بالليل تذهب بما عمل من ذنب بالنهار﴿ واصْبِرْ﴾ على الصلاة، كما قال: (واصطبر عليها) أو على الطاعات، أو على أذى قومك﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنينَ﴾ الصابرين على الطاعة وترك المعصية، وعدل عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود﴿ فَلَولا كانَ﴾ فهلاّ كان، ومعناه:

النفي، وتقديره: لم يكن ﴿ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم الماضية﴿ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ أصحاب دين، أو خير، أو فضل، أو قوم باقون﴿ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسادِ فِي الأَرْضِ﴾ أي: كان يجب منكم[1] قوم بهذه الصفة﴿ إلاَّ﴾ منقطع، أي: لكن﴿ قَليلاً مِمَّنْ أَنجَيْنا مِنْهُمْ﴾ نهوا عنه فأنجيناهم، و(من) بيانية ﴿ واتَّبَعَ الَّذينَ ظَلَمُوا﴾ بالفساد وترك النهي عنه ﴿ ما أُتْرِفُوا﴾ ما نعموا﴿ فيهِ﴾ من اللذات﴿ وكانُوا مُجْرِمينَ﴾ كافرين. كأنه سبحانه أراد بيان سبب استئصال الأمم السالفة وهو نشوء الظلم فيهم واتباع الهوى وترك النهي عن المنكرات، وقوله: (واتبع) عطف على محذوف أي: فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا﴿ وما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ ﴾ منه لها ﴿ وأهلها مُصْلِحُونَ﴾كما قال: (ان اللّه لا يظلم الناس شيئاً)[2] أو المعنى: لا يؤاخذهم بظلم واحد منهم مع أن أكثرهم مصلحون، أو لا يهلكهم بشركهم وظلمهم لأنفسهم وهم يتعاطون الحق بينهم. وعن النبي (ص): وأهلها مصلحون ينصف بعضهم من بعض﴿ ولَوشاءَ رَبُّكَ﴾ مشية حتم وجبر﴿ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً﴾ في الإيمان، لكن جبرهم يبطل الغرض من التكليف وهو استحقاق الثواب فلذلك لم يشأ بل شاء أن يؤمنوا باختيار مشية طلب الإكراه، أوالمعنى: لوشاء لرفع الخلاف بينهم﴿ ولا يَزالُونَ مُخْتَلفينَ﴾ في الدين بين محقّ ومبطل﴿ إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ من المؤمنين، فإنهم مجتمعون على الحق بلطف اللّه بهم﴿ ولِذلِكَ﴾ وللرحمة﴿ خَلَقَهُمْ﴾ أو لاتفاقهم في الإيمان أمة واحدة (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)[3] وقيل: الإشارة إلى الإختلاف و(اللام) للعاقبة أي: ان اللّه

---

(١) وردت هكذا، وحق العبارة أن يقال: (وكان يجب أن يكون منكم).

(٢) سورة يونس الآية ٤٤

(٣) سورة الذاريات الآية ٥٦

خلقهم وعلم أن عاقبتهم تؤل إلى الإختلاف، وعن الصادق (ع): كانوا أمة واحدة فبعث اللّه النبيين ليتخذ عليهم الحجة. وعنه (ع): خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمته فيرحمهم. وعنه (ع): ـ في الآية ـ الناس يختلفون في إصابة القول وكلهم هالك إلا من رحم ربك وهم شيعتنا ولرحمته خلقهم﴿ وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وجب قوله، أو مضى حكمه﴿ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ بكفرهم، القمي: هم الذين سبق الشقاء لهم فحق عليهم القول أنهم للنار خلقوا، وهم الذين حقت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون﴿ وكُلاًّ﴾ أي: كل القصص، أو كل ما تحتاج إليه وناصبه ﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما﴾ (ما) بدل من (كلاً)﴿ نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ﴾ نقوي به قلبك ونزيدك ثباتاً على التبليغ واحتمال أذى قومك﴿ وجاءَكَ فِي هذِهِ﴾ السورة، أو الأنباء﴿ الْحَقُّ ومَوْعِظَةٌ وذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصّوا بالذكر لأنهم المنتفعون بتدبرها﴿ وقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ﴾ حالكم الذي أنتم عليه﴿ إِنَّا عامِلُونَ وانْتَظِرُوا﴾ عقوبة كفركم﴿ إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ ثواب إيماننا﴿ ولِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ والأَرْضِ﴾ له وحده علم ما غاب فيهما﴿ وإِلَيْهِ يُرْجَعُ ﴾ يعود وبناه نافع وحفص للمفعول أي: يردّ ﴿ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ لا يشركه فيه أحد﴿ فَاعْبُدْهُ﴾ وحده﴿ وتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ثق به فانه كافيك ﴿ وما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بل هو يحصيه ويجازيهم به. وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالخطاب.

تمت ـ ولله الحمد ـ سورة هود وتفسيرها.

سورة يوسف

مائة وإحدى عشرة آية، مكية.

[الآيات ١ - ٤]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾

عن الصادق (ع): من قرأها في كل يوم، أو في كل ليلة بعثه الله يوم القيامة وجماله على جمال يوسف ولا يصيبه فزع يوم القيامة وكان من خيار عباد الله الصالحين وأمن في الدنيا أن يكون زانياً أو فحاشاً وعن علي (ع): لا تعلموا نساءكم سورة يوسف ولا تقرءوهن إياها فان فيهن الفتن وعلّموهن سورة النور فان فيها المواعظ﴿ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الر﴾ مرّ تفسيره﴿ تِلْكَ﴾ أي: الآيات﴿ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ﴾ السورة، أو القرآن البين الإعجاز، أو المبين له﴿ إِنَّا أَنزلناهُ﴾ أي: الكتاب﴿ قُرْآناً﴾ يقال للبعض والكل، وهو حال، أو توطئة للحال وهي: ﴿ عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لتفهموه، أو لتعلموا انّه من عند الله بعجزكم عن

معارضته﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ أحسن المقصوص لتضمنه حكَماً وعِبراً، مفعول (نقص) أو أحسن الإقتصاص في الأسلوب، مصدر﴿ بما أوحَيْنا﴾ بإيحائنا﴿ إِلَيْكَ هذاَ الْقُرْآنَ﴾ أي: السورة، أو الكل﴿ وإِنْ﴾ مخففة﴿ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ﴾ عن الحِكَم التي في القرآن، أو عن هذه القصة، أو الأعم من ذلك أي: لا تعلم شيئا منه﴿ إِذْ﴾ بدل من أحسن القصص ان جعل مفعولاً، أو منصوب بإضمار (إذكر) لا بـ(نقص) لأنه تعالى لم يقص على نبيه وقت قول﴿ قالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ﴾ يعقوب، إسرائيل الله أي: عبد الله الخالص بن إسحاق نبي الله بن ابراهيم خليل الله، و(يوسف) عبري، ولوكان عربياً لصرف﴿ يا أَبَتِ﴾ (التاء) عوض عن ياء الإضافة المحذوفة وكسرها لمناسبة الياء، وفتحها ابن عامر لمناسبة الألف المحذوفة المقلوبة عن الياء و وقف ابن كثير وابوعمرو بالهاء﴿ إِنِّي رَأيتُ﴾ في منامي﴿ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً والشَّمْسَ والْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ﴾ كرّره للتأكيد، أو لإطالة الكلام، أولان المراد بالرؤية الأولى: رؤية الأعيان، وبالثانية: رؤية سجودهم، أو الأولى: من الرؤيا والثانية: من الرؤية، ولم يقل (ساجدات) لأنّه أجراها مجرى العقلاء. وفي النبوي: انّ اسماء الكواكب حوبان والطارق والذبال وذوالكتفين وقابس و وثاب وعموذان والفلق والمصبح والصّدوح وذوالفروع والضياء والنور يعني: الشمس والقمر. وعن الباقر (ع): تأويل هذه الرؤيا انّه سيملك مصر ويدخل عليه أبواه وأخوته، أما الشمس فانه امّ يوسف راجيل، والقمر: يعقوب، وأما الأحد عشر كوكباً فإخوته.

[سورة يوسف الآيات ٥ - ١٤]

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝١٠ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ

عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

﴿ قالَ يا بُنَيَّ﴾ فتح الياء حفص وكسرها غيره مصغر (ابن) تصغير شفقة ﴿ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً﴾ فيحتالوا لإهلاكك حيلة، ولذا عدي بـ(اللام) ﴿ إِنَّ الشَّيْطانَ لِلإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ظاهر العداوة فيحملهم على الحسد والكيد﴿ وكَذلِكَ﴾ الإجتباء لهذه الرؤيا الدالة على تفوقك﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ يختارك للنبوة، أو لحسن الخَلْق والخُلُق، أوللمُلْك﴿ ويُعَلِّمُكَ﴾ كلام خارج عن التشبيه، أي: وهويعلمك﴿ مِنْ تَأْوِيلِ الاحادِيثِ﴾ من تعبير الرؤيا، لأنها أحاديث الملك إن كانت صادقة، وأحاديث النفس والشيطان إن كانت كاذبة، أو من تأويل غوامض أحاديث كتب الله وسنن الأنبياء وكلمات الحكماء، أو من عواقب الأمور بالوحي إليك فتعلم الأشياء قبل كونها معجزة لك لأنه أضاف التعليم إلى الله﴿ ويُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة﴿ وعَلى آلِ يَعْقُوبَ﴾ أهله ونسله بأن يثبتهم على الإسلام، ويشرفهم بمكانك، ويجعل فيهم النبوة﴿ كَما أَتَمَّها عَلى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْراهِيمَ وإِسْحاقَ﴾ بيان لأبويك ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بمن يصلح للنبوة﴿ حَكِيمٌ﴾ في صنعه﴿ لَقَدْ كانَ فِي يُوسُفَ وإِخْوَتِهِ﴾ في خبرهم، وهم أحدعشر﴿ آياتٌ﴾ عبَر عجيبة، ودلائل لنبوتك، و وحّدها ابن كثير﴿ لِلسَّائِلِينَ﴾ عن خبرهم كاليهود إذ قالوا للمشركين: سلوا محمداً (ص) عن قصة يوسف﴿ إِذْ قالُوا﴾ أي: اذكر إذ قال بعض اخوته لبعض﴿ لَيُوسُفُ وأَخُوهُ﴾ لأبويه[1] بنيامين ولذا خص بالأخوة﴿ أَحَبُّ إِلى أَبِينا مِنَّا ﴾ إنما أفرد ولم يقل (أحبّان)

---

(١) أي: اخوه من أمه وأبيه . ويقال له في اللغة العربية(الشقيق).

لأنه يستوي فيه الإفراد ومقابلاه والتذكير ومقابلاه. قيل: كان يعقوب شديد الحب ليوسف لما يرى فيه من شمائل النبوة، وكان من أحسن الناس وجهاً فحسدوه، ثم رأى الرؤيا فاشتد حسدهم له﴿ ونَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ والحال اننا جماعة. ويقال للعشرة فما زاد﴿ إنَّ أبانا لَفِي ضَلالٍ مُبينٍ﴾ عن التدبير في أمر الدنيا بإيثارهما علينا ونحن أنفع له﴿ اقْتُلوا يُوسُفَ أو اطْرَحُوهُ أرْضاً﴾ في أرض بعيدة. ونصبت ظرفاً لإبهامها، قاله شمعون أود أن ﴿ يَخلُ لكُمْ﴾ بالجزم في جواب الأمر﴿ وَجْهُ أبيكُمْ﴾ عن يوسف وتخلص لكم محبته ولا يلتفت إلى غيركم﴿ وتَكُونُوا مِنْ بَعْدِه﴾ من بعد قتله، أو غيبته﴿ قَوْماً صالِحِينَ﴾ بالتوبة عمّا فعلتم، أو في أمر دنياكم، أو مع أبيكم وعن السجّاد: أي: تتوبون﴿ قالَ قائلٌ مِنْهُمْ﴾ قيل: هو روبيل بن إسحاق ابن خالة يوسف، وقيل: يهودا وكان أقدمهم في الرأي: والفضل وأسنّهم. والقمي: هولاوي﴿ لا تَقْتُلوا يُوسُفَ﴾ فان القتل عظيم﴿ وألْقُوهُ في غَيابَتِ الْجُبِّ﴾ قعر البئر المغيب ما فيه عن الحسّ وجمعها نافع في الموضعين﴿ يَلْتَقِطْهُ﴾ يأخذه﴿ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ مارّة الطريق والمسافرين﴿ إنْ كُنْتُمْ فاعلينَ﴾ شيئاً ممّا قلتموه﴿ قالُوا يا أبانا ما لَكَ لا تأمَنَّا﴾ بالإدغام والإشمام وقالون[1]: لايسأم﴿ عَلى يُوسُفَ﴾ لم تتهمنا في أمره﴿ وإنَّا لَهُ لَناصِحُونَ﴾ عاطفون عليه قائمون بمصالحه﴿ أرْسِلْهُ مَعَنا غَداً﴾ إلى الصحراء﴿ يَرْتَعْ﴾ ننعم ونأكل﴿ ويَلْعَبْ﴾ بالرمي والإستباق، بالنون فيهما وجزم العين لأبي عمرو وابن عامر وكذا ابن كثير لكن بكسرها من (ارتعى) كنافع بالياء فيهما وبالياء والجزم للكوفيين﴿ وإنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾ حتى نردّه إليك﴿ قالَ إنِّي لَيَحْزُنُني أنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾

---

(١) قالون: اسم لأحد القراء.

وتغيبوه عنّي، وفتح الحرميان ياءه الأخيرة﴿ وأخافُ أنْ يأكُلَهُ الذئبُ﴾ وكانت أرضهم مذأبة، ولم يهمزه السوسي وورش والكسائي﴿ وأنتمْ عَنْهُ غافلُونَ﴾ مشغولون بأشغالكم﴿ قالُوا لَئِنْ﴾ (اللام) موطئة للقسم﴿ أكَلَهُ الذئبُ ونَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ ولم نمنعه منه﴿ إنَّا إذاً لَخاسِرُونَ﴾ عجزة ضعفاء، فأرسله معهم. عن النبي (ص): لا تلقنوا الكذب فتكذبوا فان بني يعقوب لم يعلموا ان الذئب يأكل الإنسان حتى لقنهم أبوهم، وعن الصادق (ع): قرب يعقوب لهم العلّة فاعتلّوا بها في يوسف.

[سورة يوسف الآيات ١٥ - ٢٢]

فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۢ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن

مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾ هنا حذف أي: فأرسله معهم فلما ذهبوا به عظمت فتنتهم ﴿ وأَجْمَعُوا﴾ عزموا جميعاً على﴿ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِّ﴾ وجواب (لما) مقدّر أي: فعلوا ذلك قيل لمّا خرجوا به جعلوا يضربونه وهويستغيث وهمّوا بقتله فمنعهم يهودا فمضوا به إلى الجب فدلوه فيه فتعلق بشفيره، فنزعوا قميصه فسألهم ردّه، فقالوا: قل للكواكب والشمس والقمر تواريك، فلما بلغ نصفه ألقوه فسقط في الماء، فآوى إلى صخرة، وكان ابراهيم حين قذف في النار عرياناً أتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة وألبسه إياه، وورثه إسحاق، ثم يعقوب فجعله في تعويذ وعلّقه على يوسف فجاءه جبرئيل فأخرجه وألبسه إياه﴿ وأوحَيْنا إلَيْه﴾ في الجب إيناساً له وأعطاه ـ على صغره ـ النبوة والبشارة بالنجاة والملك﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا﴾ لتخبرنهم بقبح فعلهم كما قال لهم: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه؟﴿ وهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ إنك أنت يوسف ـ كما عن الباقر وعن السجّاد (ع)ـ انه كان ابن تسع سنين حين أُلقي في الجبّ، وعن الصادق (ع): سبع سنين﴿ وجاؤُ أباهُمْ عِشاءً﴾ ليلاً، أوآخر النهار، ليلبسوا على أبيهم وليكونوا أجرأ على الإعتذار﴿ يَبْكُونَ﴾ متباكين ليوهموا انهم صادقين، قيل: لمّا سمع بكاءهم فزع وقال: ما لكم؟﴿ قالُوا يا أبانا إنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ﴾ نشد ونعدوعلى الأقدام لننظر أيّنا أسبق، أوننتصل ونترامى فننظر أيّ السهام أسبق إلى

الغرض﴿ وتَرَكْنا يُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنا﴾ ليحفظه﴿ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ بمصدّق لَنا ولَو كُنَّا صادِقِينَ﴾ لاتهامك لنا﴿ وَجاؤُ عَلى قَمِيصِهِ﴾ في محل نصب على الظرفية أي: فوقه ﴿ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ وصف به مبالغة، أو ذي كذب، أو مكذوب فيه قالوا: هذا دم يوسف وذهلوا أن يمزقوه، عن الباقر (ع): ذبحوا جدياً على قميصه، وعن الصادق (ع): قال يعقوب: اللهم لقد كان ذئباً رفيقاً حين لم يشق القميص ﴿ قالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زيّنت﴿ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ عملتموه، من (التسويل) وهو: تزيين الشيء وتحسينه، أو سهّلته لكم، قال ذلك بوحي، أو بحدس صائب﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ لا جزع فيه، خبر لمبتدأ محذوف أي: أمري، أو العكس أي: أجمل، وفي المستفيض: الصبر الجميل: الذي لا شكوى فيه إلى الخلق﴿ وَاللَّهُ الْمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ﴾ من هلاك يوسف. عن السجاد (ع): انه لما سمع مقالتهم استرجع واستعبر وذكر ما أوحى الله إليه من الإستعداد للبلاء بسبب غفلته عن إطعامه الجار الجايع، فقال لهم: بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً وما كان الله ليطعم لحم يوسف للذئب من قبل أن رأى تأويل رؤياه الصادقة﴿ وجاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ مسافرون من مدين إلى مصر بعد إلقائه في الجب بثلاث، فنزلوا قريباً منه﴿ فَأَرْسَلُوا وارِدَهُمْ﴾ الذي يرد الماء ويستقي لهم ﴿ فَأَدْلى﴾ أرسل في الجب﴿ دَلْوَهُ﴾ فتعلق بها يوسف، فلما رآه ﴿ قالَ يا بُشْرى﴾ بفتح الياء وحذفها الكوفيون واما فتحة الراء حمزة والكسائي والنداء مجاز أي: احضري فهذا وقتك﴿ هذا غُلامٌ وأَسَرُّوهُ﴾ أي: واجدوه، أخفوا أمره عن رفقتهم وقالوا: دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم، أو أسرّه أخوته حين علموا به، فقالوا: هذا عبدنا آبق[1] وهددوه على تكذيبهم، فسكت خوفاً أن يقتلوه﴿ بِضاعَةً﴾ حال﴿ واللَّهُ عَلِيمٌ

---

(١) أي: هارب.

بما يَعْمَلُونَ﴾ مماأسروه من كيد إخوته﴿ وشَرَوْهُ ﴾ باعوه، أي: أخوته﴿ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ ناقص، أو زيوف[١] أوحرام﴿ دَراهِمَ﴾ بدل من (ثمن)﴿ مَعْدُودَةٍ﴾ قليلة، عشرين أو ثمانية وعشرين، والبائع له: أخوته، أو الواجدون﴿ وكانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ غير الراغبين فيه ولا في ثمنه، لأن الباعث لهم على بيعه أن لا يظهر فعلهم. و(اللام)إن جعلت للتعريف تعلّق فيه بـ(الزاهدين) وإن جعلت موصولاً تعلّق بمحذوف يبيّنه (الزاهدين) لأن متعلق الصلة لا يتقدم الموصول. عن الصادق والرضا(ع): كانت عشرين درهماً، وروي: ثمانية عشر درهماً، وحملوه إلى مصر وباعوه من عزيز مصر، وكان بين منزل يعقوب وبين مصر إثنا عشر يوماً﴿ وقالَ الَّذي اشْتَراهُ مِنْ أهلِ مِصْرَ﴾ العزيز وهو: قطفير خليفة الملك وخازنه والملك ريّان بن الوليد من العمالقة آمن بيوسف ومات في عصره، وفرعون موسى من ولده﴿ لامْرَأَتِه﴾ راعيل، ولقبها (زليخا) ﴿ أَكْرِمي مَثْواهُ﴾ مقامه عندنا﴿ عَسى أنْ يَنْفَعَنا﴾ في أمورنا، أو أن نبيعه فنربح بثمنه ﴿ أونَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾ كان عقيماً لا ولد له، وتفرّس منه الرشد، فأكرموه وربّوه، فلما بلغ أشدّه هوته امرأة العزيز، وكانت لا تنظر إلى يوسف إمرأة الا هوته، ولا رجل إلا أحبّه، وكان وجهه مثل القمر ليلة البدر﴿ وكَذلِكَ﴾ أي:كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز﴿ مَكَّنّا لِيُوسُفَ فِي الارْضِ﴾ أرض مصر ليقيم العدل فيها﴿ ولِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْويلِ الاحاديثِ﴾ مرّ تفسيره﴿ واللّهُ غالِبٌ عَلى أمْرِه﴾ لا يغلبه شيء على مراده، أو على أمر يوسف بتدبيره حتى يبلغه ما قدر له﴿ ولكِنَّ أكثر النّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك﴿ ولَمّا بَلَغَ أشُدَّهُ﴾ كمال شدته وقوّته وهو: ثماني عشرة سنة ـ كما عن الصادق (ع)ـ ﴿ آتَيْناهُ حُكْماً﴾ بين الناس﴿ وعِلْماً﴾ وعملاً به، أو نبوّة وشريعة، أو علماً بتعبير الرؤيا، أو فقهاً

---

(١) مغشوشة. من (زافت) النقود زيفاً وزيوفة وزيوفاً: إذا ظهر فيها غش ورداءة.

في الدين﴿ وكَذلكَ﴾ الجزاء له﴿ نَجْزِي الْمُحْسِنينَ﴾ في أعمالهم، وفيه إشارة إلى إنه إنما أوتي ذلك لإحسانه.

[سورة يوسف الآيات ٢٣ - ٣٠]

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِ

إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾

﴿ وراودَتْهُ الَّتي هُو في بَيْتِها عَنْ نَفْسه﴾ طلبت منه أن يواقعها، والمراودة: المطالبة بأمر برفق ولين﴿ وغَلَّقَتِ الأَبوابَ﴾ قيل: انها سبعة وقيل باب الدار وباب البيت، والتشديد للتكثير، أو للمبالغة في الإيثاق﴿ وقالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ اسم فعل أي: هلمّ، أو أقبل. و(اللام) للتبيين، وضم ابن كثير التاء، وكسرها نافع وابن عامر الهاء وكذا هشام لكنه يهمز وعنه ضم التاء﴿ قالَ مَعاذَ اللّه﴾ أعوذ به معاذاً﴿ إِنَّهُ ربِّي﴾ أي: العزيز زوجك سيّدي ومالكي﴿ أَحْسَنَ مَثْواي﴾ مقامي بإكرامي، فلا أخونه في أهله، أوالضمير للّه أي: خالقي رفع محلي وآواني فلا أعصيه﴿ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظّالِمُونَ﴾ بالخيانة، أو الزنا، دلّ على أنه (ع): لم يهم بذلك لأن مَن هَمّ بالقبيح لا يقول ذلك ﴿ ولَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ الهمّ بالشيء: قصده والعزم عليه، أي: قصدت مخالطته﴿ وهَمَّ بِها﴾ مال طبعه إليها، فهمّته منازعة الشهوة الطبيعية لا القصد الاختياري، فلا قبح فيه إذ لا إختيار فيه، بل انما يمدح ويثاب من كفّ نفسه عن الفعل﴿ لَولا أَنْ رَأَى بُرْهانَ رَبِّهِ﴾ أي: لولا النبوة المانعة من القبيح لعزم وهمّ، أو همّ يوسف بضربها ودفعها عن نفسه لولا أن رأى البرهان أنه إن ضربها أهلكه أهلها. والبرهان: حجة اللّه في تحريم الزنا والعلم بالعقاب عليه، أو ما آتاه اللّه من آداب الأنبياء من العفّة والصيانة، أو النبوة، أو الحكمة الصارفة عن القبائح، أو الصنم التي ألقت عليه المرأة ثوباً استحياء منه فقال: كيف تستحين من جماد ولا أستحيي من القادر القاهر المطّلع على السرائر؟﴿ كَذلِكَ﴾ أريناه البرهان ﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ والْفَحْشاءَ﴾ الخيانة والزنا وقصدهما، نزّهه تعالى عن كل قبيح وأكّده بقوله: ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾

دينهم لله وفتحه نافع والكوفيون أي: المختارين للنبوة، وهذه شهادة من الله بطهارته وكذا المرأة لقوله: (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) وقالت: (الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه) وكذا زوجها لقوله: (انه من كيدكن ان كيدكن عظيم) وكذا النسوة لقولهن: (امرأة العزيز ترود فتاها عن نفسه) وقولهن: (حاش لله ما علمنا عليه من سوء) وكذا الشهود لقوله: (وشهد شاهد من أهلها) وكذا إبليس لقوله: (فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين)[1] فمن نسب إلى يوسف الفاحشة فقد خالف الجميع﴿ واسْتَبَقَا الْبابَ﴾ تسابقا إليه: هوللهرب، وهي: لتمسكه، فلحقته وجذبته﴿ وقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ شقته طولاً من خلفه﴿ وأَلْفَيا سَيِّدَها﴾ وجدا زوجها﴿ لَدَى الْبابِ قالَتْ﴾ له تبرأة لنفسها وإغراء له به: ﴿ ما﴾ نافية، أو استفهامية أي: أيّ شيء ﴿ جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأهلكَ سُوءاً﴾ خيانة﴿ إلاّ أَنْ يُسْجَنَ﴾ إلا سجن أي: حبس﴿ أوعَذابٌ أَلِيمٌ﴾ ضرب مؤلم، قيل: لوصدقت في حبّها لم تقل ذلك ولآثرته على نفسها، ولكن حبّها إياه كان شهوة﴿ قالَ﴾ متبرئاً مما افترته عليه﴿ هِيَ راوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أهلها﴾ قيل: كان صبياً في المهد ابن ثلاثة أشهر وهو ابن أختها وقيل هو رجل حكيم وهو ابن عمّها، وكان جالساً مع زوجها عند الباب. وعن السجّاد (ع): ألهَمَ اللّهُ يوسف أن قال للملك: سل هذا الصبي في المهد فانّه سيشهد أنها راودتني عن نفسي، فسأله فقال: ﴿ إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وهُومِنَ الْكاذِبِينَ﴾ لدلالته على أنه قصدها فدفعته﴿ وإِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾ من خلفه ﴿ فَكَذَبَتْ وهُومِنَ الصَّادِقِينَ﴾ لدلالته على أنّه الهارب وهي الطالبة، وهذا أمر ظاهر، والشرطية محكيّة على إرادة القول، أوعلى أن فعل الشهادة من القول. وتسميتها

---

(١) سورة ص الآية ٨٢

(شهادة) لأنها أدّت مؤداها والجمع بين (إن) و(كان) على تأويل: أن تعلم انه كان ﴿ فَلَمَّا رأى﴾ زوجها ﴿ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قالَ﴾ أي: بعلها، أو الشاهد﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِ كُنَّ﴾ حيلتكن معشر النساء﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ وصفه بالعظم لأنها حين فاجأها زوجها عند الباب لم يدخلها دهش ولا تحيّر في أمرها وركّبت الذنب على يوسف، ولأن قليل حيل النساء أسبق إلى قلوب الرجال من حيل الرّجال، ولأنه يعلق بالقلب ويؤثر في النفس لمواجهتهن له، بخلاف كيد الشيطان فانه يوسوس به مسارقة ﴿ يُوسُفُ﴾ أي: يا يوسف﴿ أَعْرِضْ عَنْ﴾ هذا الحديث ولا تذكره لئلاّ يفشو والقائل: زوجها، أو الشاهد، ثم قال لزليخا﴿ واسْتَغْفِري لِذَنْبِكِ﴾ وتوبي إلى الله فإنهم كانوا يعبدون الله مع الأصنام، أوالمعنى: سلي زوجك أن لا يعاقبك على ذنبك﴿ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخاطِئِينَ﴾ المذنبين تعمداً، وذكّر تغليباً﴿ وقالَ نِسْوَةٌ﴾ جرّد فعله لأنه اسم جمع لامرأة فتأنيثه مجازي﴿ فِي الْمَدِينَةِ﴾ في مصر﴿ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ هوبالعربية: الملك﴿ تُراوِدُ فَتاها عَنْ نَفْسِهِ﴾ تدعو عبدها إلى الفجور بها﴿ قَدْ شَغَفَها حُبًّا﴾ تمييز أي: دخل حبّه شغاف قلبها، أي: غشاءه﴿ إِنَّا لَنَراها فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ في خطأ ظاهر بفعلها.

[سورة يوسف الآيات ٣١ - ٣٧]

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ

فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ بتعييرهن لها. سمّاه (مكراً) لأنهن قلنه لتريهن يوسف، أو لإفشائهن ما استكتمهن من سرّها، القمي: شاع الخبر بمصر وجعلن النساء يتحدثن بحديثها ويعذلنها[١] ويذكرنها﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ﴾ زليخا﴿ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ دعتهن للضيافة﴿ وَأَعْتَدَتْ﴾ أعدّت﴿ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ ما يتكى عليه لطعام، أو شراب،

(١) يعاتبنها.

أو وسائد من نمارق(١) يتكين عليها، أو مجلس طعام والقمي: متكا أي: أترجا فكأنه قرأه بإسكان التاء وحذف الهمزة واحدته (متكة) ﴿وَآتَتْ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً﴾ ليقطعن بها الفواكه واللحم ﴿وقالَتِ﴾ ليوسف: ﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ للخدمة، أو السلام، أو ليرينه ولم يكن يتهيأ له أن لا يخرج لأنه بمنزلة العبد ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ عظمنه وبهتن لجماله، وقيل: أكبرنه حضن له ﴿وَقَطَّعْنَ أَيدِيَهُنَّ﴾ جرحنها بالسكاكين من شدّة الدهشة وما أحسنَّ بألم إلا بالدم، وحمله بعض على الحقيقة من إبانة أيديهن ﴿وقُلْنَ حاشَ لِلَّهِ﴾ تنزيهاً له وتعجباً من قدرته، وأصله بألف كقراءة ابي عمرو في الوصل فحذفت تخفيفاً، وقيل: حاشا فاعل من (الحشا) وهو: الناحية أي: صار يوسف في ناحية الله مما قذف به ﴿ما هذا بَشَراً﴾ إذ لم يعهد حسنه لبشر وأعملت (ما) ك(ليس) على لغة أهل الحجاز ﴿إنْ هذا إلاّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ لما حازه من جمال وعفّة ﴿قالَتْ فَذلِكُنَّ﴾ فهذا هوالفتى ﴿الَّذي لُمْتُنَّني فيهِ﴾ في حبه فقد رأيتن ما أصابكن برؤيته مرّة فكيف ألام فيه؟ وأنا أشاهده دائماً ﴿ولَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفسه فَاسْتَعْصَمَ﴾ فامتنع طلباً للعصمة اعترفت بفعلها وبراءته حين علمتهن يعذرنها ﴿ولَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ ما آمُرُهُ﴾ أي: موجبْ أمري إياه ﴿لَيُسْجَنَنَّ ولَيَكُوناً﴾ بالخفيفة وكتب بالألف بصورة الوقوف كالتنوين ﴿مِنَ الصّاغِرينَ﴾ الأذلاء ﴿قالَ﴾ حين توعدنه وقلن له: أطعها، أو دعونه إلى أنفسهن ﴿رَبِّ﴾ يا رب ﴿السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ آثر عندي ﴿مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ من الفاحشة ﴿وإلاّ تَصْرِفْ عَنّي كَيْدَهُنَّ﴾ أي: ضرره بالمثبت على العصمة ﴿أَصْبُ﴾ أميل بطبعي ﴿إِلَيْهِنَّ وأَكُنْ مِنَ الْجاهِلينَ﴾ بمنزلتهم في فعلي ﴿فَاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ دعاءه ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ وعصمه بلطفه وتوفيقه، لقمع

---

(١) النمارق هي: الوسائد . فلا يستقيم قوله (ره): وسائد من نمارق) كما هو واضح.

الشهوة، والصبر على السجن﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لدعاء من دعاه﴿ الْعَلِيمُ﴾ بحاله ﴿ ثُمَّ بَدا لَهُمْ﴾ ظهر للعزيز وصحبه﴿ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوا الآيات﴾ الشواهد الدالة على براءة يوسف عن الباقر(ع): الآيات شهادة الصبي والقميص المخرّق من دبر واستباقهما الباب حتى سمع مجاذبتها إياه على الباب، وفاعل (بدا) مقدّرأي: سجنه دل عليه: ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ إلى وقت منقطع، قيل: سجن إظهاراً لأنه المجرم ﴿ ودَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيانِ﴾ شابان، حدثان أو مملوكان لملك مصر أحدهما صاحب شرابه والآخر صاحب طعامه، والقمي: عبدان للملك أحدهما خبّاز والآخر صاحب الشراب﴿ قالَ أَحَدُهُما﴾ الساقي﴿ إِنِّي أَرانِي﴾ في المنام﴿ أَعْصِرُ خَمْراً﴾ عنباً، سمّاه بما يئول اليه﴿ وقالَ الآخَرُ﴾ الخبّاز﴿ إِنِّي أَرانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ﴾ بتعبيره. وفتح نافع وابوعمرو ياء (اني) فيهما وياء (ربي) بعد علمني ﴿ إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ لتأويل الرؤيا، أو إلى أهل السجن، ثم أخذ يذكر لهما معجزته من أخباره بالغيب ويدعوهما إلى التوحيد، وأعرض عمّا سألا إيثاراً للأهم وكراهة لإخبارهما بما يسوء أحدهما﴿ قالَ لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ﴾ في منامكما، أو من أهلكما﴿ إِلاَّ نَبَّأْتُكُما بِتَأْوِيلِهِ﴾ في اليقظة، أو بصفته﴿ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُما﴾ تأويله أو الطعام﴿ ذلِكُما﴾ التأويل﴿ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ بوحي، أو إلهام تمهيد لدعائهما إلى التوحيد وقوّاه بقوله: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ﴾ تأكيد.

[سورة يوسف الآيات٣٨ - ٤٣]

وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ

أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

﴿ واتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائي﴾ دينهم، وسكّن الكوفيون الياء ﴿إبْراهيمَ وإسْحاقَ ويَعْقُوبَ﴾ أظهر لهما إنه من بيت النبوة ليزيد وثوقهما به فيقبلا عَلَيه ويقبلا منه ﴿ما كانَ﴾ ما جاز ﴿لنا أنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (من) زائدة ﴿ذلِكَ﴾ التوحيد ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنا

وعَلَى النَّاسِ﴾ يبعثنا لهدايتهم﴿ ولكِنَّ أكثر النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ فضله. عن الصادق (ع): لمّا أمر الملك بحبس يوسف في السجن ألهمه اللّه علم تأويل الرؤيا، فكان يعبر لأهل السجن رؤياهم وانّ فتيين ادخلا معه السجن يوم حبسه لما باتا أصبحا فقال أحدهما: إني أراني... إلخ، ثم دعاهما إلى التوحيد بقوله: ﴿ يا صاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ يا ساكنيه ﴿ أ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾ متباينون من حجر وخشب، لا تضر ولا تنفع خير لمن عبدها﴿ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ﴾ المتوحد بالإلهية﴿ الْقَهَّارُ﴾ القادر الذي لا يمتنع منه شيء، والإستفهام للتقرير وإلزام الحجة﴿ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ عدل عن خطاب الإثنين، ثم خاطب بخطاب الجمع، لأنه أرادهما ومَن على دينهما من أهل مصر﴿ إلاَّ أَسْماءً﴾ أشياء﴿ سَمَّيْتُمُوها﴾ آلهة﴿ أَنْتُمْ وآباؤُكُمْ ما أنزل اللَّهُ بِها﴾ بعبادتها﴿ مِنْ سُلْطانٍ﴾ من حجة تدل على استحقاقهما الإلهية﴿ إِنِ الْحُكْمُ﴾ في أمر العبادة﴿ إلاَّ لِلَّهِ﴾ لأنه المستحق لها بالذات فلا تجوز لغيره﴿ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إِيَّاهُ ذلِكَ﴾ الذي بين لكم من توحيده وعبادته دون غيره﴿ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ الحق المستقيم الذي لا عوج فيه﴿ ولكِنَّ أكثر النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ صحة ما أقوله لإعراضهم عن النظر والإستدلال﴿ يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُما﴾ أي: الساقي فيردّ إلى عمله بعد ثلاث﴿ فَيَسْقِي رَبَّهُ سيده خَمْراً﴾ كعادته﴿ وَأَمَّا الآخَرُ﴾ أي: الخباز فيخرج بعد ثلاث﴿ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ القمي: ولم يكن رأى ذلك وكذب وبعد التعبير قال: اني لم أر ذلك، فقال يوسف: ﴿ قُضِيَ الامْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ﴾ فهوحالّ بكما لا محالة، رأيتما أم لا، وفيه دلالة على أنه يخبر عن الغيب بالوحي لا كما يعبر غيره على التأويل﴿ وقالَ﴾ يوسف﴿ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ أي: علم بطريق الوحي﴿ أَنَّهُ ناجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ عند سيّدك بأني محبوس ظلماً﴿ فَأَنْساهُ الشَّيْطانُ﴾ أي:

أنسى يوسف﴿ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ في تلك الحال حتى استغاث بغيره، أو أنسى الشيطان صاحب الشراب أن يذكر يوسف عند الملك ﴿ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ عن الصادق (ع): سبع سنين ولم يفزع يوسف في حاله إلى الله فيدعوه فلذلك قال: فأنساه الشيطان ذكر ربه﴿ وقالَ الْمَلِكُ إِنِّي﴾ أرى في منامي﴿ سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ﴾ أي: سبع بقرات أخر﴿ عِجافٌ﴾ مهازيل﴿ وسَبْعَ سُنْبُلاتٍ﴾ أي: وأرى في منامي سبع سنبلات﴿ خُضْرٍ﴾ انعقد حبّها﴿ وأُخَرَ﴾ أي: وسبعاً أخر﴿ يابِساتٍ﴾ قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها واستغنى عن بيان حالها ببيان حال البقرات. عن الصادق (ع) انه قرأ (وسبع سنابل)﴿ يا أَيُّهَا الْمَلأُ﴾ والأشراف ﴿ أَفْتُونِي فِي رُؤْيايَ:﴾ عبّروها﴿ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيا تَعْبُرُونَ﴾ ان كنتم عالمين بتعبيرها، زيدت (اللام) لتقوية العمل.

[سورة يوسف الآيات ٤٤ - ٥٢]

قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٍۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ

سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

﴿ قالُوا أَضْغاثُ﴾ أي: هذه أضغاث﴿ أَحْلامٍ﴾ أباطيلها وأخلاطها، أو هذه منامات كاذبة و وساوس شيطانية﴿ وما نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الاحْلامِ﴾ الكاذبة﴿ بِعالِمِينَ﴾ وكان في ذلك سبب نجاة يوسف من السجن حيث تذكر الساقي حديث يوسف كما قال: ﴿ وقالَ الَّذي نَجا مِنْهُما﴾ من صاحبي السجن﴿ وادَّكَرَ﴾ أصله (ادتكر) افتعل من الذكر قلبت تاؤه دالاً وأدغم﴿ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ بعد حين من الدهر وزمان طويل، وعن علي (ع): أي: بعد وقت طويل﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ أي: إلى من عنده علمه، وهنا حذف تقديره: فأرسل فأتى يوسف في السجن وقال له: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ الكثير الصّدق لأنه جرّب أحواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا

صاحبه﴿ أَفْتِنا فِي سَبْعِ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يابِساتٍ﴾ أي: في رؤيا ذلك﴿ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾ أعود إلى الملك ومن عنده من العلماء الذين جمعهم لتعبير رؤياه﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فضلك فيخرجوك، أو رؤيا الملك قال يوسف في جوابه معبراً ومعلماً أمّا البقرات السبع العجاف والسنابل السبع اليابسات: فالسنون الجدبة، وأما السبع السمان والسنابل السبع الخضر: فالسنون السبع المخصبات، وأنتم تزرعون فيها فلذلك﴿ قالَ تَزْرَعُونَ﴾ أي: فازرعوا﴿ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً﴾ بسكون الهمزة وفتحها لغتان كـ(نَهْر) و(نَهَر)﴿ فَما حَصَدْتُمْ﴾ من الزرع ﴿ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ لا تدوسوه لئلا يسرع إليه الفساد﴿ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ في تلك وهي نصيحة خارجة عن التعبير﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ سَبْعٌ شِدادٌ ﴾ سبع سنين مجدبات تشتد على الناس﴿ يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي: تأكلون فيها ما قدمتم في السنين المخصبة وأضيف الأكل إلى السنين لأنه يقع فيها. وعن الصادق (ع): انه قرأ ما قربتم لهن﴿ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ مما تحرزون لبذر الزراعة﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ﴾ هذه السنين الشداد﴿ عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ﴾ أي: يمطرون من الغيث وهو: المطر الذي ياتي وقت الحاجة، أو من الغوث أي: يغاثون من القحط﴿ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ الثمار كالعنب والزيتون، أو ينجون والعصرة النجاة وفي قراءة أهل البيت (يعصرون) بالبناء للمفعول أي: يمطرون من أنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً، وقرأ حمزة والكسائي بالتاء﴿ وَقالَ الْمَلِكُ﴾ لما أتاه رسوله بالتعبير﴿ ائْتُونِي بِهِ﴾ بالمعبّر﴿ فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ ﴾ فقال له: أجب الملك﴿ قالَ﴾ يوسف لرسول الملك: ﴿ ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ﴾ أي: العزيز ﴿ فَسْئَلْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ أبى (ع): عن إجابة الملك حين تبيّن براءته مما قذف به، أي: سل الملك أن يتعرف حال هؤلاء النسوة ليعلم صحة براءتي، ولم يفرد امرأة العزيز بالذكر حسن عشرة منه ورعاية أدب. عن النبي (ص): لوكنت

بمنزلة يوسف حين أرسل اليه الملك يسأله عن رؤياه ما حدثته حتى اشترط عليه أن يخرجني من السجن وتعجبت لصبره عن شأن امرأة الملك حتى أظهر الله عذره ﴿ إِنَّ رَبِّي﴾ أي: الله، أو سيدي﴿ بِكَيْدِهِنَّ﴾ حين قلن له: أطع مولاتك﴿ عَلِيمٌ﴾ فرجع وأخبر الملك فدعاهن﴿ قالَ ما خَطْبُكُنَّ﴾ شأنكن﴿ إِذْ راوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ هل بدا منه خيانة؟﴿ قُلْنَ حاشَ لِلَّهِ﴾ تنزيه له﴿ ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ من ذنب وخيانة فاعترفن ببراءته وأنه حبس ظلماً﴿ قالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ أي: ظهر وتبيّن من حصّ رأسه صلع، أومن حصحص البعير برك حتى يستبين آثار مباركه﴿ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قوله: هي راودتني، فعاد الرسول وأخبر يوسف بمقامهن فقال: ﴿ ذلِكَ ﴾ الإستظهار للبراءة ﴿ لِيَعْلَمَ العزيز أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ حال من (الهاء)، أو الفاعل﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخائِنِينَ﴾ لا ينفذه، أو لا يهديهم بكيدهم.

[سورة يوسف الآيات٥٣ - ٦٣]

وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾

وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾

وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ

أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ

لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾

وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟

إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا

مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

﴿ وما أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ عن الميل الطبيعي، وإنما استعصمت بلطف الله فقصدت إظهار نعمته لا تزكية نفسي، وفتح الحرميان وابو عمرو الياء وياء (رحم ربي) ﴿ إِنَّ النَّفْسَ﴾ أي: جنسها﴿ لأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ﴾ بميلها الطبيعي إلى الشهوات. وأبدل قالون والبري الهمزة واواً وادغماها﴿ إلاَّ ما رَحِمَ ربِّي﴾ أي: من رحمه فعصمه، أو إلا وقت رحمته﴿ إنَّ ربِّي غَفُورٌ﴾ لعباده﴿ رَحِيمٌ﴾ بهم وقال الحكاية لقول زليخا وهاء (لم أخنه) ليوسف﴿ وقالَ المَلكُ﴾ لمّا تبين له أمانته وبراءته من السوء وعلمه ﴿ ائتوني به أَستَخلِصْهُ﴾ أجعله خالصاً﴿ لِنَفسِي﴾ أرجع في تدبير مملكتي ﴿ فَلَمَّا﴾ أتوا به﴿ كَلَّمَهُ﴾ وعرف أمانته بعفته وعقله بكلامه﴿ قالَ إِنَّكَ اليَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ﴾

ذوقدرة وجاه﴿ أَمِينٌ﴾ مأمون على أمرنا. قيل: كان الملك يعرف سبعين لساناً، فلما كلّمه بلسان أجابه فأعجب منه وسأله عن رؤياه ففسرها له وقال: أكثر الزرع في السبع المخصبة وأحرزه في سنبله فياتوك الناس ممتارين فقال: ومن لي ذلك﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ﴾ أرض مصر﴿ إِنِّي حَفِيظٌ﴾ لها، أو للحساب﴿ عَلِيمٌ﴾ بأمرها، أو بالألسن، وعن الرضا (ع): حفيظ: بما تحت يدي، عليم: بكل لسان. وانما طلب الولاية ليتوصل بها إلى إمضاء أحكام اللّه وبسط الحق و وضع الحقوق مواضعها. وعن النبي (ص): رحم اللّه أخي يوسف لولم يقل: اجعلني على خزائن الأرض لولاّه من ساعته ولكنه أخّر ذلك سنة، وعن الصادق (ع): يجوز أن يزكي الرجل نفسه إذا اضطر إليه أما سمعت قول يوسف: اجعلني... إلخ، وقول العبد الصالح: وأنا لكم ناصح أمين﴿ وكَذلكَ﴾ الإنعام الذي أنعمنا عليه ﴿ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ أرض مصر﴿ يَتَبَوَّأُ﴾ ينزل﴿ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ﴾ وقرأ ابن كثير بالنون﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ﴾ في الدارين﴿ ولا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ إلى أنفسهم وغيرهم﴿ ولأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ﴾ الشرك والفواحش بخلوصه عن الشوائب ودوامه، ويدل على أن تصرّف يوسف كان بإختياره من غير رجوع إلى الملك﴿ وجاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ ليمتاروا من مصر وذلك لأنه ما نزل بكنعان ما نزل بالناس من الجدب، فأرسل يعقوب بنيه غير بنيامين ﴿ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾ يوسف﴿ وهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ عن الباقر (ع): لم يعرفه اخوته لهيبة الملك وعزه، وقيل: لم يعرفوه لبُعد العهد إذ مدّة مفارقتهم له أربعون سنة، فكلموه بالعبرية فقال لهم: من أنتم وما أمركم لعلكم عيون؟ قالوا: معاذ اللّه نحن بنويعقوب نبي اللّه قال: وكم أنتم؟ قالوا: كنا اثني عشر فهلك أصغرنا بالبريّة وكان أحبنا إليه فأحزنه وله شقيق احتبسه ليتسلى به عنه، فأنزلهم

وأكرمهم﴿ ولَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ﴾ أوقر لكل رجل بعيراً﴿ قالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾ يعني: بنيامين. القمي: أحسن لهم في الكيل وقال لهم من أنتم؟ قالوا: نحن بنويعقوب بن إسحاق بن ابراهيم خليل الله الذي ألقاه نمرود في النار فلم يحترق فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، قال: فما فعل أبوكم؟ قالوا: شيخ ضعيف، قال: فلكم أخ غيركم؟ قالوا: لنا أخ من أبينا لا من أمّنا، قال: فإذا رجعتم إليّ فاتوني به﴿ أَ لا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ أتمه وفتح نافع الياء﴿ وأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ المضيفين، أو خير المنزلين للأمور منازلها﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ﴾ مكيل﴿ لَكُمْ عِنْدِي ولا تَقْرَبُونِ﴾ نهي، أو عطف على محل الجزاء﴿ قالُوا سَنُراوِدُ عَنْهُ أَباهُ﴾ سنطلبه منه بجهدنا﴿ وإِنَّا لَفاعِلُونَ﴾ ذلك﴿ وقالَ لِفِتْيانِهِ﴾ لغلمانه، وقرأ حفص وحمزة والكسائي ﴿ اجْعَلُوا بِضاعَتَهُمْ﴾ ثمن ميرتهم وكانت ورقًا، أو نعالاً وأدماً﴿ فِي رِحالِهِمْ﴾ أوعيتهم ردّوها عليهم من حيث لا يعلمون تفضلاً، أو خوفاً أن لا يجد أبوه ما يعودون به ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَها إِذَا انْقَلَبُوا إِلى أَهْلِهِمْ﴾ وفتحوا متاعهم﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لإكرامنا لهم ولعدم استحلالهم إمساكها﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلى أَبِيهِمْ قالُوا يا أَبانا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ بعد هذا إن لم نأته بأخينا﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنا أَخانا نَكْتَلْ﴾ الطعام وقرأ حمزة والكسائي بالياء ﴿ وإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾ أن يصيبه سوء.

[سورة يوسف الآيات٦٤ – ٦٩]

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ

بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

﴿ قالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إلاّ كَما أَمِنْتُكُمْ عَلى أَخيهِ﴾ يوسف﴿ مِنْ قَبْلُ﴾ وقد ضمنتم لي حفظه وفعلتم به ما فعلتم﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حافِظاً﴾ تمييز، أو حال. وقرأ حفص وحمزة والكسائي (حفظاً) تمييز﴿ وهُوَأَرْحَمُ الرّاحِمينَ ﴾ يرحمني بحفظه. روي: ان الله سبحانه قال: فبعزتي لأردنهما عليك بعد ما توكلت عليّ﴿ ولَمّا فَتَحُوا مَتاعَهُمْ

وَجَدُوا بِضاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قالُوا يا أَبانا ما نَبْغِي﴾ أيّ شيء نطلب من إحسان الملك زيادة على هذا؟ أولا نطلب وراء هذا إكراماً، أو لا نكذب فيما أخبرناك به من إحسانه﴿ هذِهِ بِضاعَتُنا رُدَّتْ إِلَيْنا﴾ إستئناف يبين (ما نبغي)﴿ وَنَمِيرُ﴾ أهلنا نحمل لهم الميرة أي: الطعام ﴿ وَنَحْفَظُ أَخانا وَنَزْدادُ كَيْلَ﴾ وقر﴿ بَعِيرٍ﴾ لأجله﴿ ذلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ أي: كيل البعير سهل على الملك لا يصعب عليه، أو ما جئنا به قليل لا يكفينا فنحتاج إلى الرجوع لنضاعفه ونزداد وقرا لأخينا. وهذا كله إحتجاج على أن الصواب في إرساله معهم، فلمّا رأى يعقوب ردّ البضاعة وإكرام الملك عزم على إرساله ﴿ قالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ﴾ تعطوني عهداً﴿ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ جواب القسم﴿ إِلاَّ أَنْ يُحاطَ بِكُمْ﴾ إلاّ أن تهلكوا، أو تغلبوا حتى لا تطيقوا ذلك ﴿ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ عهدهم﴿ قالَ اللَّهُ عَلى ما نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ شاهد وحافظ، فأجابهم إلى إرساله معهم﴿ وَقالَ يا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا﴾ مصر﴿ مِنْ بابٍ واحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ خاف عليهم العين لأنهم كانوا ذوي جمال وهيئة، معروفين بالأخوّة، وعن النبي (ص): ان العين حق والتأثير للنفس بإذن الله﴿ وَما أُغْنِي﴾ أدفع ﴿ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من قضائه فيكم شيئاً من الغناء، أو القضاء بما قلته لكم ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ لا رادّ لقضائه ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت﴿ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ وبه فليثق الواثقون﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا﴾ مصر﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أي: من أبواب متفرقة﴿ ما كانَ يُغْنِي عَنْهُمْ﴾ دخولهم﴿ مِنَ اللَّهِ﴾ من قضائه﴿ مِنْ شَيْءٍ﴾ تصديق ليعقوب﴿ إِلاَّ﴾ لكن﴿ حاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضاها﴾ أي: ما قاله لبنيه شفقة في نفس يعقوب أبداها لهم﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ﴾ ففعله وقوله عن علم﴿ لِما عَلَّمْناهُ﴾ من أجل تعليمنا إياه﴿ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ هم المشركون ﴿ لا يَعْلَمُونَ﴾ ما ألهم الله أولياءه، أولا يعلمون سرّ القدر وإنه لا يغني عنه الحذر، أو مرتبة يعقوب في العلم

﴿ ولَمَّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ أوى﴾ ضم﴿ إِلَيْهِ أخاهُ﴾ بنيامين﴿ قالَ﴾ له﴿ إِنِّي أنَا أخُوكَ﴾ أي: مكان أخيك الهالك تطييباً لنفسه، أوأطلعه على حقيقة حاله﴿ فَلا تَبْتَئِسْ﴾ لا تحزن﴿ بما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بما سلف من إخوتك في حقنا عن الصادق (ع): ما ملخصه: كان يوسف هيّأ لهم طعاماً، فلما دخلوا عليه قال: ليجلس كل بني أم على مائدة، فجلسوا وبقي بنيامين قائماً، فقال له يوسف: مالك؟ قال: ليس فيهم ابن أم، فقال يوسف: اما كان ابن أم؟ قال: بلى، قال فما فعل؟ قال: زعم هؤلاء ان الذئب أكله، قال: فما بلغ من حزنك عليه؟ قال: ولد لي أحد عشر ابنا كلهم اشتققت له إسما من إسمه، فقال له يوسف أراك قد عانقت النساء وشممت الولد من بعده، قال: ان لي أباً صالحاً، قال: تزوج لعل الله يخرج منه ذرية تثقل الأرض بالتسبيح، فقال له: تعال فاجلس معي على مائدتي، فقال إخوته: لقد فضّل الله يوسف وأخاه حتى أن الملك قد أجلسه على مائدته، وفي رواية: أنهم تركوا الأكل وقالوا: نريد أمراً ويأبى الله إلا ان يرفع ولد ياميل علينا، وروي: لما خرجوا قال له: انا أخوك يوسف فلا تبتئس وأحب أن تكون عندي، قال: لا يدعوني إخوتي فان أبي قد أخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن يردوني إليه، قال: أنا احتال بحيلة فلا تنكر إذا رأيت شيئاً ولا تخبرهم.

[سورة يوسف الآيات ٧٠ – ٧٨]

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ

زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾ هي مشربة من ذهب، أو فضة جعلت صاعاً للكيل. ونسب الجعل إليه لأنه الآمر به﴿ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ في متاعه﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد مُسمعاً مُعلماً﴿ أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ أي: القافلة و(العير) في الأصل: اسم الإبل التي عليها الأحمال. والقمي: معناه: يا أهل العير﴿ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ قيل: قاله بعض قوم يوسف بغير أمره ولم يعلم الحال من جعل الصاع في رحالهم، أو أريد

انهم سرقوا يوسف من أبيه، أو على الاستفهام. وعن الصادق (ع): ما سرقوا وما كذب يوسف فإنما عنى سرقتم يوسف من أبيه، وعنه (ع): أراد الإصلاح، وعنه(ع): الكلام ثلاثة: صدق وكذب وإصلاح بين الناس، وفي النبوي لا كذب على مصلح، ثم تلا الآية ثم قال: واللّه ما سرقوا وما كذب﴿ قالُوا ﴾ أي: أصحاب العير﴿ وأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ﴾ على أصحاب يوسف﴿ ما ذا تَفْقِدُونَ﴾ أيّ شيء ضلّ لكم؟﴿ قالُوا نَفْقِدُ صُواعَ الْمَلِكِ﴾ أي: صاعه المعبر عنه سابقاً بـ(السقاية). وعن الباقر (ع): صواع الملك: الطاس الذي يشرب منه، وعن الصادق (ع): كان قدحاً من ذهب﴿ ولِمَنْ جاءَ بِهِ﴾ قال المنادي: مَن جاء بالصاع فله ﴿ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام جعلاً له﴿ وأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ أي: كفيل ضامن﴿ قالُوا تَاللَّهِ﴾ قسم فيه معنى التعجب﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وما كُنَّا سارِقِينَ﴾ قط. استشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم لما ظهر عندهم من حسن سيرتهم ومعاملتهم مرّة بعد اخرى سيما بعد ردّهم البضاعة التي وجدوها في رحالهم مخافة أن يكون ذلك بغير إذن يوسف على أنهم حين دخلوا مصر وجدوهم قد شدوا أفواه دوابهم كيلا تأكل الحرث والزرع﴿ قالُوا﴾ أي: الذين نادوهم﴿ فَما جَزاؤُهُ﴾ الضمير للسرق، أو السارق﴿ إِنْ كُنْتُمْ كاذِبِينَ﴾ في إدعائكم البراءة منه﴿ قالُوا جَزاؤُهُ﴾ مبتدأ والخبر﴿ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ أي: جزاء سرقة استرقاق من وجد في رحله وهوشرع آل يعقوب، وقوله: (فهو جزاؤه)مؤكد أي: فالسارق جزاء السرق، أو خبر والجملة خبر جزاؤه والظاهر ينوب العائد والتقدير: جزاؤه من وجد في رحله فهو هو﴿ كَذلِكَ﴾ الجزاء﴿ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ بالسرقة فردّوا إلى يوسف للتفتيش﴿ فَبَدَأَ﴾ يوسف في التفتيش﴿ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعاءِ أَخِيهِ﴾ دفعاً للتهمة﴿ ثُمَّ اسْتَخْرَجَها﴾ أي: السقاية، أو الصاع فانه يذكر ويؤنث﴿ مِنْ وِعاءِ

أخيه ﴿كَذلكَ﴾ الكيد ﴿كدنا ليُوسُفَ﴾ علمناه الكيد أي: الإحتيال في أخذ أخيه ﴿ما كانَ ليأخُذَ أخاهُ في دينِ المَلكِ﴾ في حكم ملك مصر، لأن حكمه الضرب وتغريم ضعف ما سرق لا الإسترقاق ﴿إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهُ﴾ لكن بمشيئة الله أخذه بدين أبيه أي: لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله بإلهامه أن سأل إخوته ما جزاؤه وجوابهم بشرعهم ﴿نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ﴾ بالعلم كما رفعنا درجته ونوّنه الكوفيون ﴿وفَوْقَ كُلِّ ذي عِلْمٍ عَليمٌ﴾ أعلى درجة منه حتى تنتهي إلى الله. ودلّ على أنه تعالى عالم بذاته، إذ لوكان ذا علم لكان فوقه عليم وهوباطل ﴿قالُوا﴾ ليوسف ﴿إنْ يَسْرِقْ﴾ بنيامين ﴿فَقَدْ سَرَقَ أخٌ لَهُ﴾ من أمه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ فليست سرقته ببدع. عن الرضا (ع): كانت لإسحاق النبي منطقة[1] يتوارثها الأنبياء والأكابر، وكانت عند عمّة يوسف، فكان يوسف عندها وكانت تحبه، فبعث إليها أبوه: أن ابعثيه اليّ و أرده إليك فبعثت إليه: ان دعه عندي الليلة أشمه ثم أرسله إليك غدوة، فلما أصبحت أخذت المنطقة فربطتها في حَقوه[2] وألبسته قميصاً وبعثت به اليه وقالت: سرقت المنطقة، فوجدت عليه، وكان إذا سرق أحد في ذلك الزمان دفع به إلى صاحب السرقة فأخذته، فكان عندها. وفي رواية: فقال لها يعقوب: فانه عبدك على أن لا تبيعيه ولا تهبيه، قالت: فأنا أقبله على أن لا تأخذه مني وأعتقه الساعة فأعطاها إياه وأعتقته ﴿فَأسَرَّها﴾ أي: كتم الإجابة، أو المقالة، أونسبة السرقة إليه ﴿يُوسُفُ في نَفْسِهِ ولَمْ يُبْدِها﴾ لم يظهرها ﴿لَهُمْ﴾ في الحال وقيل: انها كناية على شريطة التفسير ويفسرها: ﴿قالَ أنْتُمْ شَرٌّ مَكاناً﴾ لأنه بدل منه أي: فاسرّ يوسف في نفسه قوله: (أنتم شرّ مكانا) ولا يخلومن

---

(١) المنطقة ـ بكسر الميم ـ ما يشد به الوسط. أشبه شيئ بالحزام.

(٢) الحقو ـ بفتح الحاء وسكون القاف ـ أسفل الظهر من الإنسان.

بعد﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ عالم بما تقولون فيه﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ في السن، أو في القَدَر لا يحبس ابن مثله سيما وهو ثكلان على أخيه ويبتلي به عنه﴿ فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ أي: بدلاً عنه﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ إلى الناس، أوإلينا في الكيل وردّ البضاعة والضيافة.

[سورة يوسف الآيات٧٩ - ٨٦]

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ

كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

﴿قالَ﴾ يوسف ﴿مَعاذَ اللهِ﴾ نعوذ بالله معاذاً ﴿أنْ نَأْخُذَ إلاّ مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ﴾ وأخذ البريء بجرم السقيم ظلم، ولم يقل: (من سرق) تحرزاً عن الكذب ﴿إنّا إذاً لَظالِمُونَ﴾ ان أخذنا بريئاً بمجرم ﴿فَلَمّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ﴾ يأسوا من يوسف أن يجيبهم ﴿خَلَصُوا نَجِيّاً﴾ أي: انفردوا عن الناس يتناجون في أمرهم أي: اعتزلوا الناس متناجين وهذا من ألفاظ القرآن التي هي في الغاية القصوى من الفصاحة والإيجاز في اللفظ ﴿قالَ كَبِيرُهُمْ﴾ في السن وهو: روبيل، أو في العلم وهو:شمعون، أو في العقل وهو: يهودا. وعن الصادق (ع): قال لهم يهودا وكان هو أكبرهم، والقمي: قال لهم لاوي: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أنَّ أباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللهِ ومِنْ قَبْلُ هذا ما فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ أي: قصّرتم في أمره وكنتم عاهدتم أباكم أن تردوه إليه سالماً فنقضتم العهد. و(ما) زائدة، أو مصدرية عطف على مفعول (تعلموا) ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الارْضَ﴾ أي: لا أفارق أرض مصر ﴿حَتّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ في البراح والرجوع إليه، وفتح نافع وأبوعمروياء(لي) والحرميان وابوعمرو ياء(أبي) ﴿أويَحْكُمَ اللهُ لِي﴾ بخروجي، أو خلاص أخي، أو محاديثهم لأجله، أو بالموت، أو بما يكون لي عذر عند أبي ﴿وهُوخَيْرُ الْحاكِمينَ﴾ أعدل من حكم. روي أن يهودا تخلف فدخل على يوسف يكلمه في أخيه حتى ارتفع الكلام بينهما حتى غضب يهودا، وكان على كتفه شعرة إذا غضب قامت الشعرة فلا تزال تقذف بالدم حتى يمسه بعض ولد يعقوب،

وكان بين يدي يوسف إبن له صغير في يده رمّانة من ذهب يلعب بها، فأخذ يوسف الرمانة من يد الصبي، ثم دحرجها نحويهودا وتبعها الصبي ليأخذها، فوقعت يده على يهودا فذهب غضبه، فارتاب يهودا، ثم فعل ذلك ثانياً، فقال يهودا: إن في البيت معنا لبعض ولد يعقوب﴿ ارْجِعُوا إلى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يا أَبانا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ ﴾ في الظاهر ﴿ وما شَهِدْنا﴾ عليه﴿ إلاَّ بِما عَلِمْنا﴾ بما شاهدنا من إخراج الصاع من رحله﴿ وما كُنَّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ﴾ أي: لم نعلم حين أعطيناك الموثق انه سيسرق، أو لم نعلم باطن الأمر انه سرق، أودسّ الصاع في رحله﴿ وسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ أي: أهلها﴿ الَّتِي كُنَّا فِيها﴾ فان الأمر شايع فيما بينهم﴿ والْعِيرَ﴾ وسل أهل القافلة﴿ الَّتِي أَقْبَلْنا فِيها﴾ أو هوعلى الظاهر، لأنه نبيّ يجوز ان تكلمه القرية والعير﴿ وإِنَّا لَصادِقُونَ﴾ فيما أخبرناك به، تأكيد في محل القسم﴿ قالَ﴾ يعقوب بعد أن رجعوا وقالوا ذلك: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زيّنت﴿ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ فصنعتموه﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ بتقدير مبتدأ، أي: فأمري، أو خبر أي: أجمل﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾ بيوسف وأخويه﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بحالنا ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في صنعه بنا﴿ وتَوَلَّى﴾ أعرض﴿ عَنْهُمْ﴾ ليهجهم حزنه(١) ﴿ وقالَ يا أَسَفى﴾ يا حزناً احضر فهذا وقتك، والألف بدل من ياء الاضافة ﴿ عَلى يُوسُفَ﴾ تأسّف عليه ـ دون أخويه ـ لأن مصيبته أصل كل مصيبة، أولتحقق حياتهما دون حياته. وسئل الصادق (ع): ما بلغ من حزن يعقوب على حزن يوسف(٢) قال: حزن سبعين ثكلى بأولادها﴿ وابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ الموجب لكثرة البكاء الماحق سوادهما، قيل: عمى: وقيل: ضعف بصره﴿ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مكظوم أي:

---

(١) كذا في الخطية، ولعله: (ليهيجه حزنه).

(٢) كذا والظاهر ان (حزن) الثانية زائدة.

مملو حزناً وغيظاً ممسك له لا يبثّه، أوكاظم أي: متجرع له﴿ قَالُوا تَاللَّه تَفْتَؤُا﴾ لا تفتئوا ولا تنفك ﴿ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً﴾ مشرفاً على الموت، أو ذائباً من الغم، أو دنفاً[1] فاسد العقل وهومصدر يصلح للواحد وغيره﴿ أو تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ الموتى﴿ قال﴾ يعقوب: ﴿ إنَّما أَشْكُوا بَثِّي﴾وهو: الهم الذي لا يُصْبَر عليه حتى يُبَثّ ﴿ حُزْنِي إلى اللَّه﴾ لا إليكم. وفتح نافع وابن عامر وابوعمروالياء﴿ وأَعْلَمُ مِنَ اللَّه﴾ من رحمته وقدرته، أو من إلهامه ﴿ ما لا تَعْلَمُونَ﴾من حياة يوسف وصدق رؤياه. عن الصادق (ع): أن يعقوب لما ذهب بنيامين نادى: يا رب أما ترحمني أذهبت عيني وأذهبت إبنيّ، فأوحى اللّه إليه: لو أمتّهما لأحييتهما لك حتى أجمع بينك وبينهما، ولكن تذكر الشاة التي ذبحتها وأكلت وفلان إلى جانبك صائم لم تنله منها شيئاً.

[سورة يوسف الآيات ٨٧ - ٩٥]

يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ

(١) الدنف ـ هنا ـ المريض المصاب ببعض القلق والإضطراب.

مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

﴿ يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وأَخِيهِ ﴾ استخبروا عن حالهما واطلبوا خبرهما﴿ ولا تَيأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ لا تقنطوا من رحمته وفرجه﴿ إِنَّهُ لا يَيأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ﴾ فإن المؤمن لا ييأس من روحه، فخرجوا إلى مصر ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ على يوسف﴿ قالُوا يا أيهَا الْعَزِيزُ مَسَّنا وأهلَنَا الضُّرُّ﴾ شدة الجوع والحاجة والسنين الشداد﴿ وجِئْنا بِبِضاعَة مُزْجاة﴾ مدفوعة، يدفعها كل تاجر لرداءتها، أو قلتها، وكانت دراهم زيوفاً، أو صوفاً، أو سمنا، أو غير ذلك. وعن الرضا (ع): كانت المقل[1] وكانت بلادهم بلاد المقل وهي البضاعة﴿ فَأَوفِ لَنا الْكَيْلَ﴾ كما هي عادتك في السنين الماضية، ولا تنظر إلى قلة بضاعتنا ورداءتها﴿ وتَصَدَّقْ عَلَيْنا﴾ بالمسامحة والإغماض عن الرّدي، أو بردّ أخينا بنيامين﴿ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ لا يضيع أجرهم. فرقّ لهم ثم باح بمكتومه﴿ قالَ هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ﴾ من أخذه من

---

(١) هو ثمر شجرة يقال لها: (شجرة اللدوم).

أبيه وإلقائه في البئر واجتماعكم على قتله وبيعه بثمن بخس وما فعلتم ﴿ وأخيه﴾ من إفراده عن شقيقه وإذلاله﴿ إِذْ أَنْتُمْ جاهلونَ﴾ حين كنتم جاهلين جاهلية الصبا ولم ينسبهم إلى الجهل في الحال لأنهم كانوا تائبين نادمين. وكان هذا تلقيناً لهم بالعذر وحثّاً على التوبة، وهوغاية الكرم والصفح﴿ قالُوا﴾ لمّا عرفوه بشمائله حين يتكلم، أو بثناياه حين تبسم، أوبعلامة في قرنه رفع عنها التاج فرأوها ﴿ أَ إِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ﴾ إستفهام تقرير. وقراءة ابن كثير على الخبر﴿ قالَ أَنَا يُوسُفُ﴾ أظهر الإسم ولم يقل: انا هو.تعظيماً لما وقع به من ظلم أخوته، فكأنه قال: أنا المظلوم، المستحلّ منه المحرم، المراد قتله ﴿ وهذا أَخِي﴾ المظلوم كظلمي﴿ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا﴾ بالسلامة والكرامة والإجتماع بعد طول الفرقة﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ ﴾ الله، وعن قنبل: اثبات الياء على موصوليّة (من)﴿ ويَصْبِرْ ﴾ على البلاء، أو عن المعاصي، وسكّن في قراءة قنبل تخفيفاً، أو مشاكلة﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالتقوى والصبر وضع موضع الضمير تنبيهاً على أن المحسن من جمع بين الاتقاء والصبر﴿ قالُوا تَاللَّه لَقَدْ آثَرَكَ﴾ فضّلك ﴿ اللَّهُ عَلَيْنا﴾ بحسن الخَلْق والخُلُق﴿ وإِنْ﴾ مخففة﴿ كُنَّا لَخاطِئينَ﴾ آثمين بصنعنا بك. وعن الباقر (ع) قالوا: فلا تفضحنا ولا تعاقبنا اليوم واغفر لنا﴿ قالَ﴾ يوسف ﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ أي: لا تعيير ولا توبيخ ولا تقريع عليكم﴿ الْيَوْمَ﴾ الذي هومظنته فغيره أولى﴿ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ دعاء لهم﴿ وهُوأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فينعم بالمغفرة وغيرها، قيل: من كرم يوسف انهم لما عرفوه بعثوا إليه: إنك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشياً ونحن نستحييك لذنبنا، فقال: كان أهل مصر يروني ويقولون: سبحان من بلغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ، ولقد شرفت بكم وعظمت عندهم إذ علموا إنكم إخوتي واني من حفدة إبراهيم﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هذا﴾ وهوالمتوارث الذي كان في تعويذه﴿ فَأَلْقُوهُ عَلى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ﴾ يعد ﴿ بَصِيراً﴾ وهذا معجز له (ع).

قيل: أن جبرئيل أمره أن أرسل إليه قميصك فأن فيه ريح الجنة لا يقع على سقيم ولا مبتلى إلا عوفي﴿ وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ﴾ بنسائكم وذراريكم ومواليكم﴿ أَجْمَعِينَ﴾ قيل: أن يوسف قال: إنما يذهب بقميصي من ذهب به أولاً، فقال يهودا: أنا ذهبت به وهوملطخ بالدم وأخبرته أنه أكله الذئب، قال: فاذهب بهذا أيضاً وأخبره أنه حيّ وأفرحه كما أحزنته، فحمل القميص وخرج حافياً حاسراً حتى أتاه، وكان معه سبعة أرغفة، وكانت مسافة ما بينهما ثمانين فرسخاً فلم يستوف الأرغفة في الطريق﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ خرجت القافلة من مصر﴿ قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لمن عنده﴿ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ قيل: إن ريح الصبا إستأذنت ربها أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه المبشر بالقميص، فأذن لها فأتته بها، ولذلك يستروح كل محزون بريح الصبا﴿ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ تنسبوني إلى الفند وهو: ضعف الرأي، أوالكذب. وجواب (لولا) محذوف أي: لصدقتموني﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ﴾ عن الصواب في حب يوسف وتوقعك قدومه، وعندهم أنه قد مات.

[سورة يوسف الآيات٩٦- ١٠٢]

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ

ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾

﴿ فَلَمَّا أَنْ جاءَ الْبَشِيرُ﴾ عن الصادق (ع): هويهودا إبنه ﴿ أَلْقاهُ﴾ ألقى البشير، أو يعقوب القميص ﴿ عَلى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ﴾ عاد ﴿ بَصِيراً﴾ بعد العمى، وقوياً بعد الضعف، وشاباً بعد الهرم، وفرحاً بعد الحزن، فقال للبشير: من أثيبك هوّن الله عليك سكرات الموت ﴿ قالَ﴾ يعقوب لهم ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ من حياة يوسف وكشف الشدّة ﴿ قالُوا يا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنَّا كُنَّا خاطِئِينَ﴾ فيما فعلنا ﴿ قالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ روي: أخّرهم إلى السحر وقال: يا رب إن ذنبي فيما بيني وبينهم، فأوحى الله إليه إني قد غفرت لهم. وروي: إلى ليلة الجمعة ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ﴾ قيل استقبله يوسف والملك بأهل مصر ودخلوا في مكان خارج مصر ﴿ آوى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ عن الرضا (ع): عني بها أمه راجيل، وقيل:

أباه وخالته تزوجها أبوه بعد أمّه فسميت (أماً) للوجهين﴿ وقالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمنينَ﴾ من كل مكروه وتعلقت المشية بالدخول المكيف بالأمن﴿ ورَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ على سرير ملكه إعظاماً لهم﴿ وخَرُّوا﴾ أي: أبواه وأخوته﴿ لَهُ﴾ لأجل لقائه﴿ سُجَّداً﴾ للّه شكراً وقبل الهاء للّه ومعناه كالسابق، وقيل: كانت تحيتهم يومئذ سجود إنحناء﴿ وقالَ يا أَبَتِ هذا تَأويلُ رُءْيايَ﴾ التي رأيتها﴿ مِنْ قَبْلُ﴾ في أيام الصّبا﴿ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقًّا﴾ صدقاً في اليقظة. سئل الكاظم (ع): في كم دخل يعقوب من ولده على يوسف؟ قال: في أحد عشر إبناً له، فقيل له: أسباط؟ فقال: نعم. وعن الباقر (ع): لما دخلوا عليه سجدوا شكراً للّه وحده حين نظروا إليه، وكان ذلك السجود للّه. وعن الهادي (ع): أما سجود يعقوب وولده فانه لم يكن ليوسف وإنما كان طاعة للّه وتحية ليوسف. وعن الصادق (ع): انه قرأ وخرّوا للّه ساجدين﴿ وقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ ولم يذكر إخراجه من الجب لئلا يصير تثريباً على إخوته ولأن نعمه عليه في إخراج السجن أكثر ومدة لبثه أطول﴿ وجاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ البادية كانوا يسكنونها يرعون مواشيهم﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ﴾ أفسد بالحسد﴿ بَيْنِي وبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِما يَشاءُ﴾ في تدبيره فيسهل كل عسير﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بالمصالح﴿ الْحَكِيمُ﴾ في التدبير. عن الهادي (ع): قال يعقوب لإبنه: أخبرني ما فعل بك إخوتك حين أخرجوك من عندي، قال: يا أبت اعفني من ذلك، قال: فأخبرني ببعضه، قال: إنهم لمّا أدنوني من الجب قالوا: انزع القميص فقلت لهم: يا أخوتي اتقوا اللّه ولا تجرّدوني، فسلّوا عليّ السّكين وقالوا: لئن لم تنزع لنذبحنك، فنزعت القميص وألقوني في الجب عرياناً، فشهق يعقوب شهقة واغمي عليه، فلما أفاق قال: يا بني حدثني، قال له: يا أبت اسألك بإله ابراهيم وإسحاق ويعقوب إلا

أعفيتني، فأعفاه. وروي: قال: لا تسألني عن صنيع إخوتي واسأل عن صنيع الله بي ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ بعضه ﴿وعَلَّمْتَنِي مِنْ﴾ أي: بعض ﴿تَأْوِيلِ الأحادِيثِ﴾ الرؤيا، أوالكتب ﴿فاطِرَ السَّماوات والارْضِ﴾ صفة المنادى، أو منادى أي: خالقهما ﴿أنْتَ ولِيِّي﴾ متولي أمري ﴿فِي الدُّنْيا والاخرَةِ تَوَفَّنِي﴾ أمتني ﴿مُسْلماً وأَلحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ في ثوابهم ودرجتهم. عن الصادق (ع): دخل يوسف السجن وهوابن اثنتي عشرة سنة، ومكث فيه ثماني عشرة سنة، وبقي بعد خروجه ثمانين سنة فذلك مائة وعشر سنين ﴿ذلِكَ﴾ المقصوص من نبأ يوسف ﴿مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ﴾ ما غاب عنك يا محمد (ص) ﴿نُوحِيهِ إلَيْكَ وما كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ عند إخوة يوسف ﴿إذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ عزموا على أن يكيدوه ﴿وهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ به. أي: لم تحضرهم فتعلم نبأهم وإنما علمته من جهة الوحي.

[سورة يوسف الآيات١٠٣ - ١١١]

وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠

مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

﴿ وما أكثر النَّاسِ ولوحَرَصْتَ﴾ على إيمانهم واجتهدت في دعائهم إليه ﴿ بِمُؤْمِنِينَ وما تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرّسالة، أوالقرآن﴿ مِنْ أجْرٍ﴾ من جعل، فيثقل عليهم ويصدّهم عن القبول﴿ إنْ هُوَ﴾ ما القرآن﴿ إلاّ ذِكْرٌ﴾ وعظة وعبرة ﴿ لِلْعالَمينَ﴾ عامة﴿ وكأينْ﴾ أصله (أي) زيدت الكاف أي: مثل أيّ عدد شئت أي: وكم ﴿ مِنْ آيةٍ﴾ حجة ودلالة﴿ فِي السّماواتِ والأرْضِ﴾ دالة على توحيد الله وقدرته﴿ يَمُرُّونَ عَلَيْها﴾ ويشاهدونها﴿ وهُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكرون فيها﴿ وما يُؤْمِنُ أكثرهُمْ بِاللّهِ﴾ في إعترافهم بإلهيته وربوبيته﴿ إلاّ وهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ بعبادة غيره، أوبجحد القرآن ونبوة محمد (ص)، أوبطاعة الشيطان في المعاصي، أوبنحوقولهم:

لولا فلان لهلكت. وعن الباقر (ع): شرك طاعة وليس بشرك عبادة. وعن الصادق (ع): يطيع الشيطان من حيث لا يعلم فيشرك. وعنه (ع): هم الذين يلحدون في أسمائه بغير علم فيضعونها غير مواضعها. وعنه (ع): هو الرجل يقول: لولا فلان لهلكت، ولو لا فلان لأصبت كذا، ولولا فلان لضاع عيالي. وعن الباقر (ع): من ذلك قول الرجل: لا وحياتك. وعنهما (ع): شرك النعم. وعن الرضا (ع): شرك لا يبلغ به الكفر. ﴿ أ فَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غاشِيَةٌ﴾ عقوبة تغشاهم﴿ مِنْ عَذابِ اللَّهِ أوتَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ القيامة﴿ بَغْتَةً﴾ فجأة﴿ وهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ بإتيانها بعلامة متقدمة﴿ قُلْ هذِهِ﴾ الدعوة للتوحيد والإعداد للمعاد﴿ سَبِيلِي﴾ سنتي. وفتح نافع الياء﴿ أَدْعُوا إلى اللَّهِ﴾ إلى دينه، تفسير للسبيل﴿ عَلى بَصِيرَةٍ﴾ كائناً على حجة بيّنة﴿ أَنَا﴾ تأكيد للمستكن في (ادعوا) أومبتدأ خبره (على بصيرة)﴿ ومَنِ اتَّبَعَنِي وسُبْحانَ اللَّهِ﴾ تنزيهاً له عمّا أشركوا﴿ وما أنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ به شيئاً﴿ وما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلاَّ رِجالاً﴾ نفى به إرسال الملائكة والجن والنساء﴿ يوحَى إِلَيْهِم﴾ وقرأ حفص بالنون﴿ مِنْ أهل الْقُرى﴾ الأمصار، لأنهم أعلم وأعقل من أهل البدو﴿ أ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من المكذبين بالرسل والآيات فيعتبروا بهم﴿ ولَدارُ﴾ الحياة ﴿ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله﴿ أ فَلا تَعْقِلُونَ﴾ يتفكرون بعقولهم فيعلموا ذلك. وقرأ نافع وعاصم وابن عامر بالتاء﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ غاية لما دل عليه (وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً﴾ أي: أمهلنا مكذبيهم كما أمهلنا مكذبيك حتى يأس الرسل من إيمانهم﴿ وظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ بالتشديد أي: كذبهم قومهم تكذيباً لا إيمان بعده وخففه الكوفيون وهوقراءة أئمة الهدى أي: أيقن الرسل أن قومهم أخلفوهم وعدهم بالإيمان، أو ظن الأمم إن الرسل كذبوهم فيما أخبروهم به من النصر عليهم، أو ظنوا أن الرسل أخلفوا ما وعدوه من النصر﴿ جاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُنجِّيَ﴾

بنونين مضارعاً وقرأ ابن عامر وعاصم بواحدة ماضياً بصيغة المجهول﴿ مَنْ نَشاءُ﴾ من المؤمنين﴿ ولا يُرَدُّ بَأْسُنا﴾ عذابنا﴿ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمينَ﴾ المشركين﴿ لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي: الرسل، أو يوسف وإخوته﴿ عِبْرَةٌ لأولي الألْباب﴾ عظة لذوي العقول﴿ ما كانَ﴾ القرآن﴿ حَدِيثاً يُفتَرى ولكِنْ﴾ كان ﴿ تَصْدِيقَ الَّذي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدمه من الكتب﴿ وتَفْصيلَ﴾ بيان﴿ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يُحتاج إليه في الدين﴿ وهُدىً ورَحْمَةً﴾ بياناً ونعمة﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون به.

تمت ـ ولله الحمد ـ سورة يوسف وتفسيرها.

سورة الرّعد

خمس أو سبع وأربعون آية، مكية، أو مدنية.

[الآيات ١ – ٥]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ

ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾

عن الصادق (ع): من أكثر قراءتها لم يصبه الله بصاعقة أبداً ولو كان ناصبياً، وإذا كان مؤمناً دخل الجنة بغير حساب ويُشَفَّع في جميع من يعرفه من أهل بيته وإخوانه﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ المر﴾ عن الصادق (ع): معناه: أنا الله المحيي المميت الرازق، وروي: معناه: أنا الله أعلم وأرى﴿ تِلْكَ﴾ الآيات، أو السورة، أو الأخبار التي قصصنا عليك﴿ آياتُ الْكِتابِ﴾ القرآن، أو السورة أو التوراة والإنجيل ﴿ والَّذِي أنزل إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن عطف على (الكتاب) عطف صفة على أخرى، أو عام على خاص، أو مبتدأ خبره: ﴿الْحَقُّ﴾ وهو ـ على الأول ـ خبر محذوف ﴿ ولكِنَّ أكثر النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ بحقيّته لتركهم تدبره﴿ اللَّهُ﴾ مبتدأ ﴿ الَّذِي رَفَعَ السَّموات﴾ خبره، أوصفته والخبر: (يدبرالأمر)﴿ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ سواري.

جمع (عمود) أو (عماد)﴿ تَرَوْنَها﴾ إستئناف. أي: وأنتم ترون السموات كذلك، أو صفة للعمل ويصدق بأن لا عمد أصلاً. وعن الرضا (ع): فثمّ عمد لكن لا ترونها ﴿ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ﴾ بالتدبير وقد مر في الأعراف﴿ وسَخَّرَ الشَّمْسَ والْقَمَرَ﴾ ذلّلهما لمنافع خلقه﴿ كُلٌّ﴾ منهما﴿ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ إلى وقت مضروب هويوم القيامة، أو إلى إنقطاع الدّور في الدّرجات والمنازل﴿ يُدَبِّرُ الامْرَ﴾ أمر ملكوته على مقتضى حكمته﴿ يُفَصِّلُ الآيات﴾ ينزلها متميّزاً بعضها عن بعض ليكون أمكن للإعتبار، أو يبين دلائل وحدانيته﴿ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ لكي تتأملوا فتعلموا أنّ من قدر على هذه الأمور قادر على البعث والنشور. ويدل على وجوب النظر وبطلان التقليد﴿ وهُو الَّذِي مَدَّ الارْضَ﴾ بسطها طولاً وعرضاً لمنافع خلقه﴿ وجَعَلَ فِيها رَواسِيَ﴾ جبالاً ثوابت لتمسك الأرض﴿ وأنهاراً﴾ قرنت بالجبال لأنّها أسباب تفجيرها﴿ ومِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ﴾ أنواعها﴿ جَعَلَ فِيها زَوْجَيْنِ﴾ صنفين﴿ اثْنَيْنِ﴾ تأكيد كالحلو والحامض، والرطب واليابس ونحوها حتّى في النباتات وإن خفي كفحول النخل وإناثها﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ﴾ يلبسه بظلمته. وترك العكس للعلم به. وشدّده أبوبكر وحمزة والكسائي، ومرّ في الأعراف﴿ إِنَّ فِي ذلِكَ ﴾ المذكور﴿ لآيات﴾ دلالات على وحدانيته تعالى﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها﴿ وفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ﴾ بقاع متلاصقات مختلفات منها طيبة وسبخة وسهلة وحزنة وصالحة للزرع لا للشجر وبالعكس، واختلافها مع اشتراكها في الأرضية وعوارضها إنما يكون بتخصيص قادر مختار عليم حكيم﴿ وجَنَّاتٌ﴾ بساتين﴿ مِنْ أَعْنابٍ وزَرْعٌ﴾ ورفعه ابن كثير وابوعمرو وحفص عطفاً على (جنات) وكذا: ﴿ ونَخِيلٌ صِنْوانٌ﴾ جمع (صنو) وهي: نخلات أصلها واحد﴿ وغَيْرُ صِنْوانٍ﴾ متفرقة الأصول، وقيل: الصنو المثل، وفي

الخبر: عمّ الرجل صنو أبيه﴿ يُسْقى﴾ وقرأ عاصم وابن عامر بالتذكير﴿ بماء واحد﴾ ماء الأنهار، أوالسماء﴿ ونُفَضِّلُ﴾ وقرأ حمزة والكسائي بالياء﴿ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الاكُلِ﴾ في الثمر شكلاً وقدراً وطعماً ولوناً وطبعاً ورائحة مع وحدة المشروب والجنس والأرض والهواء، فهو دليل كمال القدرة﴿ إِنَّ فِي ذلِكَ﴾ المذكور﴿ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون بعقولهم﴿ وإِنْ تَعْجَبْ﴾ يا محمد(ص) بتكذيبهم﴿ فَعَجَبٌ﴾ فحقيق بالعجب﴿ قَوْلُهُمْ﴾ في إنكار البعث﴿ أ إذا كُنَّا تُراباً أ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ فإنهم مع إقرارهم بابتداء الخلق أنكروا الإعادة وهي أهون. واعلم انّه إذا اجتمع إستفهامان فقد قرئ الأول منهما على الإستفهام بهمزتين وبإبدال الثانية ياء وألف بينهما وبدون ألف والثاني منهما على الخبر، وقرئ بالجمع بين الإستفهامين بهمزتين وهمزة وياء، ويمدّ بينهما، وبدونه، وقرئ الأول على الخبر بهمزة مكسورة، والثاني على إستفهام بهمزتين﴿ أولئكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ لجحدهم قدرته على البعث ﴿ وأولئكَ الاغْلالُ فِي أعْناقِهِمْ﴾ يوم القيامة، أو في الدنيا. فإن الكفر أغلال في أعناقهم لا يرجى خلاصهم منها﴿ وأولئكَ أصحاب النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ لا ينفكون عنها. وتوسيط ضمير الفصل لتخصيص الخلود بالكفّار.

[سورة الرعد الآيات٦ - ١٣]

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ

مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾

﴿ ويَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ على سبيل الإستهزاء﴿ بِالسَّيِّئَةِ قَبلَ الْحَسَنَةِ﴾ بالعذاب الذي توعدوا به على التكذيب قبل الثواب على الإيمان وذلك حين قالوا: أمطر علينا حجارة من السماء﴿ وقَدْ خَلَتْ﴾ مضت﴿ مِنْ قَبلِهِمُ المثلاَتُ﴾ جمع (مَثُلة) بفتح الميم وضم الثاء أي: عقوبات أشباههم في التكذيب فهلاّ يعتبرون بها؟﴿ وإِنَّ رَبَّكَ

لَذُومَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ﴾ مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب، وهوحال ويفيد جواز العفوقبل التوبة وتخصيصه بالصغائر لمجتنب الكبائر ممنوع﴿ وإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقابِ﴾ لمن استحقه. وعن الرضا (ع): حين ذكر قول المعتزلة بالكبائر لا تغفر قال: القرآن بخلاف المعتزلة، وتلا الآية﴿ ويَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَولا أنزل عَلَيْهِ آيةمِنْ رَبِّه﴾ كالناقة والعصا، إذ لم يعتدوا بمعجزاته﴿ إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ مرسل للإنذار، ما عليك إلا الإتيان بما يصحح رسالتك﴿ ولِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾ هو: الله، أو نبي يدعوهم إلى الله بما يخصه من معجزات تليق بهم، أو امام يرشدهم. وفي النبوي المستفيض: أنا المنذر وعليّ (ع) الهادي. وعن الباقر (ع): رسول الله (ص) المنذر ولكل زمان منّا هاد يهديهم إلى ما جاء به نبي الله﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثى﴾ أي: أحوال ما تحمله كذكوريته وأنوثيته وتمامه ونقصه وحسنه وقبحه وسعادته وشقائه﴿ وما تَغِيضُ الأَرْحامُ وما تَزْدادُ﴾ ما تنقصه وما تزاده من مدّة الحمل تسعة أشهر وما يزاد عليه. وقيل: ما تغيض الأرحام: الولد لأقل من ستة أشهر، وما تزداد: الولد لأقصى مدة الحمل. وقيل ما تنقص الأرحام من دم الحيض وهو انقطاعه، وما تزداد: بدم النفاس بعد الوضع. وعن الصادق (ع): ما تحمل كل أنثى، الذكر والأنثى وما تغيض الأرحام: ما كان من دون التسعة وهو غيض، وما تزداد: وما رأت الدم في حال حملها ازداد به على التسعة أشهر. وفي رواية: ما تغيض: ما لم يكن حملاً، وما تزداد: الذكر والأنثى جميعاً. والقمي: ما تغيض ما تسقط من قبل القيام وما تزداد على تسعة أشهر كلّما رأت من حيض في أيام حملها وزاد ذلك على حملها﴿ وكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ﴾ بقدر وحدّ لا يتعداه﴿ عالِمُ الْغَيْبِ﴾ ما غاب عن الحس﴿ والشَّهادَةِ﴾ وما يشاهدونه وهوالْكَبِيرُ﴾ العظيم﴿ الْمُتَعالِ﴾ على كل شيء يقهره، أو المنزّه عمّا لا يليق به. وأثبت ابن كثير الياء﴿ سَواءٌ مِنْكُمْ﴾ في عمله ﴿ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ ومَنْ جَهَرَ بِهِ ومَنْ

﴿وَمُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾ مستتر بظلمته ﴿وسارِبٌ﴾ سالك في سَربه بفتح السين أي: طريقه ﴿بِالنَّهارِ﴾ يراه الناس ﴿لَهُ﴾ للسرّ والجاهر والمستخفي والسارب ﴿مُعَقِّباتٌ﴾ ملائكة يتعاقبون في حفظه. جمع (معقّبة) بناء المبالغة من عقّبه بالتشديد جاء على عقبه لتعقّب بعضهم بعضاً أو لتعقبهم عمله فيكتبونه، أو أعتقب فأدغم التاء في القاف. قيل: هم ملائكة الليل والنهار الذين يحفظون على العبد عمله. وقيل: هم ملائكة يحفظونه من المهالك ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ يطوفون به من جوانبه، أو من الأعمال ما قدّم وأخّر ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾ من المهالك، أومن الجن وغيرهم، أويحفظون أعماله ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ من أجل أمره، أو بمعنى: الباء أي: باذنه، أو هوصفة أخرى لـ(معقبات) أي: كاتبة بأمره. وعن الباقر (ع): بأمر اللّه من أن يقع في ركي[1]، أو يقع عليه حائط، أو يصيبه شيء. وعن الصادق (ع): إنما نزلت له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر اللّه ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ﴾ من النعمة ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾ من الطاعة بالمعصية ويظلم بعضهم بعضاً ﴿وَإِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً﴾ عذاباً، أو بلاءً ﴿فَلا مَرَدَّ﴾ لا مدفع ﴿لَهُ﴾ من أحد ﴿وَما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ﴾ يلي أمرهم فيمنع العذاب عنهم ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً﴾ من الصواعق ﴿وَطَمَعاً﴾ في الغيث أو خوفاً للمسافر وطمعاً للمقيم ـ كما عن الرضا (ع) ـ أو خوفاً لمن يخاف المطر وطمعاً لمن يرجوه، وهما حالان من (البرق) بإضمار(إذا) أو من المخاطبين أي: خائفين وطامعين، أو علتان أي: إخافةً وإطماعاً، أو إراءة خوف وطمع ﴿وَيُنْشِئُ﴾ يخلق ﴿السَّحابَ﴾ جمع (سحابة) ﴿الثِّقالَ﴾ بالماء ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ﴾ أي: سامعوه متلبسين ﴿بِحَمْدِهِ﴾ فيقولون: سبحان اللّه والحمد للّه، أو يدعو الرعد إلى تسبيحه وحمده

---

(١) جمع (رَكِيَّة) وهي: البئر التي لم تطو.

تعالى لما فيه من الآيات، أو هو مَلَك موكّل بالسحاب يسوقه ويزجره بصوته فهو يسبح الله ويحمده. سئل النبي (ص) عن الرعد فقال: مَلَك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب. وروي: أن الرّعد صوت مَلَك أكبر من الذباب وأصغر من الزنبور. وعن النبي (ص): إذا سمع صوت الرعد قال: سبحان من يسبح الرعد بحمده﴿ والْمَلائكَةُ ﴾ ويسبح الملائكة﴿ مِنْ خِيفَتِه﴾ من خشيته تعالى، وقيل الضمير لـ(الرعد)﴿ ويُرْسِلُ الصَّواعِقَ﴾ جمع (صاعقة) نارٌ تنزل من السماء﴿ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ﴾ ويصرفها عمّن يشاء﴿ وهُمْ يُجادِلُونَ فِي اللَّه﴾ (الواو) حاليه، أو عاطفة أي: هؤلاء الجهال مع مشاهدتهم الآيات يخاصمون في التوحيد والمعاد﴿ وهُوشَدِيدُ الْمِحالِ﴾ أي: المماحلة والمكايدة لأعدائه، أو الأخذ والنقمة، القمي: شديد الغضب. وعن علي (ع): شديد الأخذ.

[سورة الرعد الآيات١٤ - ١٨]

لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿١٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ

تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ أي: كلمته، وهي: لا إله الا الله، أو الدعوة المجابة فانه يجيب من دعاه، أو دعوة المدعو الحق وهو الله﴿ والَّذينَ يَدْعُونَ﴾ والأصنام الذين يدعوهم، أو يعبدهم المشركون﴿ مِنْ دُونه﴾ أي: غيره﴿ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ من مطالبهم﴿ إلاّ كَباسِطِ﴾ إلا استجابة كإستجابة باسط ﴿ كَفَّيْهِ إلى الْماءِ﴾ يدعوه ﴿ لِيَبْلُغَ فاهُ﴾ بانتقاله من مكانه إليه﴿ وما هُوَببالغه﴾ ولن يبلغ فاه لأنه جماد لا يشعر فكذلك آلهتهم. عن الباقر (ع): هذا مَثَلٌ ضربه الله للذين يعبدون الأصنام والذين يعبدون الآلهة من دون الله فلا يستجيبون لهم بشيءولا ينفعهم الا كباسط كفّيه إلى

الماء ليتناوله من بعيد ولا يناله﴿ وما دُعاءُ الْكافِرينَ﴾ آلهتهم ﴿ إلاّ في ضَلالٍ﴾ في ذهاب عن الحق، أو عن طريق الإجابة والنفع﴿ ولِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ والأَرْضِ طَوْعاً﴾ كالملائكة والمؤمنين﴿ وَكَرْهاً﴾ كالكفرة المكرهين بالسّيف وهما حالان، أو علتان﴿ وظِلالُهُمْ﴾ أي: ويسجد ظلالهم أي: شخصهم لله فانّ من يسجد يسجد ظله معه، وفي التفسير: يسجد ظل الكافر ولا يسجد الكافر ومعناه: أنه سجد شخصه دون قلبه. وقيل: ان الظلال على ظاهرها والمعنى: في سجودها تمايلها من جانب إلى جانب وانقيادها للتسخير بالطول والقصر﴿بِالْغُدُوِ والآصالِ﴾ بالبكرة والعشيات أي: دائماً ظرف لـ(يسجد) أو حال لـ(ظلالهم). وعن الباقر(ع): امّا من يسجد من أهل السموات طوعاً فالملائكة يسجدون لله طوعاً ومن يسجد من أهل الأرض فمن ولد في الإسلام فهويسجد له طوعاً، وأما من يسجد له كرهاً فمن جبر على الإسلام، وأما من لم يسجد فظله يسجد بالغداة والعشي. والقمي: قال تحويل كل ظل خلقه الله هوسجود له لأنه ليس شيء إلاّ له ظل يتحرك وتحويله سجوده﴿ قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفّار: ﴿ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ والأَرْضِ﴾ خالقهما ومدبرهما ﴿ قُلِ اللّهُ﴾ مجيباً عنهم، أو لا جواب غيره﴿ قُلْ﴾ تبكيتاً لهم﴿ أَ فَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره﴿ أولِياءَ﴾ جمادات تعبدونها﴿ لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً ولا ضَرّاً﴾ فضلاً عن غيرهم﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الاعْمى والْبَصِيرُ﴾ المشرك والموحّد﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُماتُ والنُّورُ﴾ أي: الكفروالإيمان، أو الضلالة والهدى، أوالجهل والعلم. وقرأ أبوبكر وحمزة والكسائي بالياء﴿ أَمْ﴾ بل﴿ جَعَلُوا لِلّهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ صفة (شركاء)﴿ فَتَشابَهَ الْخَلْقُ﴾ خلق الله وخلقهم﴿ عَلَيْهِمْ﴾ فقالوا استحقوا العبادة بخلقهم كما استحقها وهو إنكار أي: ليس الأمر كذلك بل جعلوا له شركاء عاجزين عن الخلق ﴿ قُلِ اللّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا خالق سواه فلا شريك له في العبادة﴿ وهُوَالْواحِدُ﴾

المتوحد بالربوبية﴿ الْقَهَّارُ﴾ لكل شيء﴿ أنزل مِنَ السَّماء ماءً﴾ مطراً﴿ فَسالَتْ أودِيَةٌ﴾ أي: مياهها. والوادي مسيل الماء واستعمل لما به اتساعاً﴿ بِقَدَرِها﴾ في الصغر والكبر وبمقدارها الذي علم الله انه نافع﴿ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً﴾ وهوالأبيض المنتفخ على وجه الماء﴿ رابِياً﴾ عالياً عليه ﴿ ومِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ من الفلزات كالذهب والفضة والنحاس والحديد. وقرأ حمزة وحفص والكسائي بالياء﴿ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ﴾ طلب زينة﴿ أو مَتاعٍ﴾ ينتفع به كالأواني وغيرها﴿ زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾ أي: من هذه الأشياء زبد مثل زبد السيل هوخبثها﴿ كَذلِكَ﴾ المذكور﴿ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْباطِلَ﴾ أي: مثلهما فالصافي المنتفع به والفلز مثل الحق، والزبد المضمحل منهما مثل الباطل﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾ من السيل والفلز المذاب﴿ فَيَذْهَبُ جُفاءً﴾ حال. أي: مرمياً به باطلاً﴿ وأَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من الماء والفلز﴿ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ يبقى دهراً﴿ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الامْثالَ﴾ للحق الباقي والباطل المضمحل. القمي يقول: أنزل الحق من السماء فاحتمله القلوب بأهوائها: ذواليقين على قدر يقينه وذوالشك على قدر شكه. فاحتمل الهوى باطلاً كثيراً وجفاءً فالماء هو: الحق، والأودية هي: القلوب، والسيل هو: الهوى والزبد، وخبث الحلية هو: الباطل، والحلية والمتاع هو: الحق من أصاب الحلية والمتاع في الدين انتفع به، كذلك صاحب الحق يوم القيامة ينفعه، ومن أصاب الزبد وخبث الحلية في الدنيا لم ينتفع، وكذلك صاحب الباطل يوم القيامة لا ينتفع به. وعن علي (ع): الزبد في هذا الموضع كلام الملحدين الذين أثبتوه في القرآن فهويضمحل ويبطل ويتلاشى عند التحصيل، والذي ينفع الناس منه فالتنزيل الحقيقي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والقلوب تقبله والأرض ـ في هذا الموضع ـ محل العلم وقراره﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمُ﴾ لدعوته فآمنوا به المثوبة﴿ الْحُسْنى وَالَّذِينَ لَمْ

﴿يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ مبتدأ خبره: ﴿لَوْأَنَّ لَهُمْ ما فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ﴾ وقيل: (للذين) متعلق بـ(يضرب)أي: يضرب الأمثال لشأن المؤمنين والكفرة، فـ(الحسنى) صفة مصدر (استجابوا) والشرطية إستئناف ﴿أُولئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسابِ﴾ المناقشة فيه، ولا يغفر لهم ذنب، أو سوء الجزاء سمي (حساباً) لأن فيه إعطاء المستحق حقه. وعن الصادق (ع): هو أن لا يقبل لهم حسنة ولا تغفر لهم سيئة. وفي الحديث من نوقش في الحساب عذّب ﴿وَمَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهادُ﴾ الفراش هي لأنها موضع المهاد لهم.

[سورة الرعد الآيات١٩ - ٢٨]

أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ

وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

﴿ أ فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أنزل إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ فمنعه ﴿ كَمَنْ هُوَأَعْمى﴾ لا يعلمه ولا يتبعه، إنكار ان يتوهم تشابههما. عن الباقر (ع): في قوله: (أ فمن يعلم...)إلخ قال: علي (ع). وفي رواية: كمن هو أعمى: قال: الأول﴿ إِنَّما يَتَذَكَّرُ﴾ يعتبر﴿ أولوا الألباب﴾ ذوو العقول﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ ما ألزمهم إياه عقلاً، أو سمعاً، أو ما أخذه عليهم في عالم الذر﴿ ولا يَنْقُضُونَ الْمِيثاقَ﴾ ما وثقوه بينهم وبين الله وبين العباد. تأكيد، أو تعميم بعد تخصيص. وعن الكاظم (ع): نزلت هذه الآية في آل محمد (ص) وما عاهدهم عليه وما أخذ عليهم من الميثاق في الذّر من ولاية أمير المؤمنين (ع) والأئمة بعده﴿ والَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من الإيمان بالرسل والرحم وحقوق الخلق عن الصادق (ع): نزلت في رحم آل محمد (ص) وقد تكون في قرابتك. وعنه (ع): ما فرض الله في المال من غير الزكاة قوله، وذكر الآية﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: عذابه﴿ وَيَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ﴾ المناقشة فيه. عن الصادق (ع): خافوا الإستقصاء والمداقة[1] فسمّاه الله سوء الحساب فمن استقصى فقد أساء﴿ والَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على

---

(١) أي: أن يدقق الله تعالى في حسابهم.

البلاء والتكاليف، أو عن معاصي الله﴿ ابْتغاءَ وَجْهِ ربِّهِمْ ﴾ طلب رضاه، لا رياء ولا سمعة ﴿ وأقامُوا الصَّلاةَ﴾ أدّوها بحدودها، أو داوموا على فعلها﴿ وأنفَقُوا ممَّا رزَقْناهُمْ سِرًّا وعَلانِيَةً﴾ ظاهراً وباطناً﴿ ويَدْرَؤنَ بالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي: يدفعون بالطاعة المعصية، أو إساءة من أساء إليهم بالإحسان والعفو، أو يدفعون بالتوبة معرّة[1] الذنب﴿ أولئكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ العاقبة الحميدة في الدار الآخرة وأبدل من عقبى ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ العدن: الإقامة الطويلة ومنه المعدن أي: جنات يقيمون فيها تدوم ولا تفنى، وقيل: الدرجة العليا وقيل: بطنان الجنة﴿ يَدْخُلُونَها ومَنْ صَلَحَ﴾ عطف على الواو وسوّغه الضمير الفاصل، أومفعول معه أي: من آمن﴿ مِنْ آبائِهِمْ وأزْواجِهِمْ وذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ يلحقون بهم وإن لم يعملوا كعملهم كرامة لهم، ويفيد عدم نفع الأنساب دون الإيمان﴿ والْمَلائِكَةُ يَدْخُلونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ﴾ من أبواب الجنة، أو القصور، أو الهدايا قائلين: ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ تهنئة بالسلامة﴿ بما صَبَرْتُمْ﴾ يتعلق بـ(سلام عليكم) أو بمحذوف أي: سلمتم، أو هذا بصبركم﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ما أنتم فيه من الكرامة. القمي: نزلت في الأئمة وشيعتهم الذين صبروا﴿ والَّذينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ﴾ ما وثقوه به﴿ ويَقْطَعُونَ ما أمَرَ اللهُ به أنْ يُوصَلَ ويُفْسِدُونَ في الأرْضِ﴾ بالظلم والكفر﴿ أولئكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ ولَهُمْ سُوءُ الدَّارِ اللهُ﴾ لا سواه﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ﴾ أي: يوسعه على من يشاء﴿ مِنْ عبادِهِ ويَقْدِرُ ﴾ ويضيّقه على آخرين﴿ وفَرِحُوا بالْحَياةِ الدُّنْيا﴾ بما أوتوا من حطامها﴿ ومَا الْحَياةُ الدُّنْيا في الآخِرَةِ﴾ في جنسها﴿ إلاَّ مَتاعٌ﴾ شيء نزر[2] يتمتع به ويزول﴿ ويَقُولُ الَّذينَ كَفَرُوا لَولا﴾ هلاّ

---

(١) الأذى والمكروه الذي ينتج عن عملٍ ما.

(٢) قليل جداً.

﴿أنزل عَلَيْه﴾ على محمد﴿آية منْ ربِّه﴾ كالناقة والعصا، لعدم إعتدادهم بآياته بل اقترحوا﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ﴾ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات﴿ويَهْدي إِلَيْهِ مَنْ أَنابَ﴾ رجع عن العناد إلى الإنقياد، أي: يثبّته عليه بلطفه﴿الَّذينَ آمَنُوا﴾ بدل من (من)﴿وَتَطْمَئِنُّ﴾ وتسكن﴿قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أنساً وثقةً به، أو بالقرآن لتضمنه دلائل وحدانيته وآيات وعده ورحمته وقوله: (إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)[1] أي: من وعيده ونقمته﴿ألا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ لإزالته الشكوك الموجبة للإضطراب.

[سورة الرعد الآيات٢٩ - ٣٤]

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ

---

(١) سورة الحج الآية ٣٥.

فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

﴿ الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾ مبتدأ خبره: ﴿ طُوبى لَهُمْ﴾ مصدر طاب، و واوه عن ياء مرفوع، أومنصوب أي: طيب عيش، أو فرح، أو غبطة، أو شجرة في الجنة أصلها في دار النبي (ص) وعلي (ع) وفرعها على أهل الجنة ـ كما استفاضت به الأخبار ـ وسئل النبي (ص) عنها فقال: شجرة في داري. ثم سئل أخرى، فقال: في دار علي (ع). فقيل له في ذلك؟ فقال: داري هي داره في الجنة﴿ وحُسْنُ﴾ بالنصب ﴿ مَآبٍ﴾ مرجع﴿ كَذلِكَ﴾ كما أرسلنا الرسل قبلك ﴿ أرْسَلْناكَ في أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿ مِنْ قَبْلِها أُمَمٌ﴾ فهي آخر الأمم، وأنت خاتم الرسل﴿ لِتَتْلُوَا﴾ لتقرأ﴿ عَلَيْهِمُ الَّذي أوحَيْنا إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿ وهُمْ يَكْفُرُونَ بالرَّحْمنِ﴾ البليغ الرحمة، العميم النعمة التي منها إرسالك إليهم، وتنزيل القرآن عليهم، فكفروا بها، أوكفرهم قولهم: وما الرّحمن؟ حين أمروا بالسجود له﴿ قُلْ هُوَرَبِّي لا إلهَ إلاّ هُوعَلَيْه تَوَكَّلْتُ﴾ في أموري﴿ وإِلَيْهِ مَتابِ﴾ توبتي أي: رجوعي﴿ ولَوأنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِه الجِبالُ﴾ أزيلت عن مواضعها﴿ أو قُطِّعَتْ بِهِ الأرْضُ ﴾ شققت فجعلت أنهاراً، أوعيوناً﴿ أوكُلِّمَ بِهِ

﴿الْمَوْتى﴾ بعد إحيائهم. وجواب (لو) محذوف أي: لكان هذا القرآن العظيم الشّأن، أو لما آمنوا لفرط عنادهم. قيل: قالوا له (ص): إن كنت نبياً فسيّر عنا جبال مكة واجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً لنزرع، وأحي لنا أمواتنا ليكلمونا فيك، فنزلت. وعن الكاظم (ع): قد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير الجبال، وتقطع به البلدان، ويحيى به الموتى ﴿بَلْ لِلَّهِ الامْرُ جَمِيعاً﴾ لا لغيره، فهو القادر على الإتيان بمقترحهم، لكنه صرفه علمه بأنّ إظهاره مفسدة ﴿أَ فَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فلم يعلموا. سمي العلم (يأساً) لأنه سبب اليأس إذ من علم شيئاً يئس من خلافه. ويعضده قراءة أهل البيت وابن عباس وجماعة: (أ فلم يتبين). وقيل: معناه: أ فلم يقنطوا من إيمان هؤلاء الكفرة لعلمهم ﴿أَنْ﴾ مخففة أي: أنه ﴿لَوْيَشاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾ إلى الجنة لكنه كلّفهم لينالوها باستحقاق، أو لو يشاء إلجاءهم لألجأهم لكنه ينافي الغرض من التكليف وجملة: (أن لويشاء) يتعلق بـ(ييأس) إن فسّر بـ(يعلم) وإلا فبمحذوف ﴿وَلا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِما صَنَعُوا﴾ من الكفر ﴿قارِعَةٌ﴾ داهية تقرعهم من الجدب والقتل والأسر ﴿أَوتَحُلُّ﴾ القارعة ﴿قَرِيباً مِنْ دارِهِمْ﴾ فيخافونها، أو تحل أنت يا محمد (ص) بجيشك قريباً من دارهم مكة ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ ما وعده من الموت، أو فتح مكة، أو يوم القيامة ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ﴾ عن الباقر (ع): ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة وهي النقمة، أوتحل قريباً من دارهم فتحل بقوم غيرهم فيرون ذلك ويسمعون به، والذين حلّت بهم عصاة كفّار مثلهم ولا يتعظ بعضهم ببعض ولن يزالوا كذلك حتى يأتي وعد اللّه الذي وعد المؤمنين من النّصر ويخزي اللّه الكافرين ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ تسلية له (ص) ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أمهلتهم ملاوة أي: مدة و(الملوان): الليل والنهار ﴿ثُمَّ

﴿أَخَذْتُهُمْ﴾ أهلكتهم ﴿فَكَيْفَ كانَ عِقابِ﴾ عقابي لهم، فكذلك آخذ من استهزأ بك. وفيه إشارة إلى تفخيم العقاب وتعظيمه، ثم عاد إلى الحجاج مع الكفّار ﴿أَ فَمَنْ هُوَقائِمٌ﴾ بالتدبير ﴿عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ﴾ من خيرٍ وشرٍ، وهوالله تعالى. والخبر محذوف أي: كمن ليس كذلك من الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ﴿وجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ﴾ إستئناف، أو عطف على الخبر- إن قدر بما يمكن عطفه عليه - مثل (لم يوحدوه وجعلوا له شركاء) على وضع الظاهر موضع الضمير تقديراً للآلهية ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ له من هم. أي: ليس لهم إسم يستحقون به الآلهية، وهذا استحقاق لهم ﴿أَمْ﴾ بل ﴿تُنَبِّئُونَهُ بِما لا يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ﴾ أي: بشركاء لا يعلمهم استفهام إنكار، أي: لا شريك له ﴿أَمْ﴾ بل أ تسمونهم شركاء ﴿بِظاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾ بزعم باطل لا حقيقة له ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ شركهم ﴿وصُدُّوا﴾ أعرضوا، أوصرفوا غيرهم، وضم الكوفيون الصاد أي: صرفوا ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾ طريق الحق ﴿ومَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ يخذله بسوء إختياره ﴿فَما لَهُ مِنْ هادٍ﴾ يوفقه، أويقسره على الهدى ﴿لَهُمْ عَذابٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ بالقتل والأسر والمصائب والأمراض ﴿ولَعَذابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أغلظ لشدته ﴿وما لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿مِنْ واقٍ﴾ دافع.

[سورة الرعد الآيات ٣٥ - ٤٣]

مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ

مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: شبهها، أو صفتها. مبتدأ حذف خبره أي: فيما يقص عليكم، أو الخبر﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ﴾ كقولك صفة زيد طويل،

أو بتقدير: مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار﴿ أُكُلُها﴾ ثمرها ﴿ دائمٌ﴾ باق ﴿ وظِلُّها ﴾كذلك لا تنسخه شمس﴿ تِلْكَ﴾ الجنة ﴿ عُقْبى﴾ مآل﴿ الَّذينَ اتَّقَوْا﴾ الله﴿ وعُقْبى الكافِرينَ النَّارُ﴾ وفي ترتيب التطمين إطماع للمتقين وإقناط للكافرين ﴿ والَّذينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ﴾ القرآن أي: الذين آمنوا به وصدقوه، أو المعنى: الذين آمنوا من اليهود والنصارى﴿ يَفْرَحُونَ بِما أُنزِل إِلَيْكَ﴾ لموافقته كتابهم والذين اعطوا القرآن يزداد فرحهم بما فيه من العلوم ويتلقونه بالبشر﴿ ومِنَ الأَحْزابِ﴾ الذين تحزبوا عليك بالعداوة من المشركين وكفرة أهل الكتاب﴿ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ﴾ وهوما خالف أحكامهم﴿ قُلْ إِنَّما أُمِرْتُ﴾ فيما أنزل اليّ﴿ أَنْ﴾ أي: بأن﴿ أَعْبُدَ اللَّهَ ولا أُشْرِكَ به إِلَيْه أَدْعُوا﴾ لا إلى غيره﴿ وإِلَيْه مَآبِ﴾ مرجعي﴿ وَكَذلِكَ﴾ الإنزال ﴿ أنزلناهُ﴾ أي: القرآن﴿ حُكْماً﴾ حكمة، أو يحكم بين الناس﴿ عَرَبِيًّا﴾ بلسان العرب ليفهموه، وهو حال ﴿ ولَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ﴾ فيما يدعونك إليه﴿ مِنَ﴾ ملتهم﴿ بَعْدَ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بنسخها ﴿ ما لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ من ناصر﴿ ولا واقٍ﴾ دافع عقوبته. والخطاب من باب: أياك أعني، وفيه حسم لأطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم﴿ ولَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾ بشراً مثلك﴿ وجَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجاً وذُرِّيَّةً﴾ أكثر مما جعلنا لك، فكان لسليمان ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية، ولداود مائة إمرأة فلا ينبغي أن يستنكر منك أن تتزوج ويولد لك. وعن الصادق (ع): فما كان رسول الله (ص) إلا كأحد أولئك جعل الله له أزواجاً وجعل له ذرية، ثم لم يسلم مع أحد من الأنبياء من أسلم مع رسول الله (ص) من أهل بيته، أكرم الله بذلك رسوله ﴿ وما كانَ﴾ ما صح﴿ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيةٍ﴾ مقترحة عليه﴿ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ له في ذلك، فإنه القادر عليه، أو بمشيئته﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ وقت﴿ كِتابٌ﴾ حكم مكتوب على الخلق ما يوجبه تدبيرهم. وقيل: هوعلى القلب أي: لكل كتاب وقت يعمل به،

فللتوراة وقت، وللإنجيل وقت، وللقرآن وقت ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ﴾ من رزق وأجل، وسعادة وشقاوة﴿ ويُثْبِتُ﴾ ما يشاء منها. وشدّده نافع وابن عامر وحمزة والكسائي، أو يمحوحكماً ويثبت غيره، أويمحومن كتاب الحفظة ما لا جزاء فيه ويثبت غيره، أو يمحوسيئات التائب ويثبت بدلها حسنات، أو يمحو قرناً[١] ويثبت آخرين﴿ وعِنْدَهُ أُمُّ الْكتابِ﴾ أصله، اللوح المحفوظ الذي لا تغيير فيه. وعن الصادق (ع): هل يمحى إلا ما كان ثابتاً وهل يثبت إلا ما لم يكن. وعنه (ع): إن ذلك الكتاب كتاب يمحوالله فيه ما يشاء ويثبت، فمن ذلك الذي يردّ الدعاء القضاء حتى إذا صار إلى أم الكتاب لم يغن الدعاء فيه شيئاً﴿ وإنْ ما﴾ (إن) الشرطية أدغمت في (ما) الزائدة﴿ نُرِيَنَّكَ﴾ يا محمد (ص)﴿ بَعْضَ الَّذي نَعِدُهُمْ﴾ من تمكنك منهم بالقتل والأسر واغتنام الأموال﴿ أونَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل ذلك. فلا تنتظر أن يكون جميع ذلك في حياتك﴿ فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ﴾ أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم لا غير﴿ وعَلَيْنَا الْحسابُ﴾ والجزاء عاجلاً، أوآجلاً﴿ أَ ولَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ﴾ أي: نقصدها ﴿ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها﴾ بإماتة أهلها، أو بذهاب علمائها وفقهائها، أو بالفتوح على المسلمين منها فتنقص من أهل الكفر وتزيد في المسلمين. وفي المستفيضة: فسّر بموت العلماء والفقهاء والأخيار﴿ واللَّهُ يَحْكُمُ﴾ في خلقه﴿ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِه﴾ لا رادّ له. وهوحال أي: نافذاً حكمه﴿ وَهُوسَرِيعُ الْحِسابِ﴾ للعباد﴿ وقَدْ مَكَرَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ برسلهم﴿ فَلِلّه الْمَكْرُ جَمِيعاً﴾ أي: يملك جزاء المكر﴿ يَعْلَمُ ما تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من خيرٍ وشرٍ﴿ وسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، ألهم أم للرسول والمؤمنين؟ وقرأ نافع وابن كثير وابوعمرو (الكافر)

(١) القرن ـ هنا ـ الجماعة من الناس.

أي: جنسه﴿ ويَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ﴾ لهم ﴿ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وبَيْنَكُمْ﴾ بإظهار المعجزات الشاهدة بصدقي﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾ اللوح المحفوظ، أي: كفى بالمستحق للعبادة والعالم ما في اللوح شهيداً، أوعلم القرآن أي: الإحاطة بعلمه وهو علي وأهل البيت، ويؤيد الأول: قراءة النبي (ص) وعلي (ع): (ومِن عندِه) بكسر الميم والدال، ويدل على الثاني: المستفيضة. فعن الباقر (ع): إيانا عنى وعلي أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي (ص). وفي آخر إيانا عنى بمن عنده علم الكتاب.

تمت ـ ولله الحمد ـ سورة الرعد وتفسيرها.

سورة ابراهيم

خمسون أو إحدى وخمسون آية، مكية.

[الآيات ١ – ٥]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ

إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

وعن النبي (ص): من قرأها أعطي من الحسنات بعدد من عبد الأصنام ومن لم يعبدها. وقال الصادق (ع): من كتبها على خرقة بيضاء وجعلها على عضد طفل صغير أمن من البكاء والفزع والتوابع وسهل الله عليه فطامه.﴿ بسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الر كتابٌ﴾ هذا القرآن، أو السورة كتاب﴿ أنزلناهُ إِلَيْكَ لِتُخرِجَ النَّاسَ﴾ بدعوتهم إلى ما فيه﴿ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ﴾ من أنواع الضلالات والكفر إلى الهدى والإيمان ﴿ بِإذْنِ ربِّهِمْ﴾ بأمره بذلك. صلة لـ(تخرج)، أو حال من فاعله، أومفعوله﴿ إلى صِراطِ﴾ بدل من (إلى النور) أي: إلى طريق﴿ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ القاهر سلطانه، المحمود شانه ﴿ اللّهِ الَّذي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وما فِي الأَرْضِ﴾ بالجر، بدل من (العزيز) رفعه ابن عامر مبتدأ وخبراً، أو خبر محذوف و(الذي) صفته﴿ وَوَيْلٌ لِلْكافِرِينَ مِنْ عَذابٍ شَدِيدٍ﴾ أي: يولولون منه ويقولون: يا ويلاه. والويل: الهلاك نقيض(الوال) وهو: النجاة﴿ الَّذينَ﴾ نعت، أو ذم منصوب، أو مرفوع أو مبتدأ خبره: أولئك وخبره: ﴿ يَسْتَحِبُّونَ الْحَياةَ الدُّنْيا﴾ يختارون المقام فيها وهي دار انتقال وفناء﴿ عَلَى الآخِرَةِ﴾ وهي دار بقاء﴿ ويَصُدُّونَ﴾ الناس﴿ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ﴾ عن دينه﴿ ويَبْغُونَها عِوَجاً﴾ يطلبون لها زيغاً، فحذف اللام وأوصل الفعل﴿ أولئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ عن الحق

﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ إلا بلغتهم﴿ ليبين لهم﴾ ما أمروا به، فيفهموه بيسر وسرعة ولا يحتاجوا إلى من يترجمه عنه، ثم ينقلوه ويترجموه إلى غيرهم. وقد أرسل الله نبياً إلى الخلق كافة على إختلاف ألسنتهم بلسان قومه. وقيل: الضمير في قومه لمحمد (ص)، أو انه تعالى أنزل الكتب كلها بالعربية ترجمها جبرئيل، أوكل شيء بلغة المنزل عليهم﴿ فيضل الله﴾ يخذل﴿ من يشاء﴾ ممّن أعرض عنه ﴿ ويهدي﴾ بلطفه﴿ من يشاء﴾ ممّن تدبر بعقله﴿ وهو العزيز الحكيم﴾ الغالب المدبّر لحكمته﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ بالمعجزات كاليد والعصا وغيرهما﴿ أن أخرج﴾ أي: اخرج لأن في الإرسال معنى القول، أو بأن أخرج﴿ قومك من الظلمات إلى النور﴾ أي: من الكفر إلى الإيمان﴿ وذكرهم بأيام الله﴾ بوفاته بعد في الأمم الخالية ليحذروا مثله، أو بنعمائه في سائر أيامه، أو بسننه وأفعاله في عباده من إنعام وإنتقام. وعن الصادق (ع): بنعم الله وآلائه. والقمي: أيام الله: يوم القائم ويوم الموت ويوم القيامة. وعن الباقر(ع): أيام الله يوم يقوم القائم ويوم الكرّة ويوم القيامة﴿ إنّ في ذلك﴾ التذكير﴿ لآيات لكلّ صبّار﴾ على بلائه ﴿ شكور﴾على نعمائه، أو لكل مؤمن لأنه لايخلومن نعمة يشكرها أو محنة يصبر عليها.

[سورة إبراهيم الآيات٦ - ١٠]

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ

عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

﴿ وإِذْ﴾ اذكر إذ ﴿ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّه عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجاكُمْ﴾ أي: وقت إنجائه إياكم﴿ مِنْ آل فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾يذيقونكم﴿ سُوءَ الْعَذاب﴾ بالإستعباد وغيره﴿ ويُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ ويَسْتَحْيُونَ نساءَكُمْ﴾ يستبقونهن للخدمة﴿ وفِي ذلِكُمْ﴾ الإنجاء، أو العذاب﴿ بَلاءٌ﴾ إبتلاء﴿ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أو المعنى: في ذلكم الإنجاء نعمة عظيمة﴿ وإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أذنَ كتوعد وأوعد أي: اعلم﴿ رَبُّكُمْ﴾ ولتضمنه القسم جيء بلام موطئة له في﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ﴾ نعمتي بالإيمان والطاعة﴿ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ نعماً﴿ ولَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾ جحدتم النعم بالكفر والمعاصي. وجوابه دل عليه﴿ إِنَّ عَذابِي

﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: لأعذبنكم. ومن عادة أكرم الأكرمين أن يصرّح بالوعد ويعرّض بالوعيد. روي: أن الكفر في الآية كفر النعم ﴿وقالَ مُوسى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ ومَنْ فِي الأَرْضِ﴾ من الخلق ﴿جَمِيعاً﴾ لم تضرّوا الله شيئاً بل تضرّوا أنفسكم بحرمانها النعم وتعريضها للنقم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن شكركم ﴿حَمِيدٌ﴾ أهل للحمد، محمود في الملأ الأعلى، مستحق للحمد في ذاته (وان من شيء إلا يسبح بحمده)[1] ﴿أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وعادٍ وثَمُودَ﴾ بدل من ضمير (قبلكم) والخطاب لقوم نبينا (ص)، أومن قول موسى استفهام تقرير ﴿والَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ عطف على ما قبله ﴿لايَعْلَمُهُمْ﴾ اعتراض، أو خبر (الذين) والجملة اعتراض أي: لا يعلم عددهم لكثرتهم، أو تفاصيل أحوالهم وما فعلوه وفعل بهم ﴿إِلاَّ اللَّهُ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ﴾ بالأدلة على صدقهم والحجج والأحكام ﴿فَرَدُّوا أَيدِيَهُمْ فِي أَفْواهِهِمْ﴾ عضّوا على أصابعهم من شدّة الغيظ، لأنه ثقل عليهم مكان الرسول كقوله (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ)[2] أو جعلوا أيديهم في أفواه الأنبياء تكذيباً وتسكيناً لهم، ورداً لما جاءوا به، أو أمراً لهم بإطباق الأفواه. والقمي: أي: في أفواه الأنبياء، أو وضعوا أيديهم في أفواههم مومين بذلك إلى الرسل أن اسكتوا عمّا تدعونا إليه، أو وضعوها عليها تعجباً واستهزاء كمن غلبه الضحك، أو وضعوا أيدي الرسل على أفواههم ليقطعوا كلامهم، أو أريد بـ(الأيدي) النعم وهي ما نطقت به الرسل من الحجج أي: ردّوا حججهم في حيث جاءت بأن كذبوها ﴿وقالُوا إِنَّا كَفَرْنا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ بزعمكم ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنا إِلَيْهِ﴾ من الدين ﴿مُرِيبٍ﴾ موجب للرّيب،

---

(١) سورة الإسراء الآية ٤٤.

(٢) سورة آل عمران الآية ١١٩.

أو ذي ريبة بكم انكم تطلبون الرئاسة﴿ قالَتْ رُسُلُهُمْ أَ فِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ مع قيام الأدلة الكثيرة الظاهرة على وحدانيت. وأدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام في المشكوك فيه لا في الشك﴿ فاطِرِ السَّماواتِ والأَرْضِ﴾ صفة، أو بدل و(شك) مرتفع بالظرف أي: خالقهما ومنشؤهما لا يقدر على ذلك غيره، فهو الواجب أن يعبد ولا يشرك به﴿ يَدْعُوكُمْ﴾ يبعثنا إلى الإيمان به﴿ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ بعضها وهوحقّه لسقوطه بالإسلام دون مظالم العباد، أو وضع البعض موضع الجميع توسّعاً ﴿ وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا مؤاخذة﴿ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ وقت الموت﴿ قالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا﴾ لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا؟﴿ تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونا عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا﴾ من الأصنام والأوثان﴿ فَأْتُونا بِسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾ بحجة واضحة على صحة ما تدّعونه وبطلان ما نحن فيه، ولم يعتدوا بما جاءوا به من المعجزات واقترحوا غيرها.

[سورة إبراهيم الآيات ١١ - ١٨]

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

﴿قالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحنُ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ في الصورة والهيئة، ولسنا ملائكة ﴿ولكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ﴾ ينعم ﴿عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾ بالنبوة فلقد منّ علينا بها واصطفانا لها ﴿وَ ما كانَ﴾ ما صحّ ﴿لنا أَنْ نَأتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ إلاَّ بِإذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره أي: ليس ذلك في وسعنا وانّما هومتعلق بمشيئته تعالى ﴿وعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ في أمورهم في الصبر على معاداته. عمّموا للإشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به أنفسهم قصد أوليائه ألا ترى قوله: ﴿وَما لَنا﴾ أيُّ شيء لنا ﴿ألاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ (ما) استفهامية، أو نافية أي: لا عذر لنا في أن لا نتوكل عليه ولا نثق به ﴿وقَدْ هَدانا سُبُلَنا﴾ الموصلة لنا إلى معرفته. وخففه ابوعمرو ﴿ولَنَصْبِرَنَّ عَلى ما آذَيْتُمُونا﴾ فانه تعالى يكفينا أمركم وينصرنا عليكم. وهو جواب قسم أكّدوا به توكلهم ﴿وعَلَى اللَّهِ

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ فانه يكفيهم﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ من بلادنا﴿ أَوْلَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ إلا أن ترجعوا إلى أدياننا ومذاهبنا، فـ(أو) بمعنى: (إلا) والعود بمعنى: الصيرورة، أو ظنوا أنهم كانوا عليها ويجوز الخطاب لكل رسول لمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد﴿ فَأَوحَى إِلَيْهِمْ﴾ إلى الرسل ﴿ رَبُّهُمْ﴾ لما ضاقت صدورهم بما لقوا من قومهم﴿ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ على إضمار القول، أوإجراء الإيحاء مجراه﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ﴾ أي: أرضهم﴿ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ في النبوي: من آذى جاره طمعاً في مسكنه ورثه الله داره وقرأ الأي:ة﴿ ذَلِكَ﴾ الإسكان بعد إهلاك الظلمة﴿ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ الذي أقيمه فيه للحساب، أو قيامي عليه رقيباً﴿ وَخَافَ وَعِيدِ﴾ أي: عقابي، وأثبت ورش الياء وصلاً﴿ وَاسْتَفْتَحُوا﴾ طلب الرسل من الله الفتح على الكفار والنصر على الأعداء، أو الحكم بينهم وبينهم، أو سأله الكفار نصر المحق على المبطل. وقيل: الضمير للكفرة. أي: استفتحوا العذاب الذي توعدهم به الأنبياء على جهة التكذيب لهم. وقيل: للفريقين فإنهم جميعاً سألوه أن ينصر المحق ويهلك المبطل﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ يعني: ففتح لهم فأفلح المؤمنون، وخسركل متكبر معاند مجانب للحق دافع له. عن الباقر (ع): العنيد المعرض عن الحق﴿ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ ﴾ أي: أمامه. وهومن الأضداد[1]، أوسمي المستقبل به مجازاً كأنه أتى من خلف﴿ وَيُسْقَى﴾ عطف على مقدّر أي: يصلاها ويسقى﴿ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ عطف بيان لـ(ماء) وهو: ما يسيل من فروج الزناة في النار من القيح والدم ﴿ يَتَجَرَّعُهُ﴾ يشربه جرعة جرعة﴿ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ ولا يقارب أن يزدرده لنتنه وبشاعته وحرارته﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾ أي: أسبابه وموجباته﴿ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ من

---

(١) الأضداد: الكلمات التي لها معنيين متضادين. مثل (قسط) التي تعني: العدل وتعني: الظلم أيضاً.

جسده، أو من كل جهة ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ فيستريح ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِ ﴾ أمامه ﴿ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ هوالخلود في النار، أو من بعد هذا العذاب عذاب أشد منه ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ مبتدأ حذف خبره. أي: فيما يقص عليكم من صفتهم ﴿ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ ﴾ استيناف لبيان مثلهم، أو هو الخبر وأعمالهم بدل من (المثل) والخبر، كرماد ﴿ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ ﴾ ذرّته. وجمعه نافع ﴿ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ شديد الريح. شبه ما عملوا من صلة وصدقة وعتق ونحوها في بطلانها لعدم إرادتهم بها وجه الله، أو من عبادة الأصنام برماد نسفته الريح العاصفة ﴿ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ عملوا في الدنيا ﴿ عَلَى شَيْءٍ ﴾ أي: لا ينتفعون به يوم القيامة ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: عملهم ﴿ هُوَالضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ عن الحق، أو عن النفع.

[سورة إبراهيم الآيات١٩ - ٣٣]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ

وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ

ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَـٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أيها السامع بالبصر، أو القلب ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّماوات والأرْض﴾ على ما تقتضي الحكمة ﴿إِنْ يَشأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يعدمكم ويفنيكم[1] ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ مكانكم لأنّ من قدر على بناء الشيء كان على هدمه أقدر، ولا يمتنع ذلك عليه، كما قال: ﴿وما ذلكَ عَلَى اللَّه بعَزِيزٍ﴾ أي: ما إهلاككم والإتيان بخلق جديد بمتعذر، أو متعسر عليه تعالى ﴿وبَرَزُوا للَّه﴾ عبّر بالماضي لتحققه أي: يبرزون من قبورهم ويخرجون منها لحكم اللّه وأمره، أو يبرزون للّه ﴿جَميعاً﴾ مجتمعين القادة والأتباع ﴿فَقالَ الضُّعَفاءُ﴾ الأتباع الذين ضعف رأيهم ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان وهم القادة المتبوعون ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً﴾ في الكفر جمع (تابع) كـ(خدم وخادم) ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (من) الأولى

(١) لعل الصحيح: (ويفنكم) لأن الفعل وقع مجزوما. والفعل المعتل الآخر يجزم بحذف حرف العلة. وهو الياء في مثالنا.

بيانية والثانية تبعيضية. أي: بعض شيء هوعذاب الله، أو هما للتبعيض أي: بعض شيء هوبعض عذاب الله﴿ قالُوا﴾ أي: المتبوعون إعتذاراً﴿ لَوهَدانَا اللَّهُ﴾ إلى طريق الخلاص من العذاب﴿ لَهَدَيْناكُمْ﴾ أي: لوخلّصنا لخلصناكم أيضاً﴿ سَواءٌ عَلَيْنا أَ جَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا﴾ مستوٍ علينا الجزع والصبر﴿ ما لَنا مِنْ مَحِيصٍ﴾ من مهرب من عذاب الله ولا مفرّ ولا منجى﴿ وقالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الامْرُ﴾ فرغ منه، ودخل السعداء الجنة والأشقياء النار وجعلوا يلومونه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِ﴾ بالبعث والجزاء فوفى لكم﴿ و وَعَدْتُكُمْ﴾ خلاف ذلك﴿ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ الوعد﴿ وما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ﴾ تسلّط وقهر فأجبركم على الضلال. وفتح حفص الياء﴿ إلاّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾ لكن دعائي إياكم إليه بالوسوسة. وقد يجعل إستثناء متصلاً بجعل الدعاء من جنس التسلط مجازاً ﴿ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ بإختياركم﴿ فَلا تَلُومُونِي﴾ بدعائي بكم إذ شأن العداوة ذلك﴿ وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ بما جنيتموه حيث أجبتم دعائي وأعرضتم عن دعاء ربكم. ويفيد أن العبد مختار في فعله وليس من الله إلا التمكين، ولا من الشيطان إلا التريين، وإلا لقال: فلا تلوموني ولا أنفسكم فان الله جبركم. لا يقال: ان كلام الشيطان لا حجّة فيه، لأنا نقول الحجة عدم إنكار الله عليه﴿ ما أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغيثكم﴿ وما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ بمغيثيّ. بفتح الياء، وكسرها حمزة ـ لالتقاء الساكنين ـ وضعفه النحاة﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ بإشراككم أياي مع الله في الدنيا، يعنى: تبرأت منه، أو بالذي أشركتمونيه أي: جعلتموني شريكاً له بإجابتكم دعوتي من قبل أن أشركتمونيه حين أبيت السجود لآدم. وأثبت ابوعمروالياء وصلاً ﴿ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ تتمة قول الشيطان لأهل النار، أو ابتداء وعيد من الله تعالى وفي حكاية أمثال ذلك لطف للسامعين وإيقاظ لهم حتى يحاسبوا أنفسهم

ويتدبروا عواقبهم ﴿ وأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحات جَنَّات تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنهارُ خالِدِينَ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بأمره وإطلاقه، والمُدْخِل: الملائكة﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيها﴾ من الملائكة، أو فيما بينهم﴿ سَلامٌ﴾ مرّ تفسيره في يونس﴿ أَ لَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم يا محمد (ص)؟﴿ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مثلاً﴾ كيف بيّنه، جعل﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هوتفسير (ضرب الله مثلاً) أو(كلمة) بدل من (مثلاً) و(كشجرة) صفتها. و(الكلمة الطيبة): كلمة التوحيد، أو ما دعا إلى الحق، و(الشجرة الطيبة): النخلة، أو شجرة في الجنة، أو شجرة بهذا الوصف ـ وإن لم توجد ـ﴿ أَصْلُها ثابِتٌ﴾ في الأرض﴿ وفَرْعُها﴾ رأسها﴿ فِي السَّماءِ تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ﴾ تعطي ثمرها كل ستة أشهر، أوكل سنة، أوكل وقت﴿ بِإِذْنِ رَبِّها﴾ بأمره﴿ ويَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثالَ﴾ يبيّنها ﴿ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون بتدبرها. قيل شبّه الإيمان بالنخلة لثبات الإيمان في قلب المؤمن كثبات النخلة في منبتها، وشبّه إرتفاع عمله إلى السماء بإرتفاع فروع النخلة، وشبه ما يكسبه المؤمن من بركة الإيمان وثوابه في كل وقت وحين بما ينال من ثمرة النخلة في أوقات السنة كلها من الرطب والتمر. وعن الصادق (ع): هذا مَثَلٌ ضربه الله لأهل بيت نبيّه ولمن عاداهم وسئل عن الشجرة في هذه الآية؟ فقال: رسول الله (ص) أصلها وأمير المؤمنين (ع) فرعها والأئمة (ع) من ذريتهما أغصانها وعلم الأئمة (ع)ثمرها وشيعتهم المؤمنون ورقها. وفي آخر: غصن الشجرة فاطمة وثمرها أولادها وورقها شيعتها. وفي آخر: تؤتي أكلها كل حين ما يخرج من علم الإمام إليكم في كل سنة من كل فج عميق﴿ ومَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر، أو ما دعا إلى الباطل﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي الحنظل، أو الكشوت، أو ما لا ينتفع بها ﴿ اجْتُثَّتْ﴾ اقتلعت جثتها﴿ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ﴾ إستقرار، فإن الريح تنسفها وتذهب بها كما أن هذه الشجرة لا ثبات لها ولا نفع. وعن الباقر (ع): إن هذا

مثل بني أمية. وعنه (ع): كذلك الكافرون لا تصعد أعمالهم إلى السماء إلاّ قليل منهم﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ أي: بكلمة التوحيد المتمكنة في قلوبهم بالحجة﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا﴾ حتى لوفتنوا في دينهم لم يزالوا﴿ وَفِي الآخِرَةِ﴾ أي: في القبر، لا يتلعثمون إذا سألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبيّهم وإمامهم، وفي الموقف فلا يبهتون لهوله﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ لا يثبتهم في الدارين بسبب ظلمهم وكفرهم ﴿ وَيَفْعَلُ اللَّهُ ما يَشاءُ﴾ من تثبيت المؤمن وتخلية الكافر وكفره﴿ أَ لَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أي: شكرها ﴿ كُفْراً﴾ فوضعوه موضعه، أوبدلوا نفسها كفراً أي: سلبوها فاعتاضوا عنها بالكفر، ككفرة قريش أسكنهم اللّه حرمه ووسع عليهم رزقه وأكرمهم بمحمد (ص) فكفروا ذلك، فقحطوا وقتلوا وأسروا يوم بدر، فتركوا النعمة ولزموا الكفر بدلها. قال الصادق (ع): نحن واللّه نعمة اللّه وبنا يفوز من فاز﴿ وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ﴾ أتباعهم﴿ دارَ الْبَوارِ﴾ الهلاك﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها﴾ يدخلونها حال منها، أو من القوم﴿ وَبِئْسَ الْقَرارُ﴾ المقرّ هي﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً﴾ أمثالاً﴿ لِيُضِلُّوا﴾ بفتح الياء عند ابن كثير وأبي عمرو وضمّها غيرهما. و(اللام) للعاقبة﴿ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دينه﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا﴾ بما تهوون في الدنيا الزائلة، أمر تهديد﴿ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ﴾ مآلكم﴿ إِلى النَّارِ﴾ والخلود فيها﴿ قُلْ لِعِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مقول (قل) محذوف دلّ عليه جوابه، أي: قل لهم اقيموا الصلاة وأنفقوا ﴿ يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ﴾ أو الفعلان مقول القول بتقدير (لام) الأمر لدلالة (قل) عليه. وسكن ياء عبادي ابن عامر وحمزة والكسائي ﴿ سِرًّا وَعَلانِيَةً﴾ حالان، أو مصدران ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ﴾ لا افتداء فيه بمال﴿ وَلا خِلالٌ﴾ مخالّة أي: صداقة نافعة. وفتحها ابن كثير وأبوعمرو﴿ اللَّهُ﴾ مبتدأ خبره: ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَأَنزلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ

الثَّمَرات﴾ بيان لقوله: ﴿رِزْقاً﴾ طعاماً ولباساً، وهومفعول (أخرج)﴿لكُمْ وسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ السفن﴿لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِه﴾ بإرادته إلى مقاصدكم﴿وسَخَّرَ لَكُمُ الأنهارَ﴾ العذبة لإنتفاعكم﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ والْقَمَرَ دائِبَيْنِ﴾ جاريين لا يفتران لمصالحكم﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ لسباتكم﴿والنَّهارَ﴾ لمعاشكم.

[سورة إبراهيم الآيات ٣٤ - ٤٢]

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا

وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

﴿ وَآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ﴾ بعض جميع ما سألتموه أي: من كل شيء سألتموه شيئاً، أو شيئاً من حقّه أن يسأل للحاجة إليه ـ سئل أم لا ـ و(ما) موصوفة، أوموصولة، أو مصدرية والمصدر بمعنى: المفعول. وعنهما (ع): أنهما قرءا (من كلٍّ) بالتنوين فيكون (ما سألتموه) هوالمفعول وان (ما) نافية والتقدير: آتاكم من كل شيء لم تسألوه إياه. وعن الباقر (ع): الشيء لم تسأله إياه أعطاك﴿ وإِنْ تَعُدُّوا نعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها﴾ عدّ أنواعها فضلاً عن أفرادها لعدم تناهيها والنعمة ـ هنا ـ اسم أُقيم مقام المصدر ولذلك لم يجمع ويدل على أن المفرد يفيد العموم بالإضافة﴿ إِنَّ الأنْسانَ لَظَلُومٌ﴾ كثير الظلم للنعمة بترك شكرها، أولنفسه بالمعاصي﴿ كَفَّارٌ﴾ شديد الكفر، أو ظلوم في الشدّة يجزع، كفّار في النعمة يمنع﴿ وإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾ مكة ﴿ آمِناً﴾ ذا أمن لما فيه﴿ واجْنُبْنِي﴾ بعّدني﴿ وبَنِيَّ﴾ أي: الطف لي ولهم لطفاً نصير به في جانب عن﴿ أَنْ نَعْبُدَ الاصْنامَ﴾ سأل ذلك مع حصوله للتثبيت وإظهار الإنقطاع إليه تعالى، وأراد بنيه لصلبه، أو ما يعم أولادهم الموجودين حينئذ، أو المؤمنين منهم ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ﴾ بعبادتهم لهن. أسند الإضلال إليها لأنها سببه مثل: (فتنتهم الدنيا)﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي﴾ على ديني﴿ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ أي: بعضي لشدّة اختصاصه بي﴿ ومَنْ عَصاني فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ هذا فيما دون الشرك، أو قبل علمه بأن الله لايغفره، أو مقيّد بالتوبة﴿ رَبَّنا إِنِّي﴾ وفتح الحرميان وابوعمرو الياء﴿ أَسْكَنْتُ

مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ بعضها وهوإسماعيل ومن ولد منه. قال الباقر (ع): نحن بقية تلك العترة وكانت دعوة إبراهيم (ع) لنا﴿ بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ هو: وادي مكة﴿ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ الذي حرمت التعرض له فلم يزل ممنعاً عن كل جبار، أو منعت منه الطوفان ﴿ رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ أي: إنما أسكنتهم بهذا الوادي ليقيموا الصلاة عند بيتك ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ﴾ من للتبعيض أي: أفئدة من أفئدة الناس. قيل: لوقال: (افئدة الناس) لازدحمت عليه فارس والروم، ولحجت اليهود والنصارى. وعن هشام بياء بعد همزة. وعن الباقر (ع): أما إنه لم يعن الناس كلهم أنتم أولئك ونظراؤكم إنما مثلكم في الناس مثل الشعرة البيضاء في الثور الأسود، أو مثل الشعرة السوداء في الثور الأبيض، ينبغي للناس أن يحجوا هذا البيت ويعظموه لتعظيم اللّه إياه وأن يلقونا حيث كنا نحن الأدلاء على اللّه﴿ تَهْوِي﴾ تحنّ وتميل﴿ إِلَيْهِمْ﴾ من هوى يهوى سقط. وعن أهل البيت (ع): تهوى ـ بفتح الواو ـ أي: تحب. وعدّي بـ(إلى) لتضمنه معنى الميل. وعن الباقر (ع): لم يعن البيت فيقول إليه فنحن واللّه دعوة ابراهيم﴿ وارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ لك. فأجاب اللّه دعاءه. وعن الصادق (ع): يعني من ثمرات القلوب أي: حبّبهم إلى الناس ليأتوا إليهم ويعودوا﴿ رَبَّنا إِنَّكَ تَعْلَمُ ما نُخْفِي وما نُعْلِنُ﴾ ما نبطن وما نظهر. وتكرير النداء للمبالغة في اللجوء إليه تعالى، أي: أنت أعلم بأحوالنا ومصالحنا وأرحم بنا منا بأنفسنا، فلا حاجة لنا إلى الطلب لكنا ندعوك عبودية وافتقاراً وتعبداً﴿ وما يَخْفى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّماءِ﴾ هو من قول إبراهيم، أو تصديق من اللّه له﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ﴾ مع كبر السن واليأس من الولد﴿ إِسْماعِيلَ﴾ قيل: وُلِدَ له وله تسع وتسعون سنة ﴿ وَإِسْحاقَ﴾ وُلِدَ له وله مائة واثنتا عشرة﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعاءِ﴾ مجيبه﴿ رَبِّ

اجْعَلْني﴾ بلطفك﴿ مُقِيمَ الصَّلاة ومِنْ ذُرِّيَّتي﴾ واجعل منهم من يقيمها ولم يدع للكل لإعلام الله له أن فيهم كفاراً﴿ ربَّنا وتَقَبَّلْ دُعاءِ﴾ أثبت الياء وصلاً ورش وأبوعمرو وحمزة ومطلقاً البزي أي: أجبه وتقبل عبادتي﴿ ربَّنا اغْفِرْ لِي﴾ وان لم يسبق منه ذنب، وانما استغفر إنقطاعاً إليه﴿ ولِوالِدَيَّ﴾ دلّ على انهما لم يكونا كافرين، وان أباه الكافر هوعمه، أوجده لأمه. وعن أحدهما(ع): هما آدم وحواء. وقرئ: (ولولدي) ونسبه في الجوامع إلى أهل البيت. والقمي: إنما نزلت ولولديّ إسماعيل وإسحاق. وعن الباقر نحوه﴿ ولِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسابُ﴾ يثبت كالقائم على رجله استعارة كقولهم: (قامت الحرب على ساق) أو(يقوم أهله له)﴿ ولا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ خطاب له (ص) لتثبيته على ما كان عليه من أنه تعالى عالم بهم، و وعد بانه مجازيهم عليه، وفيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم﴿ إِنَّما يُؤَخِّرُهُمْ﴾ نؤخر عقابهم ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأبصارُ﴾ أبصارهم، فلا تستقر ولا تنطبق للرعب من هول المطّلع.

سورة إبراهيم الآيات٤٣ - ٥٢]

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ

لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ مسرعين إلى الداعي في خوف، أوينظرون في ذل وخشوع ﴿ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ ﴾ رافعيها إلى السماء ﴿ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ لا يغمضون عيونهم بل هي شاخصة دائماً ﴿ وأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ قلوبهم خالية من العقل للدهشة والفزع، أو خالية من الخير لشدة ما يرونه من الأهوال كالهواء الذي بين السماء والأرض، أو زائلة من مواضعها قد ارتفعت إلى حلوقهم، لا تخرج ولا تعود إلى أماكنها بمنزلة الشيء الذاهب في جهات مختلفة المتردد في الهواء. القمي: قال قلوبهم تنصدع من الخفقان ﴿ وأَنْذِرِ ﴾ ودُم على إنذارك ﴿ النَّاسَ ﴾ أو خوِّف أهل مكة بالقرآن ﴿ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذابُ ﴾ مفعول ثان لـ(انذر) لا ظرف له لأن الأمر بالإنذار لم يقع على ذلك اليوم، أو يوم القيامة عند الموت فانه أول عذابهم، أو المراد به: عقاب الإستئصال

في الدنيا﴿ فَيَقُولُ﴾ عطف على (يأتيهم) لا جواب الأمر﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم بارتكاب المعاصي﴿ رَبَّنا أَخِّرْنا إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أخّر العذاب عنّا وردّنا إلى الدنيا واجعل ذلك مدة قريبة، أو اخّر آجالنا وأبقنا مقدار ما نؤمن بك﴿ نُجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ فيها﴿ ونَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ فيما يدعوننا إليه. جواب الأمر﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا﴾ على إرادة القول أي: فيقول الله مخاطباً لهم، أو الملائكة بأمره تعالى﴿ أَقْسَمْتُمْ﴾ أي: حلفتم من قبل في دار الدنيا﴿ ما لَكُمْ مِنْ زَوالٍ﴾ أي: ليس لكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة، أو من الراحة إلى العذاب كقوله: (واقسموا بالله جهد إيمانهم لا يبعث الله من يموت)[1] وهوجواب القسم جاء بلفظ الخطاب دون الحكاية. ويدل على أن أهل الآخرة غير مكلفين وإلا لآمنوا وتخلصوا من العذاب﴿ وسَكَنْتُمْ فِي مَساكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتكذيبهم الرسل قبلكم كعاد وثمود﴿ وتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنا بِهِمْ﴾ من صنوف العقوبات﴿ وضَرَبْنا لَكُمُ الأمْثالَ﴾ بيّنا لكم صفات ما فعلوا وفعل بهم فلم تعتبروا، أو ما في القرآن من دلائل القدرة على البعث والعذاب المعجّل والمؤجّل ﴿ وقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ﴾ جهدوا في إبطال أمر الرسل، أو أمر محمد (ص). والمراد: قريش﴿ وعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي: علمه، أوجزاؤه﴿ وإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبالُ﴾ (ان) نافيه و(اللام) لتأكيد النفي أي: مكرهم أضعف من أن يزيل ما هوكالجبال الثابتة وهودين الرسل، أودين محمد (ص)، أو مخففة أي: وإن الشان كان مكرهم العظيم معداً لذلك. والمراد: تعظيم مكرهم. وفتح الكسائي اللام، ورفع (تزول) على أنها المخففة. و(اللام) فارقة والمعنى: كما مرّ. وعن علي (ع): انه قرأ: وان كاد مكرهم على أنّ (إن) مخففة، وعن الصادق (ع) في الآية: ان مكر بني

---

(١) سورة النحل الآية ٣٨.

العبّاس بالقائم لتزول منه الجبال﴿ فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ من النصر والظفر بالكفار، والظهور عليهم بقوله (انا لننصر رسلنا)[١] (وكتب الله لأغلبن انا ورسلي)[٢] ونحوه واضافة (مخلف) إلى (وعده) غير محضة لأنه في تقدير الإنفصال وأصله (مخلف رسله وعده) قدّم المفعول الثاني أيذاناً بانه لا يخلف الوعد أصلاً كقوله (ان الله لا يخلف الميعاد)[٣] فكيف يخلف رسله﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يُغالب﴿ ذُوانتِقامٍ﴾ لأوليائه من أعدائه﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾ بدل من (يوم يأتيهم) أو ظرف للإنتقام، أو منصوب بالذكر مقدراً﴿ والسَّماواتُ﴾ وتبدل السماوات غيرها. قيل: هي تلك الأرض وإنما تبدل صفتها فيذهب بجبالها وآجامها[٤] وتبقى بيضاء لم يعمل عليها خطيئة وكذا السماء يذهب بشمسها وقمرها ونجومها. وقيل: تبدل ذاتهما وينشأ غيرهما. وعن أهل البيت (ع): تبدل الأرض خبزة نقية يأكل الناس منها حتى يفرغ من الحساب. وعن السجاد (ع): تبدل الأرض بأرض لم يكتب عليها الذنوب، بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أول مرّة. وسئل النبي (ص) عن الآية وقيل له: أين الناس يومئذ؟ فقال: في الظلمة دون المحشر﴿ وبَرَزُوا لِلَّهِ﴾ أي: يظهرون من أجداثهم[٥] لمحاسبته ومجازاته لا يسترهم عنه شيء﴿الْواحِدِ﴾ الذي لا نظير له﴿ الْقَهّارِ﴾ لكل ما سواه فلا ملجأ لأحد إلا إليه. وفيه إشارة إلى أن الأمر في

---

(١) سورة غافر الآية ٥١.

(٢) سورة المجادلة الآية ٢١.

(٣) سورة آل عمران الآية ٩.

(٤) الآجام جمع (أجمة) وهي الشجر الكثيف الملتف.

(٥) قبورهم

غاية الصعوبة﴿ وتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفادِ﴾ في القيود، أي: مشدودين مع الشياطين، أويقرن بعضهم ببعض، أوتقرن أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم﴿ سَرابِيلُهُمْ﴾ قمصهم﴿ مِنْ قَطِرانٍ﴾ هوما يسيل من الأبهل[٢] يطلى به الإبل الجربى، أسود منتن، يسرع فيه إشتعال النار، يطلى به أهل النار فيصير لهم كالقمص ليكون أبلغ في عذابهم. وفيه لغات ثلاث: فتح القاف، وسكون الطاء وكسرها وكسر القاف وسكون الطاء وقرأ: من قطران والقطران: النحاس، أو الصفر المُذاب والآن المتناهي حره﴿ وتَغْشى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ تعلوها. وخصت بالذكر لأنها أعز الأعضاء وأشرفها فعبّر به عن الكل﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ﴾ متعلق بـ(برزوا)﴿ ما كَسَبَتْ﴾ إن خيراً فخير وإن شراً فشر﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ﴾ إذ لا يشغله شيء عن شيء ﴿ هذا﴾ أي: القرآن، أوالسورة﴿ بَلاغٌ﴾ كفاية﴿ لِلنَّاسِ﴾ لينصحوا، أولينذروا به هذا البلاغ﴿ ولِيَعْلَمُوا﴾ بتأمل الدلائل والتفكر﴿ أَنَّما هُوَ﴾ أي: الله﴿ إِلهٌ واحِدٌ ولِيَذَّكَّرَ﴾ يتذكر أي: يتعظ﴿ أُولُوا الأَلْبابِ﴾ ذووالعقول.

تمت ـ ولله الحمد ـ سورة إبراهيم وتفسيرها.

---

(٢) شجرة مستديمة الخضرة من عاريات البذور، من المخروطيات، تشبه العرعر.

سورة الحجر

تسع وتسعون آية، مكية.

[الآيات ١ - ١٥]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

عن النبي (ص): من قرأ هذه السورة أعطي من الحسنات بعدد المهاجرين والأنصار، ومن كتبها بزعفران وسقاها امرأة قليلة اللبن كثر لبنها، ومن كتبها وجعلها في عضده وهويبيع ويشتري كثر بيعه وشراؤه ويحبب الناس معاملته وكثر رزقه بإذن الله ما دامت عليه﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ الر﴾ مرّ بيانه﴿تِلْكَ﴾ الآيات﴿ آياتُ الْكتابِ﴾ أي: القرآن. والإضافة بمعنى: من، أو السورة﴿ وقُرْآنٍ مُبينٍ﴾ أي: آيات الجامع لكونه كتاباً وقرآناً مبيناً للحق من الباطل، ونكر تفخيماً﴿ رُبّما﴾ وخففها نافع وعاصم، و(ما) كافة لها عن العمل، ومسوّغة لدخولها على الماضي، ودخلت على (يودّ) لأنه في إخباره تعالى كالماضي في تحققه. وقيل: (ما) نكرة موصوفة﴿ يَوَدُّ ﴾ يتمنى﴿ الَّذينَ كَفَرُوا﴾ يوم القيامة إذ صاروا إلى النار وصار المسلمون إلى الجنة ﴿ لَوكانُوا مُسْلمِينَ﴾ ومعنى التعليل ـ هنا ـ انّهم لوكانوا يودون الإسلام مرّة لكان جديراً أن يسارعوا إليه فكيف وهم يودّونه كل ساعة؟ أو أن الأهوال تدهشهم فإن أفاقوا في بعض الأحيان تمنوا ذلك. عن علي (ع) في الآية قال: هو إذا خرجت أنا وشيعتي وخرج عثمان وشيعته وتقتل بنو أمية فعندها يودّ الذين كفروا لوكانوا مسلمين. وعن الصادق(ع): مُسلّمين بفتح مثقلة قرأها﴿ ذَرْهُمْ﴾ دعهم﴿ يَأْكُلُوا ويَتَمَتَّعُوا﴾ بدنياهم﴿ ويُلْهِهِمُ﴾ يشغلهم﴿ الامَلُ﴾ الطويل الكاذب عن الإيمان ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وبال ما صنعوا إذا حلّ بهم. وفيه تهديد وتحذير عن إيثار الشهوات والإغترار بالأمل﴿ وما أهلكْنا مِنْ﴾ أهل﴿ قَرْيَةٍ إلاّ ولَها كِتابٌ مَعْلُومٌ﴾ أجلٌ مقدّر مكتوب في اللوح. والجملة المستثناة صفة (قرية) و(الواو)لتأكيد لصوقها

بالموصوف. وقيل: حال عنها مع نكارتها لعدم اللبس بالصفة للفصل بـ(الواو) وبـ(إلا) ﴿ ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها﴾ أي: لم تكن أمة فيما مضى تسبق أجلها فتهلك قبله ﴿ وما يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه بل إذا استوفت أجلها أهلكها الله. وتذكير (أمة) باعتبار المعنى﴿ وقالُوا﴾ للنبي (ص) تهكماً﴿ يا أيهَا الَّذي نُزِّلَ عَلَيْه الذِّكْرُ﴾ أي: القرآن في زعمه﴿ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ في دعواك انه نزل عليك وفي توهمك انا نؤمن بك﴿لَو ما﴾ هلاّ﴿ تَأْتينا بِالْمَلائِكَةِ﴾ ليشهدوا بصدقك، أوليعاقبونا على تكذيبك﴿ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادقِينَ﴾ في دعواك﴿ ما نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ﴾ بالنون ونصب(الملائكة) لحفص وحمزة والكسائي، وقرأ ابوبكر بالتاء والبناء للمفعول، ورفع (الملائكة) والباقون كذلك لكنهم يفتحون التاء، وجعلها البيضاوي شاذة وان قراءتهم بالياء، ونصب (الملائكة) على ان الضمير لله تعالى، وهوخلاف المنقول﴿ إلاَّ بِالْحَقِّ﴾ بمقتضى الحكمة ولا حكمة في أن تأتيكم عياناً لعلمه بإصراركم على الكفر فيصير إنزالهم عبثاً، أو موجباً لاستئصالكم إن لم تؤمنوا ومنكم ومن أولادكم من عَلِمَ إنه سيؤمن﴿ وما كانُوا إِذاً﴾ أي: حين نزولهم﴿ مُنْظَرِينَ﴾ ممهلين. و(إذاً) جزاء لشرط مقدر أي: لونزلنا الملائكة ما كانوا يؤخرون ساعة﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ﴾ أي: القرآن زيادة رد لإنكارهم ولذا أكّده من وجوه وقرره بقوله: ﴿ وإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾ عند أهل الذكر فهما لا يفترقان، أو من كيد المشركين فلا يمكنهم إبطاله. وقيل: الضمير في له للنبي (ص) ويدل على أن القرآن محدث لأنه منزل ومحفوظ﴿ ولَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلاً ﴿ فِي شِيَعِ الأَولينَ ﴾فرقهم﴿ وما يَأْتيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إلاَّ كانُوا بِه يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ كما استهزأ هؤلاء بك وهوتسلية له (ص)﴿ كَذلكَ﴾ أي: كما أنزلنا الذكر، أوكما سلكنا دعوة الرسل في قلوب الشيع ﴿ نَسْلُكُهُ﴾ ندخل الذكر أي: القرآن﴿ فِي قُلوبِ الْمُجْرِمينَ﴾ مشركي

قومك بإلقائه فيها وهم مع ذلك﴿ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ على سنّة من تقدمهم في تكذيب الرسل كما سلكنا دعوة الرسل في قلوب من سلف من الأمم، والمراد: أن اعراضهم عن القرآن لا يمنعنا من أن ندخله في قلوبهم تأكيداً للحجة عليهم، أوالمعنى: نسلك الإستهزاء في قلوبهم عقوبة لهم على كفرهم﴿ وقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأولينَ﴾ أي: مضت سنة الله فيهم من إهلاكهم بتكذيب رسلهم وهؤلاء مثلهم﴿ ولوفَتَحْنا عَلَيْهِمْ﴾ على هؤلاء المقترحين﴿ باباً مِنَ السَّماءِ﴾ ينظرون اليه﴿ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ أي: فظلّت الملائكة تصعد في ذلك وهم يشاهدونهم، أو ظل هؤلاء المشركون يصعدون إلى السماء من ذلك الباب ويشاهدون ملكوت السموات طول نهارهم مستوضحين لذلك ﴿ لَقالُوا﴾ من غلوّهم في العناد وتشكيكهم في الحق﴿ إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا﴾ سدّت عن الأبصار من سكرالشبق[1] أوحيرت من سكر الشراب وخففه ابن كثير﴿ بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ سحرنا محمد فخيّل إلينا ما لا حقيقة له.

[سورة الحجر الآيات١٦ - ٣١]

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن

---

(١) الشبق: هو شدة الشهوة الجنسية.

مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾

﴿ ولَقَدْ جَعَلْنا فِي السَّماءِ بُرُوجاً﴾ إثنى عشر دالة باختلاف طباعها وخواصها مع تساويها في الجسمية على صانع حكيم﴿ وزيَّنَّاها﴾ بالكواكب النيّرة ـ كما عن الصادق(ع)ـ﴿ لِلنَّاظِرِينَ﴾ المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها. عن الصادق(ع): هي إثني عشر برجاً﴿ وَحَفِظْناها مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ﴾ فلا

يصعدون إليها ولا يطلعون على أحوالها﴿ رَجِيمٍ﴾ مرجوم بالشهب، أو ملعون مشتوم ﴿ إلاَّ﴾ لكن ﴿ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ خطفه منها﴿ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ مُبِينٌ﴾ شعلة نار ظاهرة لمن يراها، وقد يجعل (إلا من استرق) بدل من (كل شيطان) و(السمع) بمعنى: المسموع أي: إلا من جاول أخذ مسموع من السماء خفية. عن ابن عباس: انهم كانوا لا يُحجَبون من السموات فلما وُلد عيسى منعوا من ثلاث سماوات، فلمّا وُلد محمد (ص) منعوا من كلها بالشهب﴿ والأَرْضَ مَدَدْناها﴾ بسطناها وجعلنا لها طولاً وعرضاً ﴿ وأَلْقَيْنا﴾ وطرحنا﴿ فِيها رَواسِيَ﴾ جبالاً ثابتة﴿ وأَنْبَتْنا فِيها﴾ في الأرض، أو فيها وفي الجبال﴿ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ بميزان الحكمة، أو متناسب كقولهم: كلام موزون، أو ما يوزن من معدني ونباتي. وخص بالذكر دون الكيل: لأن غاية المكيل ينتهي إلى الوزن ولأن في الوزن معنى الكيل لأن الوزن طلب المساواة. وعن الباقر (ع): - في الآية - ان الله أنبت في الجبال الذهب والفضة والجوهر والنحاس والحديد والرصاص والكحل والزرنيخ[1] وأشباه هذه لاتباع إلا وزناً﴿ وجَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ﴾ بالياء. ما تعيشون به من المطاعم والملابس والتصرف في أسباب الرزق مدّة الحياة﴿ ومَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِينَ﴾ عطف على (معايش) ويراد به: العبيد والأنعام والدواب، فإنما رازقهم الله و(من) لتغليب العقلاء، أو على محل (لكم) ويراد: به العيال والخدم وغيرهم، أي: أعشناكم وإياهم﴿ وإِنْ مِنْ شَيْءٍ﴾ ينزل من السماء وينبت في الأرض﴿ إلاَّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ﴾ نحن مالكوه والقادرون عليه. وخزائنه تعالى: مقدوراته على إيجاده متضاعفاً إلى ما لا نهاية له، والخزائن: تمثيل لاقتداره تعالى، أو شبه مقدوراته بالأشياء المخزونة التي لا يحوج إخراجها إلى كلفة واجتهاد. وقيل:

---

(١) الزرنيخ: عنصر ذو مركبات سامة، شبيه بالفلزات، يستعمل في الطب و في قتل الحشرات.

المراد به: الماء الذي منه النبات وهومخزون عنده إلى أن ينزله ونبات الأرض وثمارها إنما تنبت بماء السماء. وعن السجاد (ع) قال: في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر هذا تأويل قوله: (وان من شيء الا عندنا خزائنه). وعن الصادق (ع): لما صعد موسى إلى الطور قال: رب أرني خزائنك قال: إنما خزائني إذا أردت شيئاً أن أقول له: كن فيكون﴿ وما نُنَزِّلُهُ﴾ أي: المطر﴿ إلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ تقتضيه الحكمة، ثم بيّن سبحانه كيفية الإنزال فقال: ﴿ وأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ﴾ وأفرده حمزة﴿ لَوَاقِحَ﴾ ملقحات للسّحاب، أو الشجر، أو لاقحات أي: حوامل للسحاب، أو الماء، القمي: قال: التي تلقح الأشجار. وفي النبوي: لا تسبّوا الريح فإنها بُشر وأنها نذر وأنها لواقح فاسألوا من خيرها وتعوذوا به من شرّها﴿ فَأنزلنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ جعلناه لكم سقياً ومكنّاكم منه﴿ وما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ﴾ بحافظين ولا محرزين، بل الله يحفظه، ثم يرسله من السماء، ثم يحفظه في الأرض، ثم يخرجه من العيون بقدر الحاجة﴿ وإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي﴾ الخلق بإيجاد الحياة﴿ ونُمِيتُ﴾ بإزالتها، وقد أوّل الحياة بما يعم الحيوان والنبات. وتكرير الضمير للدلالة على الحصر﴿ ونَحْنُ الْوارِثُونَ﴾ الباقون بعد فناء الخلق﴿ ولَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ولَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ أي: الماضين منكم والباقين، أو الأولين منكم والآخرين، أو المتقدمين من الإسلام والمتأخرين، أو المستقدمين في صفوف الحرب والمتأخرين، أو المتقدمين في الخير والمبطئين عنه، أو المتقدمين في الصف الأول في الصلاة والمستأخرين، وهو بيان لكمال علمه تعالى بعد الإحتجاج على كمال قدرته. وعن الباقر (ع): هم المؤمنون من هذه الأمة. وعن الصادق (ع): ان المستقدمين هم أصحاب الحسنات، والمستأخرين هم أصحاب السيئات.﴿ وإِنَّ رَبَّكَ هُوَيَحْشُرُهُمْ﴾ لا محالة للجزاء. وتوسيط الضمير

للدلالة على أنه القادر والمتولي لا غيره، وتصدير الجملة بـ(إنّ) لتحقق الوعد والتنبيه على كمال القدرة والعلم بتفاصيل الأشياء﴿ إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ باهر الحكمة متقن في أفعاله﴿ عَلِيمٌ﴾ وسع علمه كل شيء﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الأنسانَ﴾ آدم (ع): ﴿ مِنْ صَلْصالٍ﴾ طين يابس إذا نقر صلصل أي: صوّت﴿ مِنْ حَمَإٍ﴾ طين متغيرٌ أسودٌ، والظرف صفة (صلصال)﴿ مَسْنُونٍ﴾ مصبوب. أي: أفرغ صورة كما تفرغ الجواهر المذابة من (سنه: صبّه) كأنه أفرغه حتى صار صلصالاً، ثم غيّره أطواراً حتى نفخ فيه الروح، أومصوّر من سنة الوجه، أو متغيرٌ منتنٌ من سننت الحديدة على المسن إذا غيرتها بالتحديد﴿ والْجَانَّ﴾ أبا الجن كما أن آدم أبا البشر، أو إبليس، أو الجن نسل إبليس. وانتصابه بفعل يفسره: ﴿ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل خلق الإنسان﴿ مِنْ نارِ السَّمُومِ﴾ من نار لها ريح حارّة شديدة نافذة في المسام، أو نار لا دخان لها والصواعق تكون منها، أو نار ملتهبة. ومساق الآية للدلالة على كمال قدرته فمن قدر على ابتداء خلق الثقلين من العنصرين وافاضة الحياة عليهم قدر على إعادتهم وإحيائهم مرّة أخرى، ولا تناقض في الآية إذا أصل آدم من تراب، وذلك قوله: (خلقه من تراب)[1] ثم جعل التراب طيناً وخلقه من طين ثم ترك ذلك الطِّين حتى تغيّر واسترخى وذلك قوله: (من حمإٍ مسنون) ثم ترك حتى جفّ، وذلك قوله: (من صلصال) وعن الصادق (ع): الآباء ثلاثة آدم ولد مؤمناً، والجان ولد كافراً، وإبليس ولد كافراً، وليس فيهم نتاج إنما يبيض ويفرخ، و ولده ذكر وليس فيهم إناث. والقمي: قال: الجن: من ولد الجان منهم مؤمنون إلا واحد اسمه هام بن هيم بن لا قيس بن إبليس﴿ وإِذْ﴾ اذكر إذ ﴿ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذا سَوَّيْتُهُ﴾ عدلت

---

(١) سورة آل عمران الآية ٥٩.

صورته وأتممته ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ حتى جرى آثاره في تجاويف أعضائه، وأصل النفخ: إجراء الريح في تجاويف جسم آخر باعتماد. ولما كان الرّوح أولاً يتعلق بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملاً في تجاويف الشرايين إلى أعماق البدن جعل تعليقه بالبدن نفخاً، وإضافته إليه تعالى للتشريف، كما قال: بيتي وعبدي﴿ فَقَعُوا لَهُ﴾ لتكريمه﴿ ساجِدِينَ﴾ لله تعالى. سئل الباقر (ع) عن قوله: ونفخت فيه من روحي؟ فقال: روح اختاره الله واصطفاه وخلقه واضافه إلى نفسه، وفضّله على جميع الأرواح فنفخ منه في آدم. وفي آخر: سئل كيف هذا النفخ؟ فقال: إن الروح متحرك كالريح، وانما اضافة إلى نفسه لأنه اصطفاه على سائر الأرواح كما اصطفى بيتاً من البيوت فقال: بيتي، وقال لرسول من الرسل: خليلي﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ أكّد بتأكيدين للمبالغة في التعميم وعدم التخصيص. وقيل: أكّد بـ(كل) للإحاطة وبـ(أجمعين) للدلالة على أنهم سجدوا مجتمعين دفعة، وفيه أنه لوكان كذلك لانتصب حالاً﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبى﴾ امتنع ﴿ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ وان جعل متصلاً كان ما بعده استينافاً جواب سائل قال: هلاّ سجد.

[سورة الحجر الآيات ٣٢ - ٥١]

قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَـٰلٍ مِّنۡ حَمَإٍ مَّسۡنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ

فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

﴿قالَ يا إِبْليسُ ما لَكَ﴾ أيّ شيء عرض لك في ﴿ألاّ تَكُونَ مَعَ السَّاجدينَ قالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ﴾ لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ لأنه جسماني أخس العناصر وأنا روحاني من نار هي أشرف من أصله، فعارض النص بالقياس الباطل ولم يعلم إن التفاضل بالدين والأعمال لا بالأصل، وقد مرّ في

الأعراف﴿ قالَ فَاخْرُجْ مِنْها﴾ من الجنة، أو السماء﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرود، أومرجوم بالشهب﴿ وإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ ﴾ الإبعاد من رحمة الله﴿ إلى يَوْمِ الدِّينِ﴾ وحدّ اللعن به جرياً على عادة العرب في التأبيد، أولأنه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل﴿ قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾ فامهلني﴿ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ للجزاء. أراد أن يجد فسحة في الإغواء ونجاة عن الموت إذ لا موت بعد البعث، فأجابه الله إلى الأول دون الثاني﴿ قالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وقت النفخة الأولى حين يموت الخلائق، أو وقت أجلك المسمّى عند الله. وقيل: يوم القيامة ولا يستلزم انه لا يموت لجواز موته أوله ويبعث الخلق في أثنائه. وعن الرضا (ع): يوم الوقت المعلوم يوم ينفخ في الصور نفخة واحدة فيموت إبليس ما بين النفخة الأولى والثانية. والقمي: عنه (ع): قال: يوم الوقت المعلوم يوم يذبحه رسول الله (ص) على الصخرة التي في بيت المقدس. أقول: يعني: عند الرجعة﴿ قالَ رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي﴾ (الباء) للقسم و(ما) مصدرية وجوابه: ﴿ لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ أي: أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم المعاصي في الدنيا أي: لأولاد آدم حتى يقعوا فيها، ومفعول التزيين محذوف، أو بمعنى: السبب أي: بكوني غاوياً لأزينن ﴿ ولأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بالدعاء إلى الضلال حتى يضلوا ﴿ إلاَّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ الذين أخلصتهم لطاعتك بلطفك، وكسره ابن كثير وابن عامر وابوعمروأي: الذين أخلصوا دينهم لله ﴿ قالَ﴾ تعالى﴿ هذا﴾ أي: الإخلاص﴿ صِراطٌ عَلَيَّ﴾ أي: حقّ عليّ أن أراعيه ﴿ مُسْتَقِيمٌ﴾ لا انحراف عنه، والإشارة إلى ما تضمنه الإستثناء وهوتخليص المخلصين من أوليائه، أوالإخلاص على معنى أنه طريق عليّ يؤدي إلى الوصول إليّ من غير إعوجاج وضلال، أو المعنى ما ذكر من أمر المخلصين، أو الغاوين طريق مَمَرُّه عليّ أي: من سلكه عليّ، مستقيم لا عدول فيه عني أو هذا دين مستقيم عليّ بيانه والهداية

إليه. وقرأ (عَلِي) على وزن (فعيل) مرفوعاً. ونسب إلى الصادق (ع): وفسّر بعلو الشرف ويحتمل الإضافة ـ كما عن السجاد (ع) ـ هو أمير المؤمنين، وفي رواية: واللّه عليّ هو واللّه الميزان والصراط. ﴿إِنَّ عِبادِي لَيسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ﴾ تسلط ﴿إلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ﴾ فإنه بإختياره جعل لك على نفسه سلطاناً والإستثناء منقطع إن أريد بالعباد المخلصين، ومتصل إن عمّم عن الباقر (ع): قال: قال اللّه: إنك لا تملك أن تدخلهم جنّة ولا ناراً. ﴿وإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ أي: إبليس ومن اتّبعه ﴿أَجْمَعِينَ﴾ عن الباقر (ع): وقوفهم على الصراط ﴿لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ﴾ يدخلون فيها لكثرتهم، أوطبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية، ـ كما في الخبر ـ ﴿لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ﴾ من الغاوين حال من قوله ﴿جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ مقرّر على حسب مراتبهم في المتابعة. وثقل ابن كثير (جزء) ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ للشرك والمعاصي ﴿فِي جَنَّاتٍ وعُيُونٍ﴾ من ماء وخمر وعسل ولبن، أومنابع غيرها. وضم (العين) نافع وابن عمرو وحفص وهشام حيث وقع، وكسرها غيرهم ﴿ادْخُلُوها﴾ بتقدير القول ﴿بِسَلامٍ﴾ بسلامة من الآفات ﴿آمِنِينَ﴾ من كل مخوف ﴿ونَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ﴾ أزلنا عن صدور أهل الجنة ما فيها ﴿مِنْ غِلٍّ﴾ من حقد كان في الدنيا، أوتحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب بتطييب قلوبهم ﴿إِخْواناً﴾ حال من الضمير في (جنّات) أو في (ادخلوها) أو في (آمنين) أو الضمير المضاف إليه أي: متوادّين مثل الإخوان فيصفوا لذلك عيشهم ﴿عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ﴾ في جميع أحوالهم لا يرى بعضهم قفا بعض لدوران الأسرّة بهم هذا إن تعلّق (على) بـ(متقابلين) ولا[1] كانا حالين بترادف أو تداخل ﴿لا يَمَسُّهُمْ فِيها نَصَبٌ﴾ تعب حال

---

(١) ربما كان الأصح: (وإلا).

أخرى، أو إستئناف﴿ وما هُمْ منْها بمُخْرَجينَ﴾ أبداً فإن تمام النعمة بالخلود﴿ نَبِئْ ﴾ يا محمد (ص)﴿ عِبادِي أنِي أنَا الْغَفُورُ﴾ للمؤمنين﴿ الرّحِيمُ﴾ بهم ﴿ وأنّ عَذابِي﴾ لمستحقيه﴿ هُوالْعَذابُ الأليمُ﴾ فكونوا بين الخوف والرجاء وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون العذاب تأكيد الوعد، ثم حققه بما يعتبرون به من القصص بقوله: ﴿ ونبّئْهمْ عَنْ ضَيْفِ إبْراهيمَ﴾ الملائكة.

[سورة الحجر الآيات٥٢- ٧٠]

إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ

إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً﴾ سلمنا سلاماً﴿ قالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ خائفون. خافهم لإمتناعهم من الأكل، أولدخولهم بلا إذن﴿ قالُوا لا تَوْجَلْ﴾ لا تخف ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ وسكن حمزة الباء وضم الشين أي: نخبرك بما يسرّك إستئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه﴿ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ إذا بلغ وهو إسحاق لقوله: (فبشرناه بإسحاق)﴿ قالَ﴾ إبراهيم ﴿ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ أي: حال الكبر الذي يوجب اليأس عن الولد، قاله تعجباً من خرق العادة ـ لا شكاً في قدرته تعالى ـ وكذا قوله: ﴿ فَبِمَ﴾ فبأي: شيء﴿ تُبَشِّرُونَ﴾ إذ البشارة بما يستبعد عادة بشارة بغير شيء، أو بأي: وجه تبشرونني بالولد مع إنتفاء الوجه المعتاد. وكسر ابن كثير (النون) مشدّدة ونافع مخففة، وفتحها الباقون﴿ قالُوا بَشَّرْناكَ بِالْحَقِّ﴾ بما يقع البتة، أو بوجه هوحق وهو أمر اللّه القادر أن يخلق بشراً من غير أبوين فكيف من هَرِمَين؟﴿ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقانِطِينَ﴾ الأي:سين﴿ قالَ وَمَنْ﴾ أي: لا ﴿ يَقْنَطُ﴾ كسره أبوعمرو والكسائي وفتحه الباقون﴿ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ الجاهلون قدرته وسعة رحمته﴿ قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّها الْمُرْسَلُونَ﴾ أي: ما شأنكم الذي بعثتم له، علم من قرائن الحال إن المقصود ليس البشرى فقط﴿ قالُوا إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ مذنبين أوكافرين يعني: قوم لوط﴿ إِلاَّ آلَ لُوطٍ﴾ إستثناء منقطع من (قوم) لتقييدهم بالإجرام، أو متصل من الضمير في مجرمين أي: قوم أجرم كلهم إلا آل لوط منهم

لنهلك المجرمين وننجي آل لوط﴿ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ متصل بآل لوط كالخبر لـ(لكن) إن انقطع الإستثناء وإستئناف ان اتصل، وخفف حمزة والكسائي (منجوهم) ﴿ إِلاَّ امْرَأَتَهُ﴾ إستثناء من آل لوط، أو من ضميرهم﴿ قَدَّرْنَا﴾ خففه أبوبكر حيث كان أي: قضينا﴿ إِنَّها لَمِنَ الْغابِرِينَ﴾ الباقين مع المهلكين، وأسندوا فعل الله إلى أنفسهم لاختصاصهم به تعالى وعلّق لتضمنه معنى العلم﴿ فَلَمَّا جاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قالَ﴾ لهم لوط﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي: أني أنكركم. خاف أن يطرقوه بشرٍ﴿ قالُوا بَلْ جِئْناكَ﴾ أي: ما جئناك﴿ بِما﴾ توهمت، بل جئناك بما يسرك وهو العذاب الذي﴿كانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكون حين توعدتهم﴿ وَأَتَيْناكَ بِالْحَقِّ﴾ بعذابهم المتيقن﴿ وَإِنَّا لَصادِقُونَ﴾ في قولنا﴿ فَأَسْرِ﴾ بالقطع والوصل ـ كما مرـ ﴿ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾ بطائفة ﴿ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبارَهُمْ ﴾ سرخلفهم لتسوقهم وتعلم حالهم﴿ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ لا ينظر وراءه لئلا يرى عذابهم فيفزع، أو لا يتخلف لغرض فيعمّه العذاب﴿ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ بالمضي إليه، وهوالشام، أو مصر﴿ وَقَضَيْنا﴾ أي: أوحينا﴿ إِلَيْهِ﴾ مقضياً﴿ ذلِكَ الأَمْرَ﴾ يفسره: ﴿ أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ﴾ أي: يستأصلون عن آخرهم﴿ مُصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصبح﴿ وَجاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ سدوم﴿ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بالملائكة طمعاً فيهم إذ كانوا في صورة مُرد حسان﴿ إِنَّ هؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ﴾ بفضيحتهم﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما حرّم﴿ وَلا تُخْزُونِ﴾ تهينوني بسببهم، أو تخجلوني فيهم﴿ قالُوا أَ وَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعالَمِينَ﴾ عن أن تُضَيِّفَ منهم أحداً، أو أن تُجير أحداً.

[سورة الحجر الآيات ٧١ - ٩٩]

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ

﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

﴿هؤلاءِ بَناتي﴾ من الصُلب، أو أراد: نساؤهم، لأن كل نبي أبو أمته ـ كما مرّ في هود ـ وفتح نافع الياء ﴿إنْ كُنتُمْ فاعِلينَ﴾ قضاء الوطر فتزوجوهن ﴿لَعَمْرُكَ﴾ مبتدأ حذف خبره أي: قسمي. وهولغة في العمر اختص بالقسم. أقسم تعالى بحياة النبي (ص) القمي أي: وحياتك يا محمد (ص) ﴿إنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ لفي غفلتهم وغوايتهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون ويترددون، فلا يبصرون طريق الرشد ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ أي: صيحة هائلة مهلكة، أو صيحة ﴿مُشْرِقينَ﴾ في حال شروق الشمس ﴿فَجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها﴾ وقلبنا المدينة بهم ﴿وأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ من طين صخر معرب: سنك كلّ ـ كما مرمشروحاً في هود ـ ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ المذكور من إهلاك قوم لوط ﴿لآياتٍ للمُتَوَسِّمينَ﴾ المتفكرين المعتبرين، أو المتفرسين ﴿وإنَّها﴾ أي: مدينتهم، أو قراهم ﴿لَبِسَبيلٍ مُقيمٍ﴾ لبطريق ثابت يسلكه الناس في حوائجهم فيرون آثارها. في النبوي: اتقوا فراسة المؤمن فانّه ينظر بنور الله. وعن علي (ع): كان رسول الله (ص) المتوسم وأنا من بعده والأئمة من ذريتي. وعن الصادق(ع):

نحن المتوسمون والسبيل فينا مقيم. والسبيل: طريق الجنة. وفي آخر: لا يخرج منّا أبداً.﴿ إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَةً﴾ لعبرة ودلالة﴿ لِلْمُؤْمنينَ﴾ بالله وبرسوله لأنهم المنتفعون بها﴿ وإِنْ﴾ مخففة أي: وإنه﴿ كانَ أصحاب الأيكَةِ﴾ واحدة (الأيك) وهو: الشجر الملتف الكثير. وهي غيظة بقرب مدين وهم قوم شعيب كانوا يسكنونها. وقيل: الأيكة: اسم قرية، والأيكة اسم بلد. وقيل: هما واحد﴿ لَظالِمينَ﴾ في تكذيب رسولهم. قيل: كانوا أصحاب غياض فعاقبهم الله بالحر سبعة أيام، ثم أنشأ سحابة فاستظلوا بها يلتمسون الرّوح فيها فلمّا اجتمعوا تحتها أرسل منها صاعقة، فأحرقتهم جميعاً﴿ فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ﴾ من قوم شعيب وقوم لوط﴿ وإِنَّهُما﴾ أي: مدينتي لوط وأصحاب الأيكة، أو الأيكة ومدين لدلالة الأيكة عليها لأنه بعث إليهما﴿ لَبِإِمامٍ مُبِينٍ﴾ بطريق واضح وسمي إماماً لأنه يؤم وكذا اللوح﴿ولَقَدْ كَذَّبَ أصحاب الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ بلد، أو وادٍ بين المدينة والشام سكنه ثمود وهم كذبوا صالحاً، ومن كذّب واحداً من الرسل فكأنما كذب الجميع، أولأن صالحاً كان يدعوهم إلى الإيمان بالمرسلين، أو المراد بالمرسلين: صالح ومن معه من المؤمنين، أو بعث إليهم رسل غير صالح﴿ وآتَيْناهُمْ﴾ أي: الرسل، أو أصحاب الحجر﴿ آياتِنا﴾ الناقة وما فيها من المعجزات﴿ فَكانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ﴾ لا يعتبرون بها﴿ وكانُوا﴾ في القوة بحيث ﴿ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً﴾ يسكنونها﴿ آمنينَ﴾ إنهدامها عليهم، أو من ثقب اللصوص وتخريب الأعداء لوثاقتها، أو من عذاب الله لفرط غفلتهم، أو من الموت لطول أعمارهم﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصبح﴿ فَما أَغْنى دفع عَنْهُمْ﴾ العذاب﴿ ما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من نحت القصور وجمع الأموال والأولاد والعدد﴿ وما خَلَقْنَا السَّماواتِ والارْضَ وما بَيْنَهُما إلاَّ بِالْحَقِّ﴾ إلا خلقاً متلبساً بالحق

لا عبثاً بل لما اقتضته الحكمة وهوانًا قد تعبدنا أهلها، ثم نجازيهم بما عملوا، أو بالحق الذي لا يلائم الفساد﴿ وإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ﴾ فيجازي كُلاً بعمله ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ فاعرض عن قومك إعراضاً بحلم ولا تعجل بالإنتقام منهم. وعن الرضا (ع): يعني: العفومن غير عتاب. وقيل: نسخ بآية السيف. وقيل: هوفي حقوقه تعالى فلا نسخ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوالْخَلاَّقُ﴾ الكثير الخلق﴿ الْعَلِيمُ﴾ بخلقه وتدبيرهم﴿ ولَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي﴾ هي: الفاتحة لأنها سبع آيات، تثنى في الصلاة قراءتها، أو لأن الثناء فيها مرتين وهوالرّحمن الرّحيم، أو لأنها نزلت مرتين، أوسبع سور طوال من أول القرآن إلى الأنفال، والتوبة لأنها تثنى فيها الأخبار، أوالحواميم السبع، أو القرآن كله لقوله: (كتاباً متشابهاً) مثاني، ومن تبعيضية، أو بيانية. والمثاني: من التثنية، أو الثناء ﴿ والْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ من عطف العام على الخاص، أو احد الوضعين على الآخرة، ووصف بـ(العظيم) لأنه يتضمن جميع ما يحتاج إليه من أمور الدين بأوجز لفظ وأتم معنى. وسئل الصادق (ع): عن هذه الآية؟ فقال: هي سورة الحمد وهي سبع آيات منها (بسم الله الرحمن الرحيم) إنما سميت المثاني لأنها تثنى في الركعتين ونحوه غيره. وعن الباقر(ع): نحن المثاني التي أعطاها اللّه نبينا(ص) و وجهه أنهم ثاني الثقلين المقرونين بالقرآن وأسمائهم سبعة﴿ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ لا تطمح بها طموح راغب فتمدها ﴿ إلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ﴾ أصنافاً من المشركين فأنه مستحقر بالنسبة إلى ما أوتيته من النبوة والقرآن والإسلام والفتوح وغيرها، لأنه المؤدي إلى النعيم الباقي﴿ ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إن لم يؤمنوا﴿ واخْفِضْ جَناحَكَ﴾ ألن جانبك ﴿ لِلْمُؤْمِنِينَ وقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ﴾ للخلق من عذاب اللّه، وفتح الحرميان وابوعمرو (الياء) ﴿ الْمُبِينُ﴾ للإنذار بالحجج﴿ كَما أنزلنا﴾ متعلق بـ(آتيناك) أي: أنزلنا عليك القرآن كما أنزلنا ﴿ عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ الذين اقتسموا طريق مكة أيام الموسم ليصدوا

عن رسول الله والإيمان به، وكانوا ستة عشر رجلاً يقولون لمن اتى مكة: لا تغتروا بالخارج منّا والمدعيّ النبوة، فأنزل الله عذاباً فماتوا شر ميتة﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ أجزاء، حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض. جمع (عضه) من عضى الشاة فرّقها أعضاء، أو أريد بالقرآن: ما يقرءونه من كتبهم، أو يتعلق كما بالنذير أي: انذرهم عذاباً كما أنزلنا على المقتسمين الذين يصدون الناس عن الرسول وفرقوا القرآن إلى سحر وشعر وكهانة وأساطير﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: المقتسمين، أو جميع المكلفين﴿ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الإقتسام، أو من كل عمل فيجازيهم عليه. القمي: قال قسموا القرآن ولم يؤلفوه على ما أنزله الله، وعنهما (ع): إنهما سئلا عن هذه الآية؟ فقالا: هم قريش. وعن أحدهما (ع): في الذين أبرزوا القرآن عضين؟ قال: هم قريش﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي: اظهر وأعلن وصرّح بما أمرت به غير خائف. من (صدع بالحق) إذا تكلم به جهاراً، أو فرّق بين الحق والباطل﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ لا تبال بهم ولا تلتفت إليهم﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ بأن أهلكنا كلاً منهم بآية، وكانوا خمسة، أو ستة من أشراف قريش﴿ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ﴾ صفة، أو مبتدأ خبره: ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ سوء عاقبتهم﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من تكذيبك والطعن في القرآن. وعن الصادق (ع): يعني: فيما يذكره من فضل وصيّه.﴿ فَسَبِّحْ﴾ متلبساً ﴿ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يكفك ويكشف الغم عنك، أو فنزهه عمّا يقولون حامداً له على أن هداك الحق﴿ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ أي: المصلين. وكان (ع): إذا أحزنه أمر فزع إلى الصلاة﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي: الموت فأنه متيقن إتيانه، أي: أقم على العبادة ما دمت حياً.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة الحجر وتفسيرها.

سورة النّحل

مائة وثمان وعشرون آية، مكية.

[الآيات ١-٦]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

(الا وان عاقبتم) إلى آخرها[1]، وقيل: أربعون من أولها مكية والباقي مدنية. عن الباقر (ع): من قرأ سورة النحل في كل شهر كفي المغرم في الدنيا وسبعين نوعاً من أنواع البلاء أهونه الجنون والجذام والبرص، وكان مسكنه في جنة عدن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ الموعود به وهو: القيامة وعبّر بالماضي لتحقق وقوعه أي: دنا، أو عذاب السيف ـ كما وقع يوم بدر ـ نزلت حين استبطأ المشركون ما

---

(١) وقع سقط في النسخة الخطية ولم نستوضحه.

وعدهم (ص) من القيامة والعذاب، أو المراد بأمر اللّه: أحكامه وفرائضه ﴿ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ تطلبوه قبل وقته ﴿ سُبْحانَهُ وتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ تنزّه وتعظّم عن إشراكهم به الأصنام وزعمهم أنها تدفع ما أراد بهم. وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ ﴾ بالوحي، أو القرآن فانه حياة القلوب لإرشاده إلى الدين وقرأ ابن كثير وأبوعمرو (تنزل) مضارعاً مبنياً للمفعول من التنزيل ﴿ مِنْ أَمْرِهِ ﴾ بإرادته ﴿ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ﴾ يخصه بالرسالة. وسئل الباقر (ع) عن هذه الآية؟ فقال: جبرئيل الذي نزل على الأنبياء والروح يكون معهم ومع الأوصياء لا يفارقهم ويسددهم من عند اللّه ﴿ أَنْ ﴾ أي: بأن، أو أي: ﴿ أَنْذِرُوا ﴾ خوّفوا الكفرة بالعقاب وأعلموهم ﴿ أَنَّهُ ﴾ ان الشأن ﴿ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ خافوا مخالفتي، أو خوّفوا أهل الكفر والمعاصي ﴿ خَلَقَ السَّماواتِ والارْضَ بِالْحَقِّ ﴾ بمقتضى الحكمة ﴿ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ به من خلقه ﴿ خَلَقَ الانْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ ماء أي: مني لا حس به ولا حراك ﴿ فَإِذا هُوَخَصِيمٌ ﴾ منطيق مناظر يجادل عن نفسه ﴿ مُبِينٌ ﴾ لحجته، أو خصيم محاجّ لربه قائل: (من يحيي العظام وهي رميم)[1] ﴿ والأنْعامَ ﴾ جمع (نعم) وهي الإبل والبقر والغنم لنعمة[2] مشيها ـ بخلاف ذوات الحوافر ـ ونصب بفعل يفسره: ﴿ خَلَقَها لَكُمْ ﴾ لإنتفاعكم وبيّنه بقوله: ﴿ فِيها دِفْءٌ ﴾ ما يستدفأ به من البرد من لباس ونحوه ﴿ ومَنافِعُ ﴾ من نسل ودرّ وركوب ﴿ ومِنْها تَأْكُلُونَ ﴾ ما يؤكل منها كاللحوم والألبان. وقدّم الظرف للفاصلة، أو لأن الأكل منها هوالمعتاد المعتمد عليه في المعاش، وأما الأكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي والتفكه

---

(١) إشارة إلى الآية ٧٨ من سورة يس.

(٢) الظاهر أنها: « لنعومة مشيها».

﴿ولَكُمْ فِيها جَمالٌ﴾ حسن منظر وزينة﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ تردّونها إلى مراحها بالعشي﴿وحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ ترسلونها إلى مرعاها بالغداة فأن الأفنية[1] تتزين بها في الوقتين، ويجلّ أهلها في أعين الناظرين. وتقديم الإراحة لأن الجمال فيها أظهر فإنها تقبل ملاءلبطونها عظاماً لضروعها، وكذا إذا سرحت إلى المرعى رافعة رؤوسها فيقول الناس: هذا جمال فلان ومواشيه.

[سورة النحل الآيات٧ - ١٤]

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى

---

(١) الأفنية: جمع: (فناء)وهو ساحة الدار أو ما بجانبها.

ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوۡمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمًا طَرِيًّا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةً تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾

﴿ وتَحملُ﴾ أي: الإبل وبعض البقر﴿ أثقالَكُمْ﴾ أحمالكم الثقيلة﴿ إلى بَلَد﴾ بعيد﴿ لَمْ تَكُونُوا بالغيهِ﴾ من دون الأحمال﴿ إلاّ بشقّ الأنفُسِ﴾ بمشقتها، أو تحمل أثقالكم إلى مكة لأنها من بلاد الفلوات[1] ﴿ إنّ ربَّكُمْ لرؤفٌ رَحِيمٌ﴾ بكم حيث أنعم عليكم بخلقها لكم﴿ والخَيْلَ والبِغالَ والحَميرَ﴾ عطف على (الأنعام) ﴿لِتَرْكَبُوها﴾ إلى حوائجكم وتصرفاتكم﴿ وزِينَةً﴾ ولتزينوا بها زينة، أو عطف على محل (لتركبوها) وتغيير النظم لأن الزينة بفعل الخالق، والركوب ليس بفعله، ولأن المقصود من خلقها الركوب وأما التزيين فبالعرض. ولا تدل الآية على حرمة لحمها إذ تعليل خلقها بما يقصد منه غالباً لا يستلزم أن لا يقصد منه غيره﴿ ويَخلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ من أصناف الحيوان والنبات والجماد لمنافعكم﴿ وعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي: واجب على الله بيان مستقيم الطريق الموصل إلى الحق، كما قال: (وانّ علينا للهدى)[2]﴿ ومِنْها جائِرٌ﴾ ومن السبيل ما هومائل عن القصد. وتغيير الأسلوب لعدم وجوب بيان طرق الضلال، ولان المقصود بيان سبيله، وتقسيم السبيل إلى القصد والجائر انما جاء بالعرض﴿ ولَوشاءَ﴾ هدايتكم﴿ لَهَداكُمْ أجْمَعِينَ﴾ إلى قصد السبيل بالإلجاء والقهر،

---

(١) الفلوات: هي الأراضي الواسعة المقفرة.

(٢) سورة الليل الآية ١٢.

أو لهداكم إلى الجنة والثواب تفضلاً وقيل: معنى الآية: وعلى الله الممر ومن الطريق التي الممر فيها على الله جائره، وكلاهما على الله لا يخرج أحد من قبضته وحكمته كقوله (ان ربك لبالمرصاد)[1]. وقيل: على الله ممر ذي السبيل القصد والسبيل الجائر وإليه مرجع كل واحد منهما لا يخرج أحد من سلطانه، ولوأراد أن يحمل الجميع على الحق لفعل﴿ هُوالَّذي أنزل مِنَ السَّماءِ ماءً لَكُمْ مِنْهُ شَرابٌ ﴾ ما تشربونه. و(لكم) صلة (أنزل) أو خبر (شراب) و(من) للتبعيض يتعلق به﴿ ومِنْهُ شَجَرٌ﴾ أي: ومنه سقي شجر، أو ومن سقيه يكون شجر، وهوالذي ترعاه المواشي، أو كل ما ينبت على وجه الأرض، أو ما نبت وقام على ساق وله ورق﴿ فيه تُسيمُونَ﴾ ترعون أنعامكم من سامت الإبل: رعت، وأسامها صاحبها: رعاها﴿ يُنْبِتُ﴾ وقرأ أبوبكر بالنون﴿ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ والزَّيْتُونَ والنَّخيلَ والأعْنابَ ومِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ﴾ وبعض كلها إذ لم ينبت في الأرض كل ما يمكن أن يؤكل من الثمار. ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لأنه سيصير غذاء حيوانياً هوأشرف الأغذية، ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالأجناس الثلاثة وترتيبها﴿ إِنَّ فِي ذلكَ﴾ المذكور﴿ لأي:ةً﴾ دلالة واضحة على وجود الصانع ووحدته وحكمته ﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنعه المحكم العجيب. وخصّوا بالذكر لأنهم المنتفعون به﴿ وسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ والنَّهارَ والشَّمْسَ والْقَمَرَ والنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأمْرِهِ﴾ حال من جميعها أي: أعدّها لمنافعكم حال كونها مسخرة بحكمة لما خلقها له. ورفع ابن عامر (الشمس) وما بعدها مبتدأ، و(مسخرات) خبراً وكذا حفص في (النجوم مسخرات)﴿ إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ﴾ دلالات﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون﴿ وما ذَرَأَ﴾ عطف على (الليل) أي: سخر لكم الذي خلقه ﴿ لَكُمْ فِي

---

(١) سورة الفجر الآية ١٤.

الأرْضِ﴾ أي: لقوام أبدانكم من الملابس والمطاعم والمناكح من أنواع الحيوان والنبات والمعادن وسائر النعم ﴿ مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ﴾ أصنافه فإنها تختلف باللون غالباً لا يشبه بعضها بعضاً﴿ إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ أنّ ذلك إنما يصدر عن قادر حكيم﴿ وهُوالَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ هيّأه لانتفاعكم به ركوباً وأكلاً ولبساً﴿ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا﴾ هوالسمك﴿ وتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً﴾ هي اللؤلؤ والمرجان﴿ تَلْبَسُونَها﴾ أنتم ونساؤكم تتزين بها لأجلكم﴿ وتَرَى الْفُلْكَ﴾ السفن﴿ مَواخِرَ فِيهِ﴾ جواري. تمخر الماء أي: تشقه بصدرها﴿ ولِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا﴿ مِنْ فَضْلِهِ﴾ تعالى بركوبه للتجارة﴿ ولَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على هذه النعم التي لا يقدر عليها غيره.

[سورة النحل الآيات١٥ - ٢٦]

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ

﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾

﴿ وأَلْقى فِي الأَرْضِ رَواسِيَ﴾ جبالاً ثوابت﴿ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ كراهة أن تضطرب قيل: كانت الأرض كرة خفيفة بسيطة الطبع، وكان من حقها أن تتحرك بالإستدارة كالأفلاك وأن تتحرك بأدنى سبب التحريك، فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحوالمركز، فصارت كالأوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل: لما خلق الله الأرض جعلت تمور، فقالت الملائكة: ما هي بمقر أحد على ظهرها وأصبحت وقد أرسيت بالجبال، ولم تدر الملائكة مما خلقت. ولا ينافي ذلك حركتها بالزلازل لأن ثبوت الحركة للجزء لا ينافي نفيها عن الكل. وعن الصادق (ع): ان الله خلق الأئمة اركان الأرض أن تميد بأهلها. وعن الباقر (ع): لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله﴿ وأَنْهاراً﴾ وجعل فيها أنهاراً لدلالة(ألقى) عليه﴿ وسُبُلاً﴾ أي: طرقاً لكي تجروا الماء في بساتينكم، أوحيث تريدون، وقيل: الأنهار: النيل ودجلة والفرات وسيحان وجيحان ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ بالطرق إلى مقاصدكم، أو إلى توحيد الله﴿ وعَلاماتٍ﴾

يستدلون بها على الطرق، من جبل ونحوه نهاراً﴿ وبِالنَّجْمِ﴾ كالثريا والفرقدين وبنات نعش والجدي، وسائر النجوم الثابتة، فالمراد به: الجنس﴿ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ليلاً في البراري والبحار. وعنهم (ع): نحن العلامات والنجم: رسول اللّه (ص). وفي النبوي: هوالجدي لأنه لا يزول، وعليه بناء القبلة، وبه يهتدي أهل البرّ والبحر أقول: الظاهر: الجدي والباطن: رسول اللّه (ص)﴿ أ فَمَنْ يَخْلُقُ﴾ هذه الأشياء وهواللّه﴿ كَمَنْ لا يَخْلُقُ﴾ شيئاً منها وهوالأصنام المخلوقة العاجزة حتى جعلتموه مشبهاً بها حين أشركتموها معه في العبادة والإلهية. وعبّر عنها بـ(من) إجراء لها مجرى أولي العلم لتسميتهم لها (آلهة)، أو مبالغة بمعنى: أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بالجماد؟﴿ أ فَلا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلموا بطلان ذلك﴿ وإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّهِ﴾ عليكم﴿ لا تُحْصُوها﴾ لا يمكنكم ضبط عددها تفصيلاً، وإنما عليكم أن تعرفوا حملها[1] وفيه تنبيه على أن من وراء النعم التي ذكرها سبحانه نعماً له لا تحصى﴿ إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ﴾ لتقصيركم في شكرها﴿ رَحِيمٌ﴾ حيث لم يقطعها بتقصيركم﴿ واللّهُ يَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وما تُعْلِنُونَ﴾ من نية وعمل. وعيد وتوبيخ على إشراكهم بعالم السر والعلن جمادات لا تشعر﴿ والَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ تعبدونهم. وقرأ عاصم بالياء﴿ مِنْ دُونِ اللّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ بخلق اللّه، أو بالنحت من الحجر والخشب ونحوهما وهم لا يقدرون على نحوذلك، فهم أعجز من عبدتهم﴿ أَمْواتٌ﴾ هم أموات﴿ غَيْرُ أَحْياءٍ﴾ تأكيد ﴿ وما يَشْعُرُونَ﴾ أي: الأصنام ﴿ أيانَ يُبْعَثُونَ﴾ وقت بعثهم، أو بعث عبدتهم فكيف يعبدون؟ وإنما يعبد الخالق الحي العالم بالبعث﴿ إِلهُكُمْ﴾ المستحق للعبادة﴿ إِلهٌ واحِدٌ﴾ لا إله معه﴿ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ﴾

---

(١) لعل الصحيح: (جملها) أو(جملتها).

للوحدانية ﴿ وهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ عن قبول الحق وذلك لأن المؤمن بالبعث يتأمل الدلائل فيقبل الحق، والجاحد لا يتأملها ولا يقبل إلا ما ألفه ووافق رأيه﴿ لا جَرَمَ﴾ أي: لا شك. قيل: هي كلمة في الأصل بمعنى: (لا بدّ) و(لا محالة) فكثرت حتى تحولت إلى معنى اليمين أي: حقاً﴿ أنَّ اللّهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وما يُعْلِنُونَ﴾ فيجازيهم به﴿ إنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن التوحيد، أوكل متكبر فيدخل هؤلاء أي: يعاقبهم﴿ وإذا قِيلَ لَهُمْ﴾ لمشركي. قريش والقائل: بعضهم على التهكم، أو الوافدون عليهم، أو المسلمون ﴿ ما ذا﴾ ما الذي ﴿ أنزل ربُّكُمْ﴾ على محمد (ص)، أو أيّ شيء أنزله﴿ قالُوا أساطِيرُ الأولينَ﴾ أي: المنزل في زعمكم هوأكاذيب الأولين ﴿ لِيَحْمِلُوا﴾ (اللام) للعاقبة أي: كانت عاقبة أمرهم حين قالوا ذلك إضلالاً للناس أوحملوا﴿ أوزارَهُمْ﴾ ذنوبهم﴿ كاملَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ لا يخفف من عقابهم شيء ﴿ وَمِنْ﴾ بعض ﴿ أوزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾ شاركوهم في إثم ضلالتهم لأنهم دعوهم إليهم فأتبعوهم﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: جاهلين كونهم ضلالاً، ولا عذر لهم بجهلهم إذ كان عليهم الفحص ليميزوا المهتدي من الضال﴿ ألا ساءَ ما يَزِرُونَ﴾ بئس شيء يحملونه حملهم هذا. عن الباقر (ع): ماذا أنزل ربكم في علي قالوا أساطير الأولين، سجع أهل الجاهلية في جاهليتهم ليحملوا أوزارهم ليستكملوا الكفر ليوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الذين يتولونهم. والقمي: يحملون آثامهم يعني الذين غصبوا أمير المؤمنين وآثام كل من اقتدى بهم﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: من قبل هؤلاء المشركين بأنبيائهم من جهة التكذيب وغيره. وهذا على سبيل التسلية لنبينا والوعيد لقومه﴿ فَأتَى اللَّهُ﴾ أي: أمره﴿ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ﴾ الأساس﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ للتوكيد، أو ليدل على أنهم كانوا تحته، أو (على) بمعنى: (عن) أي: خرّ عن كفرهم وجحدهم بالله وبآياته﴿ وأتاهُمُ الْعَذابُ﴾ عذاب الإستئصال

﴿ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾لا يحتسبون، وهو مثل لإهلاكهم بحيلهم. وقيل: أريد به نمرود بنى صرحاً طويلاً ليقاتل عليه أهل السماء، فأرسل الله عليه ريحاً فخرّ عليهم.

[سورة النحل الآيات٢٧ - ٣٤]

ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ

رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٤﴾

﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ يفضحهم، أو يدخلهم النار﴿ ويَقُولُ﴾ توبيخاً لهم ﴿ أينَ شُرَكائِيَ﴾ بزعمكم. وعن البزي ترك الهمز﴿ الَّذينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ﴾تعادون المؤمنين. وكسر نافع النون أي: تشاقونني﴿ فيهِمْ قالَ الَّذينَ أوتُوا الْعِلْمَ﴾ الأنبياء والعلماء، أو الملائكة: ﴿ إنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ والسُّوءَ﴾ الذل والعذاب﴿ عَلَى الْكافِرينَ﴾ يقولونه شماتة بهم﴿ الَّذينَ﴾ بدل، أو صفة لهم ﴿ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾ وقرأ حمزة بالياء في الموضعين﴿ ظالِمِي أنْفُسِهِمْ﴾ بكفرهم حال﴿ فَألْقَوُا السَّلَمَ﴾ أي: استسلموا وانقادوا حين عاينوا الموت، ولات حين ينفع الإذعان قائلين: ﴿ ما كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ من كفر، فتكذبهم الملائكة﴿ بَلى إنَّ اللَّهَ عَليمٌ بما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا من المعاصي وغيرها، فيجازيكم عليها﴿ فَادْخُلُوا أبْوابَ جَهَنَّمَ﴾ طبقاتها ودركاتها ﴿خالِدينَ فيها فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرينَ﴾ فبئس منزل المتعظمين عن قبول الحق جهنم. و(اللام) للتوكيد﴿ وقِيلَ لِلَّذينَ اتَّقَوْا﴾ الكفر والمعاصي وهم المؤمنون ﴿ ما ذا﴾ أيّ شيء ﴿ أنزل رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً﴾ أنزل خيراً، وفي نصبه دليل على أنهم لم يتلعثموا في الجواب، واطبقوه على السؤال معترفين بالإنزال ـ على خلاف الكفرة ـ ﴿ لِلَّذينَ أحْسَنُوا في هذهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ﴾ كرامة معجلة وهي: الثناء والمدح على السنة والمؤمنين[1]، والهدى والتوفيق للإحسان﴿ ولَدارُ الاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ أي: ما يصل إليهم

(١) كذا في الخطية ولعلها: (ألسنة المؤمنين).

في الآخرة من الثواب خير مما يصل إليهم في الدنيا ﴿ لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ﴾ هي ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ خبر محذوف، أوالمخصوص بالمدح، أو مبتدأ خبره: ﴿ يَدْخُلُونَها تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهارُ﴾ مرّ معناه﴿ لَهُمْ فِيها ما يَشاؤُنَ﴾ من أنواع المشتهيات من النعم. وتقديم الظرف يفيد أن الإنسان لا يجد جميع ما يريد إلا في الجنة﴿ كَذلِكَ﴾ مثل هذا الجزاء﴿ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ معاصيه. عن الباقر (ع): ولنعم دار المتقين الدنيا.﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طيبي الأعمال، طاهري القلوب من دنس الشرك والمعاصي، لأنه في مقابل ظالمي أنفسهم، أو طيبة نفوسهم بالمصير إليه، فرحين ببشارة الملائكة إياهم الجنة﴿ يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت أي: الملائكة ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: سلامة لكم من كل سوء﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حين يحشرون. وقيل: إنما يقولون ذلك عند خروجهم من قبورهم ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ما ينتظر الكفار المتقدمون﴿ إلاّ أنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾ لتوفيهم. وقرأ حمزة والكسائي بالياء ﴿ أو يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ القيامة، أو عذاب الإستئصال، وقد مرّ معناه في البقرة والأنعام﴿ كذلِكَ﴾كما فعل هؤلاء﴿ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾كذبوا رسلهم فدمّروا ﴿ وما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾بتدميرهم﴿ ولكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بسوء عملهم من الكفر والمعاصي المؤذية﴿ فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا﴾ أي: جزاؤها، أو على تسمية العقاب (سيئة) كقوله: (وجزاء سيئة سيئة مثلها)[1]﴿ وحاقَ بِهِمْ﴾ وأحاط بهم جزاء﴿ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ والحيق: لا يستعمل إلا في الشر.

---

(١) سورة الشورى الآية ٤٠.

[سورة النحل الآيات ٣٥ - ٤٢]

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

﴿ وقالَ الَّذينَ أشرَكوا﴾ بربهم غيره﴿لوشاءَ اللَّهُ ما عَبَدْنا مِنْ دُونه مِنْ شَيْءٍ﴾ من الأصنام والأوثان﴿ نَحْنُ ولا آباؤُنا﴾ الذين إقتدينا بهم﴿ ولا حَرَّمْنا مِنْ دُونه مِنْ شَيْءٍ﴾ من البحيرة والسائب وغيرهما بل شاء ذلك منا، وأراد بذلك فعلنا تشبثوا بالقول بالجبر وهم الجبرية﴿ كَذلكَ﴾ كما فعل هؤلاء من تكذيب الحجج المنزلة بأنه تعالى شاء قبائح أعمالهم﴿ فَعَلَ الَّذينَ مِنْ قَبلِهِمْ﴾ من الكفّار جحدوا آياته، وردّوا رسله، وحرموا حلّه، ونسبوا إليه مشيّة ما فعلوه من القبائح كالشرك وغيره مشية ترفع اختبارهم، ومرّ مثله في آخر الأنعام﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إلاّ البَلاغُ﴾ ما عليهم إلا التبليغ ﴿ المُبينُ﴾ للحق وتنزيه اللّه تعالى عن الظلم﴿ ولَقَدْ بَعَثْنا في كُلِّ أُمَّةٍ﴾ جماعة وقرن﴿ رَسُولاً﴾ كما بعثناك رسولاً في أمتك﴿ أنِ﴾ أي: بأن، أو أي﴿ اعْبُدُوا اللّهَ واجْتَنبُوا الطّاغُوتَ﴾ أي: عبادة الشيطان وكل داع إلى ضلالة ﴿ فَمنْهُمْ مَنْ هَدَى اللّهُ﴾ إلى الجنة بإيمانه الذي أرشده إليه﴿ ومِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْه الضَّلالَةُ﴾ أي: ثبت عليه الخذلان لعلمه بتصميمه على الضلال، أو حكم بضلاله لظهوره، أو أضله عن الجنة، أو أوجب عليه العذاب﴿ فَسيرُوا في الأرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقبَةُ المُكَذّبينَ﴾ للرسل والحجج، حتى تعلموا اني لا أشاء القبيح بالذات﴿ إنْ تَحْرِصْ﴾ يا محمد (ص)﴿ عَلى هُداهُمْ﴾ أي: إيمانهم﴿ فَإنَّ اللّهَ لا يَهْدي مَنْ يُضِلُّ﴾ لا يلطف بمن يخذل فإن اللّه لا يهدي القوم الظالمين، أو لا يهتدي من يخذله إشارة إلى أن ذلك لتقصير وقع من جهته. وقرأ غير الكوفيين (يهدى) مبنياً للمفعول﴿ وما لَهُمْ مِنْ ناصرِينَ﴾ يمنعونهم من العذاب﴿ وأقْسَمُوا بِاللّه جَهْدَ إيمانهِمْ﴾ مجتهدين فيها ﴿ لا يَبْعَثُ اللّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ بالغوا في إنكار البعث حتى أقسموا عليه، فرد اللّه عليهم بقوله: ﴿ بَلى﴾ يبعثهم﴿ وَعْداً﴾ وعد ذلك وعداً ﴿ عَلَيْه﴾ إنجازه بمقتضى الحكمة

﴿ حَقًّا﴾ حقه حقاً﴿ ولكنَّ أكثر النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ صحة البعث لجهلهم وجه الحكمة فيه، أو لتوهمهم امتناعه﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ الحق ﴿ الَّذي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ فيميز المحق من المبطل بالثواب والعقاب﴿ ولِيَعْلَمَ الَّذينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كانُوا كاذِبينَ﴾ في نفيهم البعث﴿ إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ﴾ أي: أردنا تكوينه، و(قولنا) مبتدأ خبره: ﴿ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فهويكون ونصبه ابن عامر والكسائي عطفاً على (نقول) أوجواباً لـ(كن). والآية لبيان قدرته تعالى على البعث، وأنه لا يتوقف إلا على إرادته المعبر عنها بـ(كن)﴿ والَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ في سبيله لإقامة دينه، وهم النبي (ص) والمهاجرون إلى المدينة والحبشة، أو المعذبون بمكة بعد هجرة النبي(ص) كصهيب وعمّار وبلال، وغيرهم﴿ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا﴾ بالأذى من قريش﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ لننزلهم ﴿ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً﴾ مباءة[1] حسنة هي المدينة﴿ ولأَجْرُ الآخِرَةِ﴾ ثوابها﴿ أَكْبَرُ﴾ مما نعطيهم في الدنيا﴿ لَوكانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: الكفّار ما للمهاجرين من خير الدارين لوافقوهم، أوالمهاجرون ما أعدّ لهم لزاد اجتهادهم﴿ الَّذينَ صَبَرُوا﴾ على الأذى والهجرة. مدح مرفوع، أو منصوب﴿ وعَلى رَبِّهِمْ﴾ لا على غيره﴿ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيكفيهم أمورهم.

[سورة النحل الآيات ٤٣-٥٤]

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ

---

(١) مكاناً ومحلاً.

ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾

﴿ وما أرسَلْنا مِنْ قَبلِكَ﴾ إلى الأمم الماضية﴿ إلاَّ رِجالاً﴾ من البشر﴿ نُوحِي﴾ وقرأ حفص بالنون﴿ إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة. ردّ للمشركين في إنكارهم كون الرسول بشراً بأن هذا هوالسّنة المستمرة لأنه مقتضى الحكمة﴿ فَسْئَلُوا أهل الذِكْرِ﴾ أهل العلم بأخبار من مضى. و(الذكر) بمنزلة السبب المؤدي للعلم، أو أهل التوراة والإنجيل

﴿ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ والخطاب لمشركي مكة فانّهم كانوا يصدّقون اليهود والنصارى فيما كانوا يخبرون به لأنهم كانوا يكذبون النبي (ص) لشدة عداوتهم، أو أهل القرآن لأن الذكر هوالقرآن، أو أهل الرسول لأن الرسول ذكر أيضاً. وفي المستفيضة: رسول الله (ص): الذكر وأهل بيته: المسؤلون وهم أهل الذكر. وعن الباقر والصادق (ع) الذكر: القرآن وأهله آل محمد (ص). وقيل للباقر (ع): ان من عندنا يزعمون أن قول الله: (فاسألوا أهل الذكر) أنهم اليهود والنصارى، قال: إذا يدعوكم إلى دينهم، ثم قال بيده إلى صدره: نحن أهل الذكر ونحن المسؤلون ﴿ بِالْبَيِّناتِ﴾ متعلق بمقدر أي: أرسلناهم بالمعجزات﴿ والزُّبُرِ﴾ الكتب﴿ وأنزلنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ القرآن﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فيه من الشريعة والأحكام﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيه فيعلمون ما هوالحق﴿ أَ فَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئاتِ﴾ أي: المكرات السيئات بالرسول (ص) من إرادة حبسه، أو قتله، أو إخراجه﴿ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ ﴾كقارون﴿ أو يَأْتِيَهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا يتوقعونه منها كقوم لوط، أو قد وقع يوم بدر[1]﴿ أو يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ في أسفارهم، أو بالليل والنهار﴿ فَما هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين الله﴿ أويَأْخُذَهُمْ عَلى تَخَوُّفٍ﴾ وهم متخوفون بأن أهلك غيرهم فتوقعوا البلاء، أو على تنقّص شيئاً فشيئاً حتى يفنوا ﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ بكم حيث أمهلكم لتتوبوا ولم يعاجلكم بالعقوبة ﴿ أَولَمْ يَرَوْا﴾ وقرأ حمزة والكسائي بالتاء أي: هؤلاء الذين جحدوا التوحيد والنبوة. والإستفهام للإنكار﴿ ما خَلَقَ اللَّهُ﴾ (ما) موصولة مبهمة بيانها: ﴿ مِنْ شَيْءٍ﴾ له ظل كشجر وجبل﴿ يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ﴾ يتميل والفيء: الظل بعد الزوال وأصله: الرجوع. وقرأ

---

(١) حق العبارة أن يقال: (أو ما قد وقع).

ابوعمروبتاء التأنيث لأن (ظلال) جمع ﴿عَنِ الْيَمِينِ والشَّمائِلِ﴾ جمع (شمال) أي: عن جانبي ذوات الضلال وإفراد اليمين وجمع الشمائل كأنه باعتبار لفظ (مما) ومعناها كافراد الضمير في ظلاله وجمعه في ﴿ سُجَّداً لِلَّهِ ﴾ حال من (الظلال) أي: منقادة لأمره في تقلبها وكذا﴿ وهُمْ داخِرُونَ﴾ صاغرون لما فيهم من التسخير ودلائل التدبير، وجمع بالواو لأن الدخول للعقلاء﴿ ولِلَّهِ يَسْجُدُ ما فِي السَّماواتِ وما فِي الأَرْضِ﴾ ينقاد لإرادته وأمره﴿ مِنْ دابَّةٍ﴾ بيان لما فيهما على أن في السماء خلقاً يدبّون﴿ والْمَلائِكَةُ﴾ من عطف الخاص على العام للتفخيم، أو بيان لما في الأرض والملائكة تعيين لما في السموات تفخيماً. و(ما) لتغليب ما لا يعقل لكثرته﴿ وهُمْ﴾ أي: الملائكة﴿ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن عبادته﴿ يَخافُونَ رَبَّهُمْ﴾ حال من (الواو) ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ أي: يرسل عليهم عذاباً من فوقهم، لأن أكثر ما يأتي العذاب المهلك من فوق، أو يخافونه وهوفوقهم بالقهر والغلبة كما في: (وهوالقاهر فوق عباده)[١] أو أن الملائكة من فوق بني آدم وما في الأرض من دابة يخافون اللّه﴿ ويَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾ من الطاعة والتدبير القمي: قال: الملائكة ما قدر لهم يأتمرون فيه﴿ وقالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ تأكيد يؤذن بمنافاة الإثنينية للإلهية﴿ إِنَّما هُوإِلهٌ واحِدٌ﴾ أكّد تنبيهاً على لزوم الوحدة للالهية﴿ فَإِيايَ فَارْهَبُونِ﴾ فخافون لا غير. إلتفات من الغيبة إلى التكلم للمبالغة في الترهيب﴿ ولَهُ ما فِي السَّماواتِ والأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً، ويعم أفعال العباد من حيث أنه خلقها تبعاً لإختيارهم وقدرتهم عليها﴿ ولَهُ الدِّينُ واصِباً﴾ حال عاملها له، أي: له الطاعة دائمة والجزاء دائماً أي: الثواب والعقاب. وعن الصادق (ع) واصباً قال: واجباً﴿ أَ فَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ توبيخ. أي: كيف تخشون

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٨.

غيره ولا تخشونه؟ ولا نافع ولا ضار سواه﴿ وما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ أي: شيء حلّ بكم كصحّة وسعة فهي منه تعالى، حتى الإيمان فانه بلطفه وتوفيقه. و(ما) موصولة، أو شرطية﴿ ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ كالمرض والشدة والبلاء وسوء الحال ﴿ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ﴾ فما تتضرعون في كشفه إلا إليه﴿ ثُمَّ إِذا كَشَفَ الضُّرَّ﴾ دفعه ﴿ عَنْكُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْكُمْ﴾ وهم كفاركم﴿ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ في العبادة جهلاً منهم بربهم. ومقابلة لنعمه بالكفران.

[سورة النحل الآيات٥٥- ٦٤]

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿لِيَكْفُرُوا بما آتَيْناهُمْ﴾ كأنهم قصدوا بالشرك كفرانها﴿ فَتَمَتَّعُوا﴾ بما أنتم فيه أمر تهديد﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ سوء عاقبتكم﴿ وَيَجْعَلُونَ لما﴾ للأصنام التي﴿ لا يَعْلَمُونَ﴾ أنها لا تضر ولا تنفع﴿ نَصِيباً ممَّا رَزَقْناهُمْ﴾ من الحرث والأنعام﴿ تَاللَّه لَتُسْئَلُنَّ﴾ توبيخ. وهو إلتفات من الغيبة﴿ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ بدعوى إلهيتها والتقرب إليها﴿ وَيَجْعَلُونَ للَّه الْبَناتِ﴾ وهوقول خزاعة وكنانة: الملائكة بنات الله، كما قال: (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرّحمن إناثا)[1] ﴿ سُبْحانَهُ﴾ تنزيهاً له عن قولهم﴿ ولَهُمْ ما يَشْتَهُونَ﴾ أي: للبنون. و(ما) مبتدأ، أوعطف على (البنات) ﴿ وإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بالأنثى﴾ بولادتها له﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ﴾ صار لون وجهه﴿ مُسْوَدًّا﴾ متغيراً إلى السواد، أو متغيراً من الغم ﴿ وهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوء غيظاً وحزناً فكيف يجعلون البنات له تعالى؟﴿ يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ﴾ يختفي من قومه مخافة العار﴿ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ﴾ به عنده مفكراً ماذا يصنع به ﴿ أَ يُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ﴾ أ يتركه على هوان وذل﴿ أَمْ يَدُسُّهُ ﴾ يخفيه ويدفنه

---

(١) سورة الزخرف الآية ١٩.

﴿ فِي التُّرابِ﴾ حياً. وهو الوأد الذي كان من عادة العرب[1]، وذكر الضمير للفظ (ما)﴿ أَلا ساءَ﴾ بئس﴿ ما يَحْكُمُونَ﴾ في حكمهم هذا حيث جعلوا ما هذا محلّه عندهم للمنزّه عن الولد﴿ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ كالذين وصفوه بالولد ﴿ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ الصفة السوء وهي: الحاجة للأولاد ودفن البنات خوف الفقر، أو سواد الوجه والخزي﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الاعْلى﴾ الصفة العليا من السلطان والقدرة، أو الإستغناء عن الصاحبة والولد ولا ينافي في هذا قوله: (ولا تضربوا للّه الأمثال)[2] لأن المراد بها الأشباه، أو الأمثال المضروبة بالباطل﴿ وَهُوَالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ البالغ القدرة والحكمة﴿ وَلَوْيُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ بكفرهم ومعاصيهم﴿ ما تَرَكَ عَلَيْها﴾ أي: على الأرض، لدلالة الناس والدابة عليها﴿ مِنْ دَابَّةٍ﴾ تدب عليها بشؤم ظلمهم، أو من دابة ظالمة، أو لو أهلك الآباء بظلمهم لبطل نسلهم ولهلكت الدواب المخلوقة لهم﴿ وَلكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ معلوم معيّن هومنتهى أعمارهم، أو القيامة ليتوالدوا﴿ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه، بل هلكوا وعذبوا لا محالة، وقد مرّ تفسير، ولا يلزم من عموم الناس وإضافة الظلم إليهم أن يكونوا كلهم ظالمين حتى الأنبياء لجواز أن يضاف إليهم ما شاع فيهم وصدر عن أكثرهم﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ما يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسهم من البنات والشركاء في الرئاسة، واهانة الرسل، ورديّ المال﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾ بقوله مع ذلك وهو: ﴿ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنى﴾ عند اللّه وهي الجنة كقوله (ولئن رجعت إلى ربّي ان لي عنده

---

(١) الأولى أن يقال: (من عادة بعض العرب)لأن الوأد اختصت به بعض القبائل العربية وليس كل العرب. وإلا فبم كانوا يتروجون ؟ ومن أين يولدون؟ أليس لهم أمهات وزوجات؟ ولو كانت العرب كلها تاد لما بقيت خديجة ولا فاطمة بنت أسد ولا غيرهما من النساء. فالعبارة «كان من عادة العرب» عبارة غير دقيقة.

(٢) سورة النحل الآية ٧٤.

للحسنى)(١) ﴿لا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ لا الحسنى ﴿وأنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ مقدمون إلى النار. من: (أفرطته في طلب الماء) أي: قدمته. وكسر نافع (الراء) من الإفراط في المعاصي ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أرْسَلْنا﴾ رسلاً ﴿إلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أعْمالَهُمْ﴾ كفرهم وتكذيبهم الرسل فاصرّوا على قبائحها ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾ أي: في الدنيا. عبّر بـ(اليوم) عن زمانها أي: يتولونه ويتبعون إغواءه فيها، واما يوم القيامة فيتبرأ بعضهم من بعض. فهو وليهم حين كان يزيّن لهم، أو يوم القيامة أي: يكلهم الله إليه أياساً لهم من رحمته ﴿ولَهُمْ﴾ وللتابع والمتبوع ﴿عَذابٌ ألِيمٌ﴾ موجع في القيامة ﴿وما أنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ﴾ يا محمد (ص) ﴿إلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ للناس ﴿الَّذي اخْتَلَفُوا فيهِ﴾ من التوحيد والعدل وأحوال المعاد والحلال والحرام ﴿وهُدىً ورَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ معطوفان على ما قبلهما على أنهما مفعولان له.

[سورة النحل الآيات ٦٥ - ٧٢]

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ

---

(٢) سورة فصلت الآية ٥٠.

ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٢﴾

﴿ واللّهُ أنزل مِنَ السَّماءِ ماءً﴾ مطراً﴿ فَأَحْيا بِهِ الأرْضَ﴾ بأنواع النبات، أو﴿ بَعْدَ مَوْتِها﴾ يبسها وجدبها﴿ إِنَّ فِي ذلكَ لآيةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر وإعتبار﴿ وإنَّ لَكُمْ فِي الأنعامِ﴾ الثلاث ﴿ لَعِبْرَةً﴾ دلالة يعتبربها من الجهل إلى العلم بقدرة اللّه تعالى﴿ نُسْقِيكُمْ﴾ إستئناف لبيان (العبرة). وفتحه نافع وابن عامر وأبوبكر﴿ مِمَّا﴾ (من) تبعيضية﴿ فِي بُطُونِهِ﴾ أي: الأنعام. فان لفظه مفرد ومعناه جمع كالرهط والنعم، فذكّر هنا اللفظ وأنث في سورة المؤمنين للمعنى. وإن جعل جمع (نعم) فالضمير لواحد، أو للبعض إذ ليس لكلها لبن﴿ مِنْ﴾ ابتدائية يتعلق بـ(نسقيكم)﴿ بَيْنِ فَرْثٍ

ودَمٍ لَبَناً﴾فان الكرش تهضم العلف أولاً فتجذب الكبد صافيه ويبقى الثفل وهو الفرث ثم يهضمه الكبد ثانياً فتحدث منه الأخلاط الأربعة ومائية ثم ترسل الدم في الأوردة لتغذية الأعضاء ويصحبه البلغم وقسط من المرتين والمائية لتعديله وبذرقته ثم ترجع المائية فتندفع إلى الكليتين ثم إلى المثانة وبقية المرتين إلى المرارة والطحال والأنثى لبرد مزاجها ورطوبته تزيد أخلاطها على غذائها فيندفع الزائد إلى الرحم للجنين وبعد انفصاله ينصبّ إلى الضرع فيحيله لبناً بواسطة لحمة الغددي الأبيض ذلك تقدير العزيز العليم﴿ خالِصاً﴾ لا يشوبه لون ولا رائحة ولا طعم من الفرث والدم﴿ سائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾ سهل الجواز في حلوقهم﴿ وَمِنْ ثَمَراتِ النَّخِيلِ والأَعْنابِ﴾ خبر محذوف أي: ثمر صفته﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ﴾ أومتعلق بـ(يتخذون) و(منه) تأكيد وتذكير الضمير لأن الثمرات بمعنى: الثمر، أوعلى حذف مضاف أي: من عصيرها، أو بمقدر أي: ونسقيكم من عصير ثمراتها، ويكون (تتخذون) بياناً للإسقاء﴿ سَكَراً﴾ مصدر سمي به الخمر. قيل: هذا قبل تحريمها. والنصوص دلت على انها ما حلّت في سائر الملل﴿ وَرِزْقاً حَسَناً﴾ كالتمر والزبيب والدّبس والخل. وفي وصف قسيم الخمر بالحسن إشعار بأنها غير حسنة فليست بحلال. وقيل: السكر الأشربة الحلال والرزق الحسن المأكول اللذيذ﴿ إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَةً﴾ دالة على قدرته تعالى﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في آياته تعالى﴿ وأوحى رَبُّكَ إلى النَّحْلِ﴾ ألهمها وقذف في قلوبها، أوجعل ذلك في غرائزها﴿ أَنِ﴾ بأن، أو أي: ﴿ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً﴾ شبّه ما تبنيه للعسل بالبيوت لما فيه من حسن الصفة وصحة القسمة التي لا يقدر عليها حذّاق المهندسين إلاّ بآلات وأنظار دقيقة ﴿ ومِنَ الشَّجَرِ ومِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ بكسر الراء، وضمّها أبوبكر وابن عامر أي: يرفعون من

سقف وكرم. وجيء بالتبعيض لأنها لا تبنى في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم وسقف، بل فيما يوافقها من ذلك. وآتى بلفظ الأمر لمناسبة الوحي أجرى عليه الأمر إتساعاً ﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ التي تشتهيها، مرّها وحلوها، وهي الأزهار والأنوار ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ طرقه التي ألهمك في عمل العسل، أو اسلكي ما أكلت في مسالك ربك التي تحيله فيها بقدرته عسلاً ﴿ ذُلُلاً﴾ جمع (ذلول) أي: مذللة حال من (السبل) أومن فاعل (اسلكي) أي: منقادة لما أمرت به ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هوالعسل لأنه مما يشرب وهذا يعضد القول بأنها تأكل الأزهار والأوراق فتستحيل في بطونها عسلاً، فتقيئه وتدخره للشتاء. وعلى القول بأنها تلتقط طلاً[1] حلوا يقع عليها وتدخره في بيوتها فإذا كثر كان عسلاً. تفسر البطون بالأفواه ﴿ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ أصفر وأحمر وأبيض وأسود ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ من الأمراض البلغمية منفرداً ومطلقاً مع غيره. والتنكير للتبعيض، أو التعظيم. وفي النحل والعسل وجوه من الإعتبار كإختصاصه بخروج العسل من فيه. وجعل الشفاء من موضع السم. وعن الصادق (ع): نحن والله النحل الذي أوحى الله إليه أن اتخذي من الجبال بيوتاً أمرنا أن نتخذ من العرب شيعة ومن الشجر يقول من العجم ومما يعرشون يقول من الموالي والذي يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه أي: العلم الذي يخرج منا إليكم. وزاد في آخر: في العلم شفاء للناس والشيعة هم الناس ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والأفعال العجيبة ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ أوجدكم وأنعم عليكم بضروب النعم ﴿ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ بآجال مختلفة ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أرداه وأخسه أي: الهرم والخرف الذي يشابه

---

(١) الطلّ -بالفتح -والمراد به -هنا-: الندى الذي ترسله عروق الشجر إلى غصونها.

الطفولية في نقصان الجوارح والحواس والعقل. عن النبي (ص) وعلي (ع): هو خمس وسبعون سنة. وعن الباقر (ع): إذا بلغ مائة سنة فذلك أرذل العمر. وروي: أن أرذل العمر أن يكون عقله مثل عقل ابن سبع سنين﴿ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ ليصير كالطفل في نسيان علمه لأجل كبره فكأنه لا يعلم شيئاً مما كان علمه. وقيل: ليقلّ علمه بخلاف ما كان عليه من حال شبابه﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بمقادير أعمارهم ﴿ قَدِيرٌ﴾ على ما يشاء من تصريفهم﴿ واللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ فمنكم غني موسّع عليه، ومنكم فقير مقتّر عليه﴿ فَمَا الَّذينَ فُضِّلُوا﴾ في الرزق من الأحرار﴿ بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلى ما مَلَكَتْ إيمانهُمْ﴾ أي: لا يرزقون مماليكهم بل الله رازق الملاك والمماليك فان الذي يدرّه المولى على مملوكه رزق المملوك الذي جعله الله في يد مولاه﴿ فَهُمْ﴾ أي: الموالي والمماليك ﴿ فِيهِ سَواءٌ﴾ في أن الله رزقهم، أوالمعنى: فما هم بجاعلي ما رزقناهم شركة بينهم وبين مماليكهم حتى يتساووا فيه ولم يرضوا بذلك وهم يشركون عبيدي في معنى الإلهية﴿ أ فَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ يكفرون حيث يشركون به غيره وقرأ أبوبكر بالتاء﴿ واللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً﴾ من جنسكم لتسكنوا إليها﴿ وجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَنِينَ وحَفَدَةً﴾ أولادَ أولادٍ، أو أعواناً، أو اختاناً على البنات، أو ربائب. جمع (حافد) وأصله: الإسراع في العمل. والمناسبة الإسراع في الطاعة. وعن الصادق(ع): الحفدة: بنو البنت ونحن حفدة رسول الله (ص). وفي رواية: هم الحفدة وهم العون ويعني: البنين. وعنهم(ع): أختان الرجل على بناته﴿ ورَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ﴾ المستلذات أي: بعضها، إذ كلها إنما تكون في الجنة﴿ أ فَبِالْباطِلِ ﴾ من الأصنام وتحريم الحلال ونحوهما ﴿ يُؤْمِنُونَ وبِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾ التي عدّدها﴿ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ حيث أشركوا به غيره.

[سورة النحل الآيات ٧٣ - ٧٩]

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

﴿ ويَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّماواتِ والأَرْضِ شَيْئاً﴾ من مطر ونبات بدل من (رزقاً) أومفعوله إن جعل مصدراً﴿ وَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لا يقدرون على شيء. وهم: الأصنام﴿ فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الامْثالَ﴾ فلا تجعلوا له أشباهاً في الإلهية ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أن لا مِثْلَ له﴿ وأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك. ولوتدبرتم لعلمتم، أو إنه يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون، ثم علّمهم كيف تضرب فقال: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مثلاً ﴾ لنفسه وما يشرك به، أو بدل منه﴿ عَبْداً مَمْلُوكاً﴾ نعت يخرج الحرّ فإنه عبد الله ﴿ لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ ﴾عاجز عن التصرف وهذا مثل الأصنام﴿ ومَنْ﴾ نكرة موصوفة أي: وحراً ﴿ رَزَقْناهُ مِنّا رِزْقاً حَسَناً﴾ مالاً وافراً﴿ فَهُو يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وجَهْراً﴾ أي: يتصرف فيه كيف شاءوهو مثله تعالى﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ أي: العبيد العجزة والأحرار ذوي التصرف. باستفهام إنكارِ أي: لا يستوون مع مشاركتهم في الجنسية فكيف يسوّي بين جمادات عجزة وبين اللّه القادر على كل شيء؟ واحتج بالآية على أن المملوك لا يملك﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كل الحمد للّه لا يستحقه غيره فضلاً عن العباد. وفيه إشارة إلى أن النعم كلها منه﴿ بَلْ أَكْثرهُمْ﴾ وهم المشركون﴿ لا يَعْلَمُونَ﴾ أنّ الحمد لي وجميع النعم مني﴿ وضَرَبَ اللَّهُ مثلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما أَبْكَمُ﴾ ولد أخرساً لا يَفْهَم ولا يُفْهِم وقيل: (الأبكم) الذي لا يمكنه أن يتكلم﴿ لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ﴾ من الصنائع والتدابير لنقصان عقله﴿ وهُوَ كَلٌّ﴾ عيال وثقل﴿ عَلى مَوْلاهُ﴾ الذي يتولى أمره﴿ أي:نَما يُوَجِّهْهُ﴾ حيثما يرسله مولاه في حاجة﴿ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ بنجح ولا يهتدي بحال إلى منفعته أي: لا منفعة لمولاه فيه﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾ أي: هذا الأبكم الموصوف بهذه الصفة﴿ ومَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ ومن هو فصيح فَهِم ينفع الناس ويحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل﴿ وهُوَ﴾ في نفسه ﴿ عَلى صِراطٍ

مُسْتَقِيمٍ﴾ على دين قويم وطريق واضح، وهذا مثل ضربه الله لنفسه وللأصنام لإبطال المشاركة بينه وبينها فإن من يؤمّل الخير من جهته لا يشاركه من لا يؤمل منه. وأصل الخير كله من الله، أو مثل للمؤمن والكافر فالأبكم: الكافر، والذي يأمر بالعدل: المؤمن، القمي: الذي يأمر بالعدل أمير المؤمنين(ع)والأئمة(ع). وعن الباقر(ع): هوعلي بن ابي طالب (ع) وهو على صراط مستقيم﴿ وللّه غَيْبُ السَّماوات والأرْضِ﴾ أي: يختص به علم ما غاب عن الخلق فيهما﴿ وما أَمْرُ السَّاعَة﴾ أمر إقامتها في قدرته﴿ إلاّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ كردّ الطرف﴿ أوهُوأَقْرَبُ﴾ منه في السرعة والسهولة، و(أو)للتخيير، أو بمعنى: بل ﴿ إنّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾ ومنه إقامة الساعة وإحياء الخلق﴿ واللّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ﴾ وكسر الكسائي (الهمزة) وكسرها و(الميم) حمزة﴿ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾ جملة حالية أي: لا تعرفون شيئاً من مضاركم ومنافعكم في تلك الحال﴿ وجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأبصارَ والأَفْئدَةَ﴾ القلوب آلات تتعلمون بها منافعكم ومضاركم، وما يوصلكم إلى السعادة الباقية﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لكي تشكروه على ذلك﴿ أَلَمْ يَرَوْا﴾ وقرأ ابن عامر وحمزة بتاء الخطاب﴿ إلى الطَّيْرِ مُسَخَّراتٍ﴾ مذلّلات للطيران بأجنحتها من غير أن تعتمد على شيء، صاعدة ومنحدرة، وذاهبة وجائية﴿ فِي جَوالسَّماءِ﴾ والجو: الهواء البعيد من الأرض﴿ ما يُمْسِكُهُنَّ﴾ فيه عن السقوط على الأرض﴿ إلاّ اللّهُ﴾ فإن ثقل جسدها يقتضي السقوط، ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها﴿ إنَّ فِي ذلِكَ﴾ التسخير﴿ لآياتٍ﴾ دالة على توحيده ﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأنهم المنتفعون بها.

[سورة النحل الآيات ٨٠ – ٨٧]

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٨٧﴾

﴿ واللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً﴾ موضعاً تسكنون فيه وقت إقامتكم، كالبيوت المتخذة من الخشب والحجر والمدر[١] ﴿ وجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأنعامِ بُيُوتاً﴾ خباء وخياماً متخذة من الأديم[٢]. ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فإنها من جلودها لنباتها عليها﴿ تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ للحمل والنقل﴿ يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ وقت رحلتكم، وسكّن (العين) الكوفيون وابن عامر، وفتحها غيرهم﴿ ويَوْمَ إِقامَتِكُمْ﴾ في مكان تنزلون فيه لا يثقل عليكم ضربها﴿ ومِنْ أَصْوافِها﴾ أي: الضأن﴿ وأوبارِها﴾ أي: الإبل ﴿ وأشْعارِها﴾ أي: المعز﴿ أثاثاً﴾ فرشاً وأكسية﴿ ومَتاعاً﴾ تتمتعون به ﴿ إلى حِينٍ﴾ تبلى فيه، أوإلى موتكم﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ﴾ من الشجر والجبل والأبنية ﴿ ظِلالاً﴾تتقون به حرّ الشمس﴿ وجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبالِ أكْناناً﴾ مواضع تسكنون بها من كهوف وثقوب تأوون إليها. جمع (كنّ) وهو: الذي يستتر صاحبه فيه ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ ﴾ ثياباً من القطن والكتان والصوف وغيرها ﴿ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ أي: والبرد دلّ أحد الضدّين على الآخر فحذف. وخصّ بالذكر أهمّها عندهم ﴿ وَسَرابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ يعني: دروع الحديد والجواشن تقيكم شدّة الطعن والضرب، وتدفع عنكم سلاح أعدائكم، والسربال: يعم كل ما يلبس﴿ كَذلِكَ﴾ أي: مثل إتمام هذه النعم التي تقدمت ﴿ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ في الدنيا﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ تتفكرون في نعمه فتوحدونه وتنقادون لأمره﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الإيمان فلا لوم عليك ﴿ فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ وقد بلّغت﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ عليهم بما يجدونه من خلق أنفسهم وإكمال عقولهم وخلق أنواع المنافع﴿ ثُمَّ يُنْكِرُونَها﴾ بعبادتهم غير المنعم بها

---

(١) المدر: هو الطين اللزج المتماسك.

(٢) الأديم ـ هنا ـ بمعنى: الجلد.

وقولهم انّها بشفاعة أصنامهم. وقيل: نعمة اللّه: نبوة محمد(ص) عرفوها بالمعجزات، ثم أنكروها عناداً ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ الجاحدون عناداً وذكر الأكثر: إما لأن بعضهم لم تقم الحجة عليه لصغره، أو لنقصان عقله، أو لتفريطه في النظر، أو لم تبلغه الدعوة، أولأنه تعالى عَلِمَ أنّ فيهم من يؤمن، أوأنه من الخاص المراد به العام كقوله: (بل أكثرهم لا يعلمون) وعن الصادق (ع): نحن واللّه نعمة اللّه التي أنعم بها على عباده، وبنا فازمن فاز.﴿ وَيَوْمَ﴾واذكر، أوخوّفهم يوم ﴿ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾ وهونبيّها، أو إمام زمانها، يشهد لها أوعليها يوم القيامة. وفائدة بعثهم مع علمه تعالى أنه أهول في النفس وأعظم في تصوّر الحال وأشد في الفضيحة سيما مع جلالة الشهود. وعن الصادق (ع): لكل زمان وأمة إمام تبعث كل أمة مع إمامها﴿ ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الإعتذار إذ لا عذر لهم كما قال لا يؤذن لهم فيعتذرون، أو في الرجوع إلى الدنيا وجيء بـ(ثمّ) لأن المنع من الكلام أصعب من الشهادة عليهم﴿ ولا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم العتبى أي: الرجوع إلى رضى اللّه﴿ وَإِذا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أشركوا﴿ الْعَذابَ﴾ النار﴿ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ العذاب ولا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يمهلون بل عذابهم دائم ولات[1] حين توبة﴿ وَإِذا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكاءَهُمْ﴾ أوثانهم الذين اشركوهم مع اللّه في العبادة، أو في الزرع والأنعام، أو شياطينهم الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه ﴿ قالُوا رَبَّنا هؤُلاءِ شُرَكاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ﴾ نعبدهم، أونطيعهم﴿ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكاذِبُونَ﴾ أي: أجابوهم بالتكذيب في أنهم آلهة، أو في أنهم أمروهم بعبادتهم أي: ينطق اللّه الأصنام بذلك، أو في أنهم حملوهم على الكفر وألزموهم إياهم﴿ وَأَلْقَوْا إِلَى اللّهِ

---

(١) لات: هي أداة نفي تعمل عمل (ليس) وفي الأزمان غالباً ومعنى العبارة: انه ليس ذلك الوقت وقت التوبة.

يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ أي: استسلموا لحكمه بعد أن استكبروا في الدنيا﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ ضاع وبطل﴿ ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من أن آلهتهم تشفع لهم حين كذبوا وتبرأوا منهم.

[سورة النحل الآيات٨٨ -٩٣]

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ

لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: أعرضوا عن دين الله، أو منعوا غيرهم عن اتّباعه بالحمل على الكفر، وصدوا المسلمين عن البيت الحرام﴿ زِدْناهُمْ عَذاباً﴾ لصدّهم﴿ فَوْقَ الْعَذابِ﴾ المستحق بكفرهم﴿ بما كانُوا يُفْسِدُونَ﴾ بإفسادهم بالصّدّ﴿ ويَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ من أمثالهم من البشر، أو نبيهم الذي أرسل إليهم، أو إمام زمانهم﴿ وجِئْنا بِكَ﴾ يا محمد (ص)﴿ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ﴾ أي: أمتك. وأفرده بالذكر تشريفاً له القمي: يعني من الائمة فرسول الله شهيد على الائمة وهم شهداء على الناس﴿ ونَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ﴾ القرآن﴿ تِبْياناً﴾ بياناً﴿ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أمور الدين تفصيلاً، أو إجمالاً بالإحالة إلى بيان النبي (ص) وخلفائه من آله المعصومين﴿ وهُدىً ورَحْمَةً﴾ للناس ـ إن اتبعوه ـ ﴿ وبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ خاصة بالثواب الدائم والنعيم المخلد. عن الصادق (ع): نحن والله نعلم ما في السموات وما في الأرض وما في الجنة وما في النار وما بين ذلك ثم قال ان ذلك في كتاب الله ثم تلا هذه الآية﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ والإنصاف بين الناس ﴿ والاحْسانِ﴾ إليهم والتفضل، أو العدل: التوحيد، والإحسان: أداء الفرائض، أو العدل في الأفعال، والإحسان في الأقوال، أو العدل أن ينصف وينتصف، والإحسان: أن ينصف ولا ينتصف﴿ وأي:تاءِ ذِي الْقُرْبى﴾ مطلقاً، أوقرابة النبي (ص). وهوتخصيص بعد تعميم للإهتمام بهم﴿ ويَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ﴾ ما قبح من القول والفعل، أو الزنا﴿ والْمُنْكَرِ﴾ ما أنكره الشرع﴿ والْبَغْيِ﴾ الظلم والكبر﴿ يَعِظُكُمْ﴾

بالأمر بالخير والنهي عن الشر﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتذكرون، أي: تتعظون، والآية جامعة لأصول التكاليف كلها فهي تصديق لكون القرآن بياناً لكل شيء. وعن ابن مسعود: أنها أجمع آية في القرآن للخير والشر. وعن علي (ع): العدل: الإنصاف، والإحسان: التفضل. وعن الباقر(ع) العدل: الشهادتان والإحسان: أميرالمؤمنين والفحشاء والمنكر والبغي فلان وفلان وفلان﴿ وأوفُوا بعَهْدِ اللَّه﴾ وهوكل ما يجب الوفاء به. وقيل: البيعة للرسول (ص)﴿ إذا عاهَدْتُمْ ولا تَنْقُضُوا الإيمان بَعْدَ تَوْكيدها﴾ توثيقها بإسم الله، يقال: وكد وأكد بقلب الواو همزة﴿ وقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفيلاً ﴾ شهيداً بالوفاء، إذ الكفيل بالشيء رقيب عليه﴿ إنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ﴾ من نقض ووفاء﴿ ولا تَكُونُوا كَالَّتي نَقَضَتْ غَزْلَها ﴾ ما غزلته ﴿ مِنْ بَعْدِ قُوَّة﴾ إحكام له وفتل ﴿ أنكاثاً﴾ حال، أو مفعول ثان لـ(نقضت) جمع (نكث) وهو: ما ينكث فتله. ومعناه: تشبيه الناقض بمن فعلت ذلك، أو بريطة بنت عمروالقرشية وكانت تغزل مع جواريها إلى انتصاف النهار، ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن. وعن الباقر (ع): هي امرأة من بني تميم يقال لها (ريطة بنت كعب) كانت حمقاء تغزل الشعر، فإذا غزلته نقضته، ثم عادت فغزلته، ثم قال(ع): ان الله أمر بالوفاء ونهى عن نقض العهد﴿ تَتَّخذُونَ﴾ حال من فاعل يكونوا أي: لا تكونوا مثلها متخذين﴿ إيمانكُمْ دَخَلاً﴾ غدراً ومكراً وهوما يدخل في الشيء للفساد﴿ بَيْنَكُمْ أنْ﴾ أي: لأن﴿ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أرْبى مِنْ أُمَّة﴾ جماعة، أكثر من جماعة أي: لا تغدروا بقوم وتنقضوا عهدهم بسبب كثرتكم وقلتهم، أو بسبب مداراتكم قوماً هم أكثر عدداً ممن حلفتم لهم، وكانت هذه عادة قريش إذا رأوا شوكة في أعادي حلفائهم نقضوا حلفهم وحالفوا أعداءهم فأمروا

بالوفاء وعدم النقض ﴿إِنَّما يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ يختبركم بالأمر بالوفاء، أوبكونهم أربى[(١)] لينظر أ تفون لله مع قلة المؤمنين أم تغترون بكثرة قريش ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ ما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بإثابة المحقّ وتعذيب المبطل ﴿وَلَوْ شاءَ اللَّهُ﴾ مشية إلجاء ﴿لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً﴾ أي: مهتدين ﴿وَلكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ﴾ بالخذلان، أو بالحكم عليهم بالضلال ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾ بالتوفيق، أو بالحكم بالهداية ﴿وَلَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الطاعات فتجاوزون به.

[سورة النحل الآيات ٩٤- ١٠٢]

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ

---

(١) أي: أكثر عدداً.

سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

﴿ ولا تَتَّخِذُوا إيمانكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾ كرّر تأكيداً﴿ فَتَزِلَّ قَدَمٌ﴾ أي: أقدامكم عن طريق الحق﴿ بَعْدَ ثُبوتِها﴾ عليه. وهو مَثَلٌ لمن وقع في بلاء بعد عافية﴿ وتَذُوقُوا السُّوءَ﴾ العذاب في الدنيا﴿ بما صَدَدْتُمْ عَنْ سَبيلِ اللّهِ﴾ أي: بصدكم عن الوفاء، أوبصدكم غيركم عنه لأنه يقتدي بسنتكم﴿ ولَكُمْ عَذابٌ عَظيمٌ﴾ في الآخرة. عن الصادق (ع): هذه الآيات في ولاية علي (ع) وما كان من قول النبي (ص) سلّموا عليه بإمرة المؤمنين.﴿ ولا تَشْتَرُوا بعَهْدِ اللّهِ ثَمَناً قَليلاً﴾ تستبدلوا به عرضاً يسيراً من الدنيا تنقضوه لأجله﴿ إِنَّما عِنْدَ اللّهِ﴾ من الثواب على الوفاء بالعهد﴿ هُوخَيْرٌ لَكُمْ﴾ من عرض الدنيا﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فأوفوا، أو إن كنتم أهل العلم والتميز ﴿ ما عِنْدَكُمْ﴾ من نعيم الدنيا ﴿ يَنْفَدُ﴾ يفنى﴿ وما عِنْدَ اللّهِ باقٍ﴾ لا ينقطع. وهوبيان للعلة التي لأجلها كان الثواب خيراً من متاع الدنيا﴿ ولَنَجْزِيَنَّ﴾ وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون﴿ الَّذينَ صَبَرُوا﴾ على مشاقّ التكاليف﴿ أجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: بالطاعات من الواجبات والمندوبات فإنها أحسن من المباحات التي ليس لها أجر، أو بجزاء أحسن من أعمالهم﴿ مَنْ عَمِلَ﴾ عملاً﴿ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أو أُنثى

وهُومُؤْمنٌ ﴾ إذ لا ثواب لعمل غيره ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً ﴾ في الدنيا بالرزق الحلال، أو بالقناعة والرضا بالقسمة كما ـ في النبوي ـ أو برزق يوم بيوم، أو في الآخرة بالجنة ﴿ ولَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من الطاعة وقد مرّ تفسيره ﴿ فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ﴾ أي: أردت قراءته ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ فسئل اللّه أن يعيذك ﴿ مِنَ ﴾ وساوس ﴿ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ ﴾ المرجوم المطرود الملعون لتسلم في التلاوة من الزلل وفي التأويل من الخطل. وظاهره وجوب الإستعاذة في القراءة، وحملها الأكثر على الإستحباب. وعن الباقر (ع): إذا قرأت بسم الله الرحمن الرحيم فلا تبالي أن لا تستعيذ. وعن الصادق (ع) في كيفيتها (أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم). وفي آخر: (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم) وأعوذ بالله أن يحضرون ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ ﴾ تسلط ﴿ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ فإنهم لا يطيعونه ﴿ إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ﴾ يطيعونه ﴿ والَّذِينَ هُمْ بِهِ ﴾ بسببه، أو باللّه ﴿ مُشْرِكُونَ ﴾ أي: يشركون معه غيره في العبادة. عن الصادق (ع): يسلطه اللّه من المؤمن على بدنه ولا يسلطه على دينه. وعنه (ع) في الآية: ليس له أن يزيلهم عن الولاية فأما الذنوب وأشباه ذلك فانه ينال منهم كما ينال من غيرهم. ﴿ وإِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ ﴾ بالنسخ فأثبتنا الناسخة مكان المنسوخة لفظاً، أو مكاناً لمصلحة العباد ﴿ واللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ ﴾ أي: بمصالحه بحسب الأوقات. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (يُنْزِل) من الإنزال ﴿ قالُوا ﴾ أي: الكفار، وهوجواب (إذا) ﴿ إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾ كذاب على اللّه تأمر بشيء ثم تنهى عنه ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ فوائد النسخ ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ ﴾ أي: الناسخ ﴿ رُوحُ الْقُدُسِ ﴾ جبرئيل. والإضافة للمبالغة كـ(حاتم الجود)، وخفّف ابن كثير

القدس﴿ مِنْ ربِّكَ﴾ متلبساً ﴿ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ به على إيمانهم﴿ وهُدىً وبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ معطوفان على محل(ليثبت) أي: تثبيتاً وإرشاداً وبشارة.

[سورة النحل الآيات١٠٣ - ١١٠]

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ

ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾

﴿ ولَقَدْ نَعْلَمُ أنَّهُمْ يَقُولُونَ إنَّما يُعَلِّمُهُ القرآن بَشَرٌ﴾ هو(عايش) غلام (خويطب بن عبد العزى) قد أسلم وكان صاحب كتب. وقيل: (بلعام) كان قنًا بمكة روميا نصرانياً، وقيل سلمان الفارسي﴿ لِسانُ لغة الَّذي يُلْحِدُونَ إِلَيْه﴾ يميلون قولهم عن الإستقامة إليه وفتح حمزة والكسائي الياء والحاء﴿ أعْجَمِيٌّ﴾ غير بيّن﴿ وهذا﴾ القرآن﴿ لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ ذو فصاحة وبيان فكيف يعلمه أعجمي؟ القمي: لسان الذي يلحدون إليه هولسان ابي فكيهة مولى ابن الحضرمي كان اعجمي اللسان وكان قد اتبع النبي (ص) وآمن به وكان من أهل الكتاب فقالت قريش: هذا والله يعلّم محمداً علمه بلسانه﴿ إنَّ الَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بآياتِ اللَّه﴾ لا يصدقون بحججه التي أظهرها أنها من عنده﴿ لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ ﴾ إلى الحق، أو إلى سبيل النجاة، أو إلى طريق الجنة﴿ ولَهُمْ عَذابٌ أليمٌ﴾ في الآخرة. هدّدهم على كفرهم بالقرآن بعد ما أبطل شبهتهم وردّ طعنهم فيه، ثم قلب الأمر عليهم فقال: ﴿ إنَّما يَفْتَرِي﴾ يخترع﴿ الْكَذِبَ الَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللَّه﴾ لا يصدقون بدلائله الواضحة دون من آمن بها لأن الإيمان يحجزهم عن الكذب وأولئك لا يخافون عذاباً يردهم عنه﴿ وأولئكَ﴾ الذين كفروا﴿ هُمُ الْكاذِبُونَ﴾ أو الكاذبون في قولهم: (انما أنت مفتر) الكاملون في الكذب لا أنت يا محمد (ص)﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّه مِنْ بَعْدِ إيمانه﴾ بدل من (الذين لا يؤمنون) أو من (أولئك) أو من (الكاذبون) أوذم مرفوع، أو منصوب أو مبتدأ، أو شرط والخبر، أو الجزاء يدل عليه (فعليهم غضب)﴿ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ﴾ على كلمة

الكفر، فقالها وقلبه مطمئن بالإيمان، ثابت عليه لم تتغير عقيدته. ويدل على أن الإيمان التصديق بالقلب ﴿ ولكنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً ﴾ ان اتسع قلبه للكفر، وطاب به نفساً﴿ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللّهِ ولَهُمْ عَذابٌ عَظيمٌ﴾ في الآخرة. روي: انه أكره قريش جماعةً على الإرتداد منهم عمار وأبواه فقتلوا أبويه وأعطاهم بلسانه ما أرادوا مكرهاً، فقال قوم: كفر عمّار. فقال النبي (ص): كلاً انه ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه. فأتاه عمّار يبكي، فمسح عينيه، وقال: ان عادوا لك فعد لهم بما قلت، فنزلت: ﴿ ذلِكَ﴾ الكفر بعد الإيمان، أو ذلك العذاب العظيم﴿ بِأَنَّهُمُ﴾ بسبب أنهم﴿ اسْتَحَبُّوا الْحَياةَ الدُّنْيا﴾ آثروها ﴿ عَلَى الآخِرَةِ﴾ أي: انهم فعلوا ذلك طلباً للدنيا لا للآخرة﴿ وَ﴾ بسبب ﴿ أنَّ اللّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾ يخذلهم بكفرهم ﴿ أولئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وسَمْعِهِمْ وأبْصارِهِمْ﴾ فأبت عن إدراك الحق والتأمل فيه. وأسند الطبع إليه تعالى مجازاً عن منعهم اللطف حين أبوا قبول الحق وأعرضوا عنه كما ـ مرّ في البقرة ـ ﴿ وأولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ ﴾ عمّا يراد بهم ﴿ لا جَرَمَ﴾ حقاً﴿ أنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾ إذ حرموا أنفسهم الجنة وجلبوا لها النار﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا﴾ أي: عذبوا وحُملوا على الإرتداد عن دينهم كعمار. و(ثم) لتباعد حال هؤلاء من أولئك، وفتحه ابن عامر أي: فتنوا غيرهم، ثم أسلموا وهاجروا﴿ ثُمَّ جاهَدُوا وصَبَرُوا﴾ على المشاق﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها﴾ بعد الفتنة ﴿ لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿ رَحِيمٌ﴾ بهم.

[سورة النحل الآيات ١١١ - ١١٨]

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ﴾ نصب بـ(رحيم)، أو بـ(اذكر)﴿ تُجادِلُ﴾ تحاج ﴿ عَنْ نَفْسِها﴾ ذاتها، لا يهمها غيرها﴿ وتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ ﴾ أي: جزاؤه ﴿ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ في ذلك﴿ وضَرَبَ اللَّهُ مثلاً قَرْيَةً﴾ بدل. أي: جعلها مَثَلاً لكل قوم أنعم اللّه عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا فأنزل اللّه بهم نقمة، أو لمكة﴿ كانَتْ آمِنَةً﴾ من المخاوف﴿ مُطْمَئِنَّةً﴾ قارّة بأهلها﴿ يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً﴾ واسعاً﴿ مِنْ كُلِّ مَكانٍ﴾ من نواحيها، كما قال تعالى: (يجبى إليه ثمرات كل شيء)[1]﴿ فَكَفَرَتْ﴾ فكفر أهلها﴿ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ بنعمه. جمع (نعمة) ﴿ فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ والْخَوْفِ﴾ إستعير الذوق لإدراك أثر الشدّة واللباس لما غشيهم منها وأوقع الإذاقة عليه نظراً إلى المستعار له وهو الإدراك. فالمعنى: عرّفها اللّه أثر لباس الجوع والخوف﴿ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ﴾ بصنعهم وسوء فعالهم. القمي: نزلت في قوم كان لهم نهر يقال له (اليلبان) وكانت بلادهم خصبة كثيرة الخير وكانوا يستنجون بالعجين ويقولون هوألين لنا فكفروا بأنعم اللّه واستخفوا بنعمة اللّه فحبس اللّه عنهم اليلبان فجدبوا حتى أحوجهم اللّه إلى ما كانوا يستنجون به حتى كانوا يتقاسمون عليه. وعن الصادق (ع): نحوه بتفاوت ما ﴿ ولَقَدْ جاءَهُمْ﴾ أي: أهل مكة ذكروا بعد ذكر مثلهم﴿ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ محمد (ص)﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ﴾ الجوع بالقحط والخوف من الغارات، أو مالهم ببدر﴿ وهُمْ ظالِمُونَ﴾ أي: حال تلبسهم بالظلم﴿ فَكُلُوا﴾ أيها المؤمنون﴿ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الغنائم﴿ حَلالاً طَيِّباً﴾ والأمر لإباحة الغنائم﴿ واشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ فيما خلقه لكم، أو أحلّه﴿ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ تخصونه بالطاعة، ومرّ تفسير الآية

---

(١) سورة القصص الآية ٥٧.

وما يليها في البقرة﴿ إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ والدَّمَ ولَحْمَ الْخِنْزِيرِ وما أهل لِغَيْرِ اللّٰه به فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ ولا عادٍ فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وحصر المحرمات في المعدودة بالإضافة إلى ما حرّموه على أنفسهم﴿ ولا تَقُولُوا لِما تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾ منصوب بـ(تقولوا)﴿ هذا حَلالٌ وهذا حَرامٌ﴾ بدل منه. أي: لا تقولوا الكذب هذا حلال وهذا حرام لما تصفه ألسنتكم، أو مفعول (تقولوا) والكذب منتصب بـ(تصف) و(ما) مصدرية أي: لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أي: لا تحلوا وتحرموا بقول ألسنتكم بغير دليل﴿ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ﴾ بنسبة ذلك إليه و(اللام) للعاقبة﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾ لا ينالون خيراً﴿ مَتاعٌ قَلِيلٌ﴾ أي: لهم، أو متاعهم متاع قليل زائل﴿ ولَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة ﴿ وعَلَى الَّذِينَ هادُوا﴾ أي: اليهود﴿ حَرَّمْنا ما قَصَصْنا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ في الأنعام في آية: (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر)[1] ﴿ وَما ظَلَمْناهُمْ﴾ بتحريم ذلك عليهم﴿ ولكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالعصيان والكفر بنعم اللّٰه والجحود بأنبيائه. وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرّة يكون للعقوبة.

[سورة النحل الآيات١١٩- ١٢٨]

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ

---

(١) هي الآية ١٤٦ من سورة الأنعام.

أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ عملوا المعصية بداعي الجهل فإنه يدعوإلى القبيح كما أن داعي العلم يدعو إلى الحسن، أو بسبب جهالة السيئات، أو بجهالتهم للعاقبة، أو بجهالة أنها سوء. وقيل: الجهالة: أن يعجل بالإقدام عليها ويَعِدُ نفسَه التوبة منها﴿ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ عن المعصية﴿ وَأَصْلَحُوا﴾ نياتهم وأعمالهم

﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها﴾ من بعد التوبة، أو الجهالة ﴿ لَغَفُورٌ﴾ لهم﴿ رَحِيمٌ﴾ بهم ﴿ إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً﴾ لأنه جامع لخصال الكمال قائم بعمل أمة، أو لأنه كان مؤمناً وحده والناس كفار، أو لأنّه مؤتم به في الخير لقوله: (إني جاعلك للناس اماما)[١] ﴿ قانِتاً﴾ للّه مطيعاً له ﴿ حَنِيفاً﴾ مائلا إلى الدين القيّم﴿ ولَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ قط ﴿ شاكِراً لأَنْعُمِهِ﴾ أي: لقليلها ـ فضلاً عن كثيرها ـ لأن (أنعم) جمع قلة﴿ اجْتَباهُ﴾ إصطفاه للنبوة﴿ وهَداهُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هوالإسلام والتوحيد ﴿ وآتَيْناهُ﴾ إلتفات من الغيبة﴿ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً﴾ هي النبوة، أو الرسالة، أو قول الأمة: (كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم) أو تحبّبه إلى الناس حتى إن أهل الملل يتولونه ويثنون عليه، أو إجابة اللّه دعوته حتى أكرم بالنبوة ذريته﴿ وإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ لمن أهل الجنة، كما سأله بقوله: (وألحقني بالصالحين)﴿ ثُمَّ أَوحَيْنا إِلَيْكَ ﴾ يا محمد (ص) و(ثم) اما لتعظيمه والتنبيه على ان أحل ما أوتي إبراهيم اتّباع الرسول ملته، أو لتراخي أي:امه﴿ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً﴾ مستقيم الطريقة في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وإيراد الدلائل مرّة بعد أخرى والمجادلة مع كل أحد على حسب فهمه﴿ وما كانَ إبراهيم مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بل كان قدوة الموحدين كرّر رداً على قريش وأهل الكتاب في زعمهم أنهم على دينه﴿ إِنَّما جُعِلَ السَّبْتُ﴾ أي: وباله وهو اللعنة والمسخ ﴿ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ فحرموه، ثم استحلّوه، أو معنى الاختلاف: أنهم نهوا عن الصيد فيه فنصبوا الشباك يوم الجمعة ودخل فيه السمك يوم السبت، فأخذوا يوم الأحد، أو المعنى: انما فرض تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين اختلفوا في أمر الجمعة، وهم اليهود أمروا بتعظيم الجمعة فعدلوا عمّا أمروا به وقالوا: نريد يوم

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٤.

السبت. فألزمهم الله السبت. وشدد الأمر عليهم، أو هم اليهود والنصارى، قال بعضهم: السبت أعظم الأيام، لأن الله قد فرغ فيه من خلق الأشياء. وقال آخرون: الأحد أعظم، لأنه إبتداء خلق الأشياء.﴿ وإِنَّ ربَّكَ لَيحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فيما كانُوا فيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بمجازاة كل فريق من الآبين والمعظمين بما يستحقه، ويفصل بين المحق والمبطل. القمي: وذلك أن موسى أمر قومه ان يتفرغوا لله في كل سبعة أيام يوم يجعله الله عليهم وهم الذين اختلفوا فيه﴿ ادْعُ ﴾ من بعثت إليه من الثقلين﴿ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ دينه﴿ بِالْحِكْمَةِ﴾ بالحجج الكاشفة عنه المُحْكَمة، أو بالقرآن﴿ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ الخطابات المقنعة والعِبَر النافعة الصارفة عن القبيح على وجه الترغيب في تركه والترهيد في فعله، وفي ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع﴿ وجادِلْهُمْ بِالَّتي﴾ بالطريقة التي﴿ هِيَ أَحْسَنُ﴾ طرق المجادلة، أي: أصرفهم عن الشرك بالرفق والسكينة ولين الجانب في الصيحة، أو جادلهم على قدر ما يحتملونه، كما في الخبر: أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم. وعن الصادق (ع): يعني بالقرآن.﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُو أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِه وهُوَأَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فهو يجازيهم﴿ وإِنْ عاقَبْتُمْ﴾ أي: أردتم عقوبة جان قصاصاً﴿ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ لا تزيدوا عليه. القمي: إنّ المشركين يوم أحد مثلوا بأصحاب النبي (ص) الذين استشهد فيهم حمزة، فقال المسلمون: إنّا والله لئن أدالنا الله عليهم لنمثلن باخيارهم فذلك قول الله (وإن عاقبتم...)إلخ يعني: بالأموات قيل: هي عامة في كل ظلم كغصب ونحوه لأن خصوص السبب لا يخصص، وفيه تعريض بحسن العفو﴿ ولَئِنْ صَبَرْتُمْ﴾ عن المؤاخذة﴿ لَهُوَ﴾ أي: الصبر﴿ خَيْرٌ للصَّابِرِينَ﴾ ثم صرح بأمر رسوله بالصبر لأنه الأحق به فقال: ﴿ واصْبِرْ وما صَبْرُكَ إلاَّ بِاللَّهِ﴾ بتوفيقه﴿ ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ على المشركين حرصاً على إيمانهم، أو على قتلى

أحد﴿ ولا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ في ضيق صدرٍ من مكرهم. وكسر ابن كثير الضاد، وقيل: المفتوح مخفف (ضيق) ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ معاصيه﴿ والَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ بطاعاته بالنصرة والحفظ.

تمّت ـ و للّه الحمد ـ سورة الأعراف و تفسيرها.

فهرس الكتاب

[سورة الأنفال]

[سورة التوبة]

[سورة يونس]

[سورة هود]

[سورة يوسف]

[سورة الرعد]

[سورة ابراهيم]

[سورة الحجر]

[سورة النحل]